التَّفسيرُ التَّحليليُّ للقُرآنِ الكَريم

الجزء الخامس

التَّفسيرُ التَّحليليُّ للقُرآنِ الكَريم

الجزء الخامس

الأستاذ الدكتور
عبّــاس عَليُّ الفَحّام

الطبعَة الأولى / ٢٠٢٣م

مؤسسة دار الصادق الثقافية
طبع . نشر . توزيع

مؤسسة دار الصادق الثقافية (طبع- نشر- توزيع)

اسم الكتاب: التَّفسيرُ التَّحليليُّ للقُرآنِ الكَريم
الجزء الخامس

اسم المؤلف: الأستاذ الدكتور عبّـــاس عَليّ الفَحّام

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد: ١٢٥٠ لسنة ٢٠٢٣م

ردمك I.S.B.N.978-9922-702-09-4

رقم الطبعة: الأولى / ٢٠٢٣م

القطع الطباعي ١٧× ٢٤

عدد الصفحات: ٣٥٥

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف والناشر

تحذير

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الاشكال دون إذن خطي من المؤلف والناشر.

This book or any part of it may not be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form without the written permission of the author and publisher.

العراق – بابل – الحلة - شارع ابو القاسم - مقابل جامع ابن النما

هاتف: 009647801233129

E-mail:alssadiq@yahoo.com

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ
وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

الحشر: ٢١

صَدَقَ اللهُ العَليُّ العَظِيْم

سورة الأعراف

مكية، وهي مائتان وست آية

سورة الأعراف مكية خاطبت المشركين وطائفة قليلة آمنوا بالنبي ﷺ، وتضمنت خطابا عاما لإنذار عامة الناس بما فيها من الحجة والموعظة والعبرة، وقصة آدم عليه السلام مع إبليس، وقصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، والسورة بعد ذكرى للمؤمنين تذكرهم بما يشتمل عليه إجمال إيمانهم من المعارف المتعلقة بالمبدأ والمعاد والحقائق التي هي آيات إلهية، وفيها طرف عال من المعارف الإلهية كوصف إبليس وقبيله، ووصف الساعة والميزان والأعراف وعالم الذر والميثاق ووصف الذاكرين لله، وذكر العرش، وذكر التجلي، وذكر الأسماء الحسنى، وفيها ذكر إجمالي من الواجبات والمحرمات بعكس سورة الأنعام، فالأحكام والشرائع المذكورة في هذه السورة أوجز وأكثر إجمالا مما ذكر في سورة الأنعام، وذلك يؤيد كون هذه السورة قبل الأنعام نزولا على ما هو المعهود من طريقة تشريع الأحكام في الإسلام تدريجا آخذا من الإجمال إلى التفصيل.

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ الٓمٓصٓ ۝١ ﴾

ختمت سورة الأنعام بالمغفرة والرحمة وبدأت سورة الأعراف بذكر الكتاب وما تضمنه من الحكمة ومعالم الدين، وسياق الآيات في السورة ينتظم في تفصيل ما افتتحت به من معاني الإنذار والذكرى وما يتفرع عنهما من وعد ووعيد، من بدء الخلق وإلى ما بعده في ذكر لبعض الأنبياء وسيرهم في أممهم.

قوله (المص) ستبقى هذه الرموز القرآنية عصية على التفسير الكامل، فمهما قيل ويقال في تفسيرها يبقى البحث فيها بحاجة إلى مزيد من المعرفة، وكأن الله جعلها سبيلا لمزيد من النظر والتدبر في آياته.

قوله تعالى ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ﴾

قوله (كتاب أنزل إليك) ارتفع لفظ الكتاب لأنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هذا كتاب، وتنكير اللفظ ينطوي على دلالة التعظيم، وإضمار فاعل الإنزال لمعلوميته سبحانه، وجملة الفعل وصف للكتاب، وحرف الجر لأنه غاية الإنزال وهو النبي ﷺ .

قوله (فلا يكن في صدرك حرج منه) الفاء للتفريع على الإخبار، أي: كون الكتاب منزلا من الله مدعاة لئلا يكون في صدرك ضيق من تحمل مشاقه ومحنه، لأن الله حافظك ومؤيدك، والحرج شدة الضيق، و(في) للظرفية المجازية، وحرف الجر في (منه) للسبب، والهاء عائد إلى الكتاب.

قوله (لتنذر به وذكرى للمؤمنين) اللام للتعليل، أي: لتنذر به المشركين وتذكر به المؤمنين، وتقديم الإنذار لأن النفس تقبل أكثر في حال التخويف، والذكرى مبالغة في الذكر، أي يكون القرآن مدعاة إيمان لهم، لأنهم يتذكرون به آيات الله فيتعزز في نفوسهم ويقوى.

قوله تعالى ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣ ﴾

قوله (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم) الخطاب للمشركين وهو انتقال به من خطاب النبي ﷺ إلى خطاب المكلفين، وأمر الاتباع يراد به الطاعة والانقياد.

والإتيان باسم الموصول وصلته لتعليل أمر الاتباع، والضمير في (ما) عائد إلى القرآن المنزل، وتفيد (من) الابتداء، وفي إضافة لفظ الرب إلى كاف جمع المشركين دلالة التنبيه بعد أمر الاتباع في كونه تعالى مالكهم ولا يحق للمملوك مخالفة مولاه.

قوله (ولا تتبعوا من دونه أولياء) جملة نهي بعد أمر تفيد المقابلة، و(من) للتبيين، والهاء في (دونه) عائد إلى الله، ولفظ الأولياء جمع ولي ويراد به تعدد الأصنام، لأن عبادة آلهة متفرقين أشق من عبادة الإله الواحد.

قوله (قليلا ما تذكرون) أي: قليلا اتعاظكم وتذكركم، وفيه معنى استبطاء التذكر، وهو خبر خرج إلى معنى الأمر، أي تذكروا ما أوجبه الله عليكم.

قوله تعالى ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾

قوله (وكم من قرية أهلكناها) الواو للعطف على قوله (لتنذر به)، وتفيد (كم) بدخولها على الخبر معنى التكثير، لأن استبهام العدد عن أن يظهر أو يضبط إنما يكون لكثرته في غالب الأمر وكم مبهمة، ومعناها كم من أهل قرية هلكناهم، و(من) زائدة لتقوية العموم، وتنكير لفظ القرية لإفادة التكثير، والقرية الحاضرة، وإنما خصت بالذكر، لأنها موطن الأكابر والطغاة، وإهلاك القرية بتخريبها وإفناء أهلها. والآية في مقام التذكير بعذاب الأمم السابقة من العاصين والجاحدين، لتحذير أهل القرية مكة.

قوله (فجاءها بأسنا) الفاء للتفريع، وفعل المجيء كناية عن إحلال عذاب الاستئصال في أهلها، والبأس كناية عن المصيبة الشديدة.

قوله (بياتا أو هم قائلون) الكلام كناية عن النوم ليلا أو نهارا، وانتصب لفظ البيات على الحال، وأصل البيت مأوى الإنسان بالليل، وقال الراغب:

البيات والتبييت قصد العدو ليلا. انتهى. أي: قصدهم وأخذهم وقت نومهم ليلا.

وتفيد (أو) الترديد، والقائلون جمع لاسم الفاعل من القيلولة وهو وقت النوم قبل الظهر، وأصله الراحة، والمراد: حلول عذاب البغتة والفجأة وقت نومهم.

قوله تعالى ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥ ﴾

قوله (فما كان دعواهم) الفاء لتفريع بعد تفريع، والنفي والاستثناء للقصر، ولفظ الدعوى كناية عن القول، لأنها تتضمنه، والضمير (هم) عائد إلى المشركين، و(إذ) تفيد الظرفية أي: دعواهم وقت نزول العذاب.

ومجيء البأس كناية عن إحلال العذاب فيهم، وإسناده إلى فعل المجيء من المجاز العقلي، فالله هو يجيء بالبأس.

وجملة (أن) والفعل مقول قول الكافرين، متضمنة معنى إقرارهم بالشرك الذي سماه الله ظلما لأنه أفحشه.

ومعنى الآية: أي ما كان قول أهل القرية الهالكة وقت نزول العذاب إلا الاعتراف بظلمهم، والإنسان بطبعه يقول الحق إذا لقي شدة ما.

قوله تعالى ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ ﴾

قوله (فلنسألن الذين أرسل إليهم) الفاء للترتيب الرتبي في الكلام، واللام المقترن بفعل السؤال مؤذنة بالقسم، والنون لتأكيد الفعل، وفاعل الفعل الله تعالى ومن يوكل لهم السؤال وضمير الجمع في اسم الموصول راجع إلى الى القوم المنذَرين، والكلام مشدد بالقسم والتأكيد لحتمية وقوعه، وسؤال الله تعالى لهم يوم الحساب يراد به توبيخهم وإخزاؤهم قبل إدخالهم نار العذاب.

والسؤال على تقدير: ماذا فعلتم؟ ألم يأتكم رسلي لينذروكم لقاء يومكم هذا؟

قوله (ولنسألن المرسلين) الواو للعطف، وتكرار فعل السؤال لإفادة الانتباه إلى اختلاف السؤالين، وهو سؤال المنذِرين يراد به التقرير عن تبليغ رسالة الله إلى أقوامهم.

ويشير القسم في كلا السؤالين إلى حتمية حصولهما بحتمية المعاد، لأن الآية تختص بيوم القيامة، أي في الكلام حذف والتقدير: أنهم بعد هلاكهم بعذاب الاستئصال مكثوا في عالم البرزخ إلى وقت الصيحة والبعث ثم وقفوا بين يدي ربهم للحساب ليسألهم ويحاسبهم على فعلهم، والآية طوت ذلك كله لأنها تريد الإخبار عن سرعة انقضاء حال الظالمين ووقوفهم بين يدي ربهم للحساب، لذلك وقعت الفاء لترتيب الذكر لا للتفريع.

ويضيف التجنيس بين (أرسل) والمرسلين في الجملتين إلى نوع من إلفات الأسماع للتنبه إلى الصلة بين السؤالين.

قوله تعالى ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧ ﴾

قوله (فلنقصن عليهم بعلم) الفاء للتفريع، والقسم باللام المشعرة به لتأكيد حصول الأمر، أي: لنتلو عليهم يوم القيامة ما اقترفوا من سيئات تلاوة من علم وشاهد، لأنه قص وإخبار مصاحب بالعلم. فالباء المقترن بلفظ العلم للمصاحبة، وتنكير العلم للتعظيم.

وفي نهج البلاغة قوله ﷺ: اتقوا معاصي الله في الخلوات فإن الشاهد هو الحاكم. انتهى.

قوله (وما كنا غائبين) الواو للعطف، ونفي كون الله غائبا عن أعمال الناس تأكيد لعلمه تعالى، لأن الأشياء تحضر بين يديه، فهو عليم بها سميع لا تغيب عنه لحظة ولا لفظة، وإنما نفى الغياب عن ذاته سبحانه لأن الغياب مظنة الجهل بالشيء، والله حاضر دائما.

قوله تعالى ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ ﴾

قوله (والوزن يومئذ الحق) الواو للعطف على ما تقدم لأن الكلام إخبار عن غيب موقف الحساب، وإطلاق لفظ الوزن يراد به ميزان العدل توزن به

الحسنات والسيئات، وكنى بالحق عن العدل في الميزان، والصورة مجازية يراد به تصوير عدل الله وحفظ حقوق الأعمال، والظرف المبني (يومئذ) مكون من لفظ اليوم و(إذ) إشارة إلى يوم موقف الخلق للحساب.

وذكر في الاحتجاج في حديث هشام بن الحكم عن الصادق عليه السلام أنه: سأله الزنديق فقال أو ليس يوزن الأعمال؟ قال: لا إن الأعمال ليست بأجسام وإنما هي صفة ما عملوا، وإنما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء، ولا يعرف ثقلها وخفتها، وإن الله لا يخفى عليه شيء، قال: فما معنى الميزان؟ قال: العدل، قال: فما معناه في كتابه فمن ثقلت موازينه؟ قال: فمن رجح عمله. انتهى.

قوله (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون) الفاء للتفريع، وثقل الميزان كناية عن كثرة الأعمال الصالحة على الأعمال السيئة وهو مؤشر الظفر والنجاح والفوز الذي عبر عنه بثبات المعنى فأقام الإخبار بالجملة بالأسمية مقام الجزاء للإشارة إلى ذلك.

والفاء المقترن بلفظ الإشارة واقعة في جواب (من) الشرطية، ولفظ الإشارة للتنويه بالمفلحين الظافرين، وضمير الفصل (هم) للقصر، وتعريف المفلحين قصر ثان.

قوله تعالى ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾

قوله (ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم) الواو لعطف الكلام على ما تقدم، وخفة كفة الميزان مؤشر على قلة ثقلها وانعدام وزنها، إذ يعني رجحان كفة السيئات على كفة الحسنات كما يفعل الإنسان في عالم الدنيا عندما يريد أن يحقق العدل في البيع أو الشراء فيدفع أو يشتري مقابل ما يرى بقناعة.

قوله (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) الفاء واقعة في الجزاء، ولفظ الإشارة لتمييز الخاسرين، واسم الموصول وصلته لبيان تفصيل المشار إليهم، وخسارة أنفسهم استعارة بالكناية عن بيعهم بثمن بخس في عالم الدنيا، فقد شبهت نفوسهم بشيء يباع بثمن مهما علا أو غلا فهو بخس ثم حذف المشبه به وأشير إلى شيء من لوازمه وهو الخسران.

قوله (بما كانوا بآياتنا يظلمون) تعليل لسبب خسارة نفوسهم، وظلمهم لآيات الله بخس حق معجزتها وصدورها من الله بنكرانها وعدم الإيمان بها وقذفها بالبهتان.

والآيات تقص حالهم من إنكارهم إلى نزول العذاب عليهم ثم وقوفهم للحساب والسؤال، فالباء في (بما) للسبب، و(ما) مصدرية، والباء الثانية في (بآياتنا) متعلقة بفعل الظلم لتضمنه معنى الجحد والكفر، وتقديم الظرف للأهمية.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ١٠ ﴾

قوله (ولقد مكناكم في الأرض) الواو للعطف على قوله (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) لتذكير الإنسان بأصل خلقته التي توجب عليه شكر المنعم عليه لا الجحود به، والتأكيد بلام القسم المتصلة بحرف التحقيق (قد) لحقيقة الإخبار وأهميته، وخطاب الله في فعل التمكين لعموم الجاحدين، والتمكين التمكن من الشيء والسيطرة عليه، فكأن الأرض عصية غير طيعة ولولا الله عز وجل ما كان للإنسان أن يروضها ويركبها منتفعا منها.

وفي ذلك المعنى حديث طويل إذ لولا المقومات التي هيأها الله تعالى للعيش في الأرض ما كان للإنسان أن يعيش فيها كالجاذبية فيها والهواء والماء واستوائها ودورانها وما ينتج عنها من اختلاف الليل والنهار، وغير ذلك كثير مما تهيأ من سبل العيش الآمن فيها. وكلها بفضل تمكين الله للإنسان وإلا فهو غير قادر على تحصيل ذلك.

قوله (وجعلنا لكم فيها معايش) المعايش ما يعاش به من مطعم ومشرب ونحوه، أي خلق الله مما في الأرض سبلا للعيش فيها فجعل النور والظلمة سببا لاستمرار حياته في عمله وراحته، ووفر له فيها من النبات والزرع وكثرة الماء ونقي الهواء ما يضمن له البقاء إلى الأجل المسمى، وفعل

الجعل بمعنى الخلق والإيجاد، واللام في (لكم) للتعليل، والهاء في (فيها) راجع إلى الأرض.

قوله (قليلا ما تشكرون) نصب لفظ القليل على الحال، والكلام إشارة إلى استبطاء الإنسان لشكر المنعم على ما أعطاه من كثرة النعم.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾

قوله (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) الواو لعطف جملة على جملة لأنها تفصيل لما أجمل من التمكين في الآية السابقة، بذكر أصل خلقتهم وفضل الله عليهم بإيجادهم ثم بعد ذلك ينكرون خالقهم ويجحدون به، وهو خطاب عام لبني الإنسان وفيه انتقال إلى الخاص بذكر السجود لآدم تكريما رمزيا للمخلوق الإنساني الجديد كما جعلت الكعبة رمزا وقبلة تمثل بها ناحية الربوبية، وفعل الخلق الإيجاد والتدبير، ويفيد تكرار العطف (ثم) الترتيب الكلامي.

وفعل التصوير التركيب: أي شخصناكم بهذه الهيئات ذكورا وإناثا، والمراد هنا التعبير عن خلق آدم من تراب ثم إيقاع الصورة عليه بشكله الذي أمر الله به ملائكته بالسجود له، والتعبير عن آدم بالجمع لاتصال الكلام بما سبق بالانتقال من عمومية الخطاب للآدميين إلى الخاص بذكر آدم.

قوله (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) العطف بـ (ثم) يفيد معنى الترتيب وموضعها من الكلام أن الله بعد خلقه لآدم وتركيب صورته، أمر الملائكة بالسجود له، والأمر بالسجود ليس لشخص آدم عليه السلام بل للنشأة الإنسانية الجديدة في هذا الخلق الجديد، وتعريف الملائكة للعهد، وهم المأمورون بالسجود، وكيفية السجود الإقرار بأفضلية المخلوق الإنساني على جميع خلق الله.

قوله (فسجدوا إلا إبليس) الفاء للتفريع على الأمر، امتثالا من الملائكة لربهم، والاستثناء لإخراج إبليس من جنس الملائكة الساجدين.

قوله (لم يكن من الساجدين) جملة النفي محلها الحال، ونفي الكون أشد في قوة النفي من القول: لم يسجد، بمعنى: لم يقدر له امتثال أمر ربه بالسجود، لأن الله علم في نفسه كبرا فأخرجه بأمر السجود وأبان عصيانه.

وظاهر السياق أن ثمة عالمين هما عالم الملائكة وهم مخلوقات لطيفة مخلوقة من نور وعالم الجن ومنهم إبليس مخلوقات من نار، فخلق الله عالما جديدا هو عالم الإنسان خلقه من طين، وهو أفضل منهما، ولذلك أمر الله تعالى بإكرامه بالسجود له، فسجد الملائكة طائعين لأمر الله تعالى واستنكف إبليس من السجود مدعيا أفضلية خلقته من النار على خلقة الطين، ويبدو ـ والله أعلم ـ أن الذي جمع الملائكة وإبليس مقام رضا الله عنهم وهو مقام القدس لأن الأمر بالسجود للملائكة وإبليس ليس من جنسهم، ولذلك جاء المستثنى بـ (إلا) منقطعا في قوله (إلا إبليس) لأنه ليس

من سنخ الملائكة، ولكنه مجموع بهم في هذا المقام والأمر من رب العزة متوجه إلى المقيمين فيه كما يستفاد ذلك من قصة الخلافة في قوله في سورة البقرة (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) [البقرة ٣٠]، ولذلك أمر بالخروج منه في قوله تعالى (فاهبط منها).

قوله تعالى ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾

قوله (قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك) السؤال من رب العزة لإبليس يراد به تقريره، والسؤال عن المانع لأن الأصل طاعة الله في كل شيء، وليس الأصل السجود لآدم بل الطاعة، ولذلك أكد أمره بقوله (إذ أمرتك) ولم يذكر آدم، فيكون المعنى: ما الذي اضطرك إلى عدم السجود لآدم إذ أمرت بذلك، والسجود أصلا وضع الجبين على الأرض، وهو أعلى هيآت الخشوع والتخضع لله، واستعمل مجازا لإظهار عظمة الله في مخلوقه الجديد.

قوله (قال أنا خير منه) الكلام تعليل وتفسير للمانع، حكاية عما أجاب به إبليس لعنه الله، وهو تعليل قائم على الأنا والاستقلالية وفرض الأفضلية، وإصدار الأحكام التي تستحيل على المخلوق أمام خالقه ومالكه، ولذلك بدأها بضمير الفصل (أنا) مقابل انية الله على سبيل الندية والانفصال عن قدرته تعالى وسلطانه جلت قدرته، وهذا ما لا تقوم له السموات والأرض،

فإجابة إبليس حكت عما في نفسه من الكبر لأنه تجنب الجواب عن أصل السؤال فلم يقل: منعني أني خير منه، بل قال: أنا خير منه، فلم يعتن بما سئل عنه، ليظهر به كبره واستمراره وثبات معنى الأنا والتكبر في نفسه، وهو تكبر على طاعة الله دون التكبر على آدم.

قوله (خلقتني من نار وخلقته من طين) جملة تفسير وبدل، حكت اعتقاد إبليس في أفضليته بأصل خلقته النارية على خلقة الإنسان الترابية، وأن ذلك وحده كفيل بأن يستعلي ويتكبر، وفي الكلام اعتراف ضمني بأفضلية النار على الطين، ولكن ذلك ليس معيارا للتفوق من دون عمل، وإلا لكانت الملائكة أولى بالتقدمة، وهو ما فات إبليس في مقارنته الباطلة، والخلق الإيجاد، وحرف الجر (من) يفيد الابتداء.

قوله تعالى ﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

قوله (قال فاهبط منها) الفصل للمحاورة، والفاء للترتيب الكلامي، والهبوط خروج الشيء من مستقره نازلا، وهو استعارة للهبوط المعنوي في المنزلة أي: الخروج من مقام العزة والرضا والقرب من الله تعالى، و(من) في (منها) للابتداء، والهاء راجعة إلى المنزلة والمكانة.

قوله (فما يكون لك أن تتكبر فيها) الفاء للتفريع والتعليل، ونفي الكون أثبت في نفي الشأن والوجود في منزلة القربى من الله لمن فيه ذرة من كبر، لأن

الكبرياء لله وحده، وهذا المقام لا يكون فيه إلا أهل الطاعة التامة، ولذا عبر عنه بالنفي الكوني لوجوده فيه.

قوله (فاخرج إنك من الصاغرين) الفاء للتأكيد بعد (فاهبط)، وفعل الخروج يفيد الإظهار عما كان مخبوءا فيه، والأمر يفيد الطرد.

والفصل لجملة (إن) لتعليل الأمر، وذلك لأن الصغار والهوان يتنافيان مع مقام عزة القربى، والصغار شدة الذلة والضعة.

قوله تعالى ﴿ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤ ﴾

قوله (قال أنظرني) سأل إبليس ربه الإنظار والإمهال، وألا يعاجله بالعقوبة، وأن يجعلها يوم القيامة.

قوله (إلى يوم يبعثون) حرف الجر لانتهاء غاية الإنظار، وهو يوم البعث من القبور إشارة ليوم القيامة.

قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ١٥ ﴾

أجاب الله إبليس ما سأل، وأخبره على نحو التأكيد بإنظاره، والإنظار من الله له ليس لمقام إبليس، وإنما لمشيئته سبحانه التي اقتضت ذلك في غيبه من إنزال آدم وإبليس وفتنة عالم الدنيا، على أنه تعالى قيّد الاستمهال إلى آخر الدنيا للعبد، ولم يوافقه إلى يوم البعث، لأن إبليس كان يريد ديمومة الإغواء إلى عالم البرزخ.

وطلب إبليس ذلك لمحاولته إثبات زعمه في أنه إن لم يكن الأفضل فالمخلوق الجديد مثله في السوء وفي مخالفة أوامر الله ونواهيه.

قوله تعالى ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ١٦ ﴾

قوله (قال فبما أغويتني) الفاء عاطفة سببية على طلب الإنظار، والباء في (بما) للسبب، و(ما) مصدرية، وفعل الإغواء الإضلال، والمعنى: بالسبب الذي جعلته لي فتنة وغواية، وهو أصل الخلقة وتكريمه، وإسناد الإغواء إلى الله على سبيل المجازاة، والظرف موقعه الحال من فاعل فعل القعود، والكلام حكاية عن توعد إبليس للإنسان بالغواية.

قوله (لأقعدن لهم صراطك المستقيم) اللام المقترن بفعل القعود مشعر بالقسم، والنون لتأكيد الفعل، مشير إلى عزم إبليس عليه، وفعل القعود يفيد ملازمة المكان، كناية عن ترصده لبني الإنسان على طريق الحق والهدى الذي كنى عنه (صراطك المستقيم)، ونسبته إلى الله يريد سبيل الحق الواضح الصريح الذي لا تشوبه شائبة فقد يضيع الحق لكثرة طرق الضلال من حوله وهذا ما لا يريد إبليس من توعده، فهو يريد أن يقف متعرضا للسالكين في الطريق الموصل إلى الله لإضلالهم، وفعل القعود تضمن معنى المنع والقطع لذلك انتصب لفظ الصراط على المفعولية بمعنى: فأقطعن صراطك، ووصف الصراط بالاستقامة زيادة في معنى النجاة والهداية، لأن الطريق المعوج مظنة الغوائل.

واللام في (لهم) للتعليل، وضمير جمع الغائبين راجع إلى بني آدم على سبيل التوعد للنوع الإنساني لا لآدم وحده.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

قوله (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم) الكلام تفصيل لترصد إبليس وتعرضه للمؤمنين، وتفيد (ثم) التراخي الرتبي، واللام في (لآتينهم) للقسم، والنون لتأكيد الإرادة، وجملة الإتيان ومتعلقاتها كناية عن وسوسته وإضلاله من جميع جهات بني آدم، فالكناية في (من بين أيديهم) بمعنى: من أمامهم، وما يستقبلهم من الحوادث أيام حياتهم، ولذلك ضادها بقوله (ومن خلفهم) أي: لما يخلفه من الأولاد والأعقاب، وحرف الجر (من) للابتداء.

قوله (وعن أيمانهم وعن شمائلهم) ذكر جهات الأيمان والشمائل كناية عن توعد إبليس بإحاطة وسوسته للإنس، والأيمان جمع يمين، والشمائل جمع شمأل وكلاهما من الطباق اللافت لإفادة الإحاطة، وحرف الجر (عن) للمجاوزة في ذكر الجهات، وقد شاع القول: جلس عن يمينه على معنى تجاوزه، وجلس على يمينه على سبيل التمكن من جهته.

قوله (ولا تجد أكثرهم شاكرين) العطف لأن الكلام من تمام الحكاية عن قول إبليس، ونفي الوجدان بمعنى نفي العلم، والخطاب فيه إلى الله تعالى، وضمير الغائبين في (أكثرهم) راجع إلى الإنس، ويعني بالشاكرين

المخلصين ـ بفتح اللام ـ لله في عبوديته، وهذه غاية إبليس في طلب إنظاره، إثبات جحود الإنسان بنفي شكر نعمة تكريمهم عليه في أمر الله تعالى بالسجود له.

قوله تعالى ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

قوله (قال اخرج منها مذءوما مدحورا) تكرر فعل أمر الخروج تأكيدا لمعنى غضب الله على إبليس، والضمير في (منها) أي من مقام الرضا والقدس، والذم والدحر يراد به كراهة ذكره وطرده بهوان، ونصبا على الحال.

قوله (لمن تبعك منهم) اللام موطئة للقسم، وهو قسم على سبيل المحاذاة لكلام إبليس والرد عليه في قوله (لأقعدن لهم)، و(من) اسم موصول متضمن معنى عموم المتبعين المطيعين لإبليس من الإنس.

وفعل الاتباع كناية عن تولية الإنسان لإبليس، لأن الاتباع يستلزم المحبة والانقياد والتولية، وحرف التبعيض في (منهم) بمعنى: بعض من تبعك من الآدميين.

قوله (لأملأن جهنم منكم أجمعين) اللام واقعة في جواب القسم على نحو التأكيد في تشديد امتلاء جهنم بهم، وجهنم من جهنام البئر أي قعره، يراد به قعر النار صفة غلبت على العلمية.

وحرف الجر(من) في (منكم) للتبيين، وضمير خطاب الجمع، جمع لإبليس وأتباعه على التغليب، والمعنى: لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم. وأكده بلفظ الجمع (أجمعين) إشراكا للجزاء معهم.

قوله تعالى ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩ ﴾

قوله (ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) الواو لعطف قصة على أخرى يدل على الإقبال على آدم بعد الفراغ من مسألة الإعلام عن خلقه والأمر بالسجود له، والنداء أصله رفع الصوت بكيفية ما بأمر من رب العزة إلى آدم بالسكن في الجنة مع زوجه، وفعل السكن المكث والاستقرار، وضمير الفصل للتأكيد أوتي به لعطف لفظ الزوج عليه، والزوج تطلق على الزوجة، وتعريف الجنة للعهد الحضوري، أي: الجنة التي خلقت لأجل آدم قبل الأمر بإخراجه منها.

قوله (فكلا من حيث شئتما) الفاء للتفريع، والأمر بالأكل لآدم وزوجه للإباحة لما شاءا في أي وقت، ومن أي مكان.

قوله (ولا تقربا من هذه الشجرة) نهي مخصوص من الأكل من هذه الشجرة من باب الإرشاد، والنهي عن القرب مبالغة في النهي عن التلبس بالفعل، لأن القرب مبدؤه، وحرف الجر (من) للابتداء، واسم الإشارة

للتمييز، والألف واللام في لفظ الشجرة تدل على أنها شجرة معلومة معروفة.

قوله (فتكونا من الظالمين) الفاء عاطفة والفعل بعدها مجزوم على العطف، أو منصوب على الجواب، و(من) حرف تبيين، وحقيقة الظلم النقص ببخس النفس حقها من الثواب.

قوله تعالى ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

قوله (فوسوس لهما الشيطان) الفاء للتعقيب لأن الوسوسة عقب النهي. والوسواس الصوت الخفي، وهو ما يتداخل مع النفس في تصوراتها، وتعدية الفعل باللام يدل على أن الشيطان داخلهما وأوهمهما بإبداء النصح لهما، لأنه لو تعدى بحرف الانتهاء فقيل: وسوس إليه، لكان بمعنى ألقى إلى قلبه المعنى بصوت خفي، ولفظ الشيطان أصله من الشطن ويراد به البعد من رحمة الله، وتعريفه للعهد.

قوله (ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما) اللام للغاية، والإبداء الإظهار والكشف، والكلام تعليل لفعل الوسوسة لما يترتب على الأكل المخصوص من هذه الشجرة من إبداء العورات التي لا يقتضيها مقام الجنة.

ويظهر أن إبليس كان يعلم بأمر الشجرة، وجملة الموارة بمعنى ستر عنهما، وهو من المقابلة المعنوية مع ما سبق من جملة الإبداء، والسوأة ما يكره الإنسان كشفه من أعضائه.

قوله (وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) النفي والاستثناء لتأكيد الكلام، والنهي المنع، ولفظ الإشارة لتعيين الشجرة، وفيها حذف تقديره: عن الأكل من هذه الشجرة.

ومقول القول من إبليس دال على مدى إيهامه لآدم وزوجه والاحتيال عليهما للأكل من الشجرة، فهو أغراهما بالأكل ليكونا في صورة ملكين أو خالدين لا يبيدان، وقيل إنه أغراهما بأن الأكل منها يشمل الملكين والخالدين ولا يشملهما.

قوله تعالى ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١ ﴾

قوله (وقاسمهما) المقاسمة المبالغة في الحلف بالله، والمعنى: غلظ في قسمه بالله لآدم وزوجه لإيهامهما وخداعهما.

وقوله (إني لكما لمن الناصحين) القطع لأن القسم متضمن معنى القول. والمعنى: إني من المخلصين النصح في دعوتكما إلى التناول من هذه الشجرة. والنصح إظهار الإخلاص للغير في الرأي والفعل.

ويدل استعمال كثرة الموكدات كحرف النسخ واللام الواقعة في خبرها، والجملة الإسمية على شكهما في تقبل كلام إبليس لعنه الله بما أخبر به،

وهذا ما دعاهما إلى فعل ذلك فهما لم يكونا يتصوران أن أحدا يقسم باطلا بالله في مملكته سبحانه.

قوله تعالى ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٢٢ ﴾

قوله (فدلاهما بغرور) الفاء للتفريع، والتدلي يكون من علو إلى أسفل، والتدلية إرسال الدلو في البئر، والمراد الإيصال والتقريب، أي: قربهما من ثمر هذه الشجرة ليأكلا منها، وقيل في المعنى البعيد: إنه أوقعهما في المكروه فدلاهما من الجنة إلى الأرض.

ولفظ الغرور أصله من الغر وهو طي الثوب، والمراد إظهار النصح وإبطان الغش، والباء في (بغرور) للمصاحبة، والغرور الافتتان والخداع، والظرف محله الحال.

قوله (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما) الفاء للتعقيب، وفعل الذوق لأول اللسان ويقع اسما للأكل، وتعريف الشجرة للعهد الحضوري، والإبداء الإظهار.

والمعنى أنهما ابتدآ في الأكل ونالا منها شيئا يسيرا فظهرت لهما عوراتهما فاستحيا، والكلام يدل على تخوفهما وحذرهما فبدءا بتذوق الأكل ليعرفا طعمه.

قوله (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) أي: وجعلا يجمعان ورق شجر الجنة ليسترا به ما ظهر منهما، والخصف الجمع والضم بأن تصلق ورقة بورقة.

وفي الكلام دلالة فطرية على أن إظهار العورة مما يسوء الإنسان، وهذا إنما كان لأن المصلحة اقتضت اخراجهما من الجنة، وإهباطهما إلى الأرض، لا على وجه العقوبة، فإن الأنبياء لا يستحقون العقوبة، وقد مضى الكلام فيه في سورة البقرة.

قوله (وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة) الواو لعطف جملة على أخرى، والنداء يفيد الصوت البعيد، ودلالة البعد تعني أنهما أصبحا بسبب فعلهما هذا بمنزلة دون منزلة القرب في أول سكناهما في الجنة في قوله تعالى لهما بلفظ القريب (ولا تقربا هذه الشجرة).

والاستفهام يفيد التقرير، وفعل النهي بمعنى المنع، والنهي عن الشجرة النهي عن الأكل منها، وحرف الجر(عن) للتجاوز، واستعمال اسم الإشارة (تلكما) بلفظ التثنية لمقابلة خطابه لهما فيما سبقه.

قوله (وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين) العطف لدخول الكلام في الاستفهام، ولذلك جزم فعل القول، وتكرار (لكما) للتأكيد على اختلاف

الجملتين، والإخبار عن الشيطان بالعدو لأن غرضه الإهلاك كما يفعل العدو المحارب، وتوصيفه بالمبين لظهر عداوته وليكون ذلك الوصف أجدر باجتنابه، لأن الشيطان خفي يبين بوسوسته وإغوائه وحضوره في كل سوء.

قوله تعالى ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾

قوله (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا) الفصل للمحاورة، وضمير التثنية في فعل القول راجع إلى آدم وزوجه، والكلام إقرار على أنفسهما بظلم النفس، ويقع ببخسها الثواب بترك المندوب إليه، فالظلم المراد هنا هو نقص الثواب والطاعة.

قوله (وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) تفيد (إن) الشرط، وجملة النفي موقعها فعل الشرط، وجملة القسم (لنكونن) أقيمت مقام جواب الشرط.

وكان آدم وزوجه في دعائهما في غاية التذلل والابتهال لله، إذ لم يسألا ربهما البقاء في الجنة ونحوه بل طلبا المغفرة والرحمة.

قوله تعالى ﴿ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

قوله (قال اهبطوا) الأمر بالهبوط من الله تعالى، ويفيد النزول المجازي من مقام العلو والكمال وهو الجنة إلى مقام النقص والزوال وهو الأرض، وضمير الجمع مأخوذ فيه آدم وزوجه وإبليس.

وقوله (بعضكم لبعض عدو) الجملة موقعها الحال، والعداوة بين آدم ونسله وبين إبليس عداوة تكوينية لاختلاف الطبائع والأهداف، وبدء معركة الخير والشر.

قوله (ولكم في الأرض مستقر) العطف على ما تقدم الكلام، إخبار من الله بأن مكثهم جميعا في الأرض، وتعريف الأرض للعهد، والمستقر مصدر ميمي مثل الاستقرار.

قوله (ومتاع إلى حين) عطف دال على أن المستقر في الأرض ليس أبديا بل هو استمتاع إلى وقت معلوم يقضي به الله سبحانه، ولفظ المتاع استعارة من المسافر للزاد القليل الزائل، وحرف الجر لانتهاء الغاية التي عبر عنها بالحين وهو الموت أو البعث والنشور.

قوله تعالى ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

وقوله (فيها تحيون وفيها تموتون) الإخبار القضاء الثاني من الله لنزولهم، أي: حياتهم ومماتهم وبعثهم كل ذلك يكون من الأرض التي نزلوا إليها، والخطاب لآدم ونسله، وضمائر الهاء الثلاث كلها راجعة إلى الأرض،

و(في) للظرفية الزمانية، و(من) للابتداء، وبين جملتي الحياة والموت تقابل بديعي.

قوله (ومنها تخرجون) كناية عن البعث ويوم القيامة، وفعل الخروج دال على إظهار الخلق للنشور بعد الموت.

قوله تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾

قوله (يا بني آدم) نداء لعامة الآدميين بعد الخطابات الخاصة لآدم، لا يختص بدين دون آخر، لإفادة الإقبال على الأحكام العامة المستفادة من أصل صراع آدم مع إبليس.

وقوله (قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا) حرف التحقيق (قد) لتأكيد الإخبار الامتناني، وفعل الإنزال بمعنى وهبنا وأعطينا، وكل ما يهب الله فقد أنزله، ليس من جهة العلو والسفل بل من جهة التعظيم، كما يقال رفعت حاجتي إليك.

أو يمكن أن يكون من المجاز المرسل لما سيؤول، بمعنى ما ينتج عنه من زرع يصنع به اللباس من قطن وصوف إذ كلها تعتمد ما ينزل من ماء من السماء.

واللباس ما يستر به عند التلبس به والامتزاج، وتنكير اللفظ للخصوصية، والموارة التغطية والستر والسوءة ما يسوء الإنسان كشفه، والجملة محلها الصفة للباس.

والريش مأخوذ من ريش الطائر ويراد به الزينة والأثاث، ونصب اللفظ لأنه معطوف على (لباسا)، فالملبس الذي هيأ الله الناس لصناعته هو لستر الإنسان عما يسوء منظره ولتزيين مظهره.

قوله (ولباس التقوى ذلك خير) هو لباس الباطن الذي يواري السوءات الباطنية من رذائل المعاصي كالشرك ونحوه، وهو من التشبيه، من باب إضافة المشبه إلى المشبه به، ووجه الشبه بينهما هو المنع الذي يعني الستر في جوهر معناه، فالتقوى تمنع الإنسان من فعل المنكرات كذلك اللباس يمنع النظر لما يهتك الإنسان، أو التقوى تستر الإنسان عن معايب اقتراف الأعمال السيئة كما يستر الثوب البدن.

وقيل المراد بلباس التقوى: الحياء، وقيل: الإيمان والعمل الصالح أو حسن السمت أو التواضع، وقيل غير ذلك، والإشارة إلى لباس التقوى بلفظ البعيد لتعظيمه وتمييزه والمعنى: لباس التقوى وهو المانع النفسي أفضل من الستر الخارجي، كونها مناعة ذاتية يتحصن بها المتقي عما يشين منظره.

قوله (ذلك من آيات الله) لفظ الإشارة يعني به ما سبق من إنزال ما يستر به الناس أنفسهم ويتزينون به، فهو من الحجج الدالة على توحيده.

قوله (لعلهم يذكرون) بمعنى: لكي يتذكروا نعمه تعالى فيصونوها بشكرها ولا يغفلوا عنها.

قوله تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧ ﴾

قوله (يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان) تكرار النداء لعموم الآدميين للإقبال على ما سيلقى عليهم من أوامر ونواه، والنهي عن الافتتان بالشيطان بمعنى النهي عن طاعته، لأنه يدفع إلى عمل السوء بتجميله بعين الضال، ولفظ الفتنة الغواية بوسوسته وتزيين العمل القبيح. والشيطان اسم لإبليس من الشطن وهو البعد فهو مذموم مطرود بعيد من رحمة الله.

قوله (كما أخرج أبويكم من الجنة) التشبيه لإفادة التذكير باجتناب الشيطان، ولفظ الأبوين كناية عن آدم وحواء على تغليب صفة الأب كون الناس تنتسب لهما في الأصل، والأب هنا يراد به الجد لأن آدم الجد الأعلى للبشر.

ونسب الإخراج إلى الشيطان مع أن ذلك كان بأمر الله في الحقيقة على سبيل المجاز العقلي، لأنه السبب في غوايتهم وإخراجهم مبالغة في تصوير إثمه وإضلاله.

ولإثارة الحمية في الآدميين ضرب المثل بقصة أبويهم مع إبليس واحتياله عليهما بإيهامهما لإخراجهما من الجنة، فإيراد الأبوين على جهة الخطاب أولى بالاتعاظ من الشيطان، ومراد الكلام: خطاب الناس أن لكم سوءات يسترها لباس التقوى فالزموه وما جرى مع أبويكم كان مثالا لنزع لباس التقوى.

قوله (ينزع عنهما لباسهما) الجملة محلها الحال تشنيعا لطريقة الإخراج والتنفير من فتنة الشيطان، والنزع جذب الشيء من مقره. ذكره الراغب في المفردات. انتهى.

وإسناد النزع إلى الشيطان من المجاز العقلي لأن ذلك كان بأثر وسوسته، والكلام مجاز في تبشيع التسبب بظهور السوءة.

قوله (ليريهما سوآتهما) جملة تعليل، والسوأة كناية عما يظهر من الإنسان من عورته، فهو يسوؤه منظره ويعيبه، وإسناد الإراءة إلى الشيطان مجاز عقلي كسابقاتها للمبالغة.

قوله (إنه يراكم) الفصل لتعليل النهي عن الافتتان، والإخبار المؤكد لتحذير الآدميين لأن الشيطان يرى ويترصد للإنسان بكل ما يفتنه ويورده موارد الهلكة.

قوله (هو وقبيله) ضمير الفصل للتأكيد جيء به لعطف ما بعده عليه لأنه لا يجوز العطف على مستتر، والقبيل جمع قبيلة قال الراغب: وهي الجماعة المجتمعة التي يقبل بعضها على بعض. انتهى. والكلام دال على كثرة الشياطين وشدة وساوسهم.

قوله (من حيث لا ترونهم) وهو أحد أسباب إغوائه وتمكنه من فعل الوسوسة أنه يرى ولا يُرى فيترصد للإنسان ويقعد له عند كل صراط.

وجاء في الكافي وصحيح البخاري وغيرهما قول النبي ﷺ في صفة الشيطان: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم. انتهى. مصورا بذلك دقة مسلك الشيطان وخفاء سربه.

وفي الكشاف عن مالك بن دينار: إن عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة إلا من عصم الله. انتهى. وبعضهم ذكره لقتادة.

ولا ريب في أن العدو الذي لا يُرى لا يُعرف قصده في الكيد والإغواء، فيكون أجدر بالحذر فيما لو وجد المرء في نفسه الوساوس، فربما كان ذلك من الشيطان.

قوله (إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) الإخبار من الله لطمأنة المؤمنين، في جعل سلطان الشياطين على الذين يتولونه ويتبعونه من غير المؤمنين، وأما ولايته على المؤمنين فهي مؤقتة في حال الافتتان به.

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

قوله (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا) حين ذكر الذين لا يؤمنون وأولياء الشيطان رجع الحديث عن المشركين بالتفات له صلة بما سبق فهو رجوع من الخطاب العام للآدميين إلى خطاب النبي ﷺ لتوجيه أمته.

والفاحشة تقال لما يستقبح من المعاصي، وقولهم تعليل لتمسكهم بأعمالهم القبيحة بأنها سنة ورثوها من آبائهم، فحسبوها صحيحة تعصبا لآبائهم.

وذكر أهل التفسير في سبب نزول الآية أن عرب الجاهلية كانوا يتعرون في طوافهم بالبيت الحرام نهارا للرجال وليلا للنساء، ويدّعون أن أصل عريهم مستند إلى موروث قديم لآبائهم أمر الله به، وربما اعتلوا لذلك مما سمعوا من قصة إخراج آدم وحواء من الجنة، وقد حرم الإسلام هذا الفعل ومنع عادات الشرك وأهله من دخول البيت الحرام في سورة براءة التي بلغ بها أهل مكة وما حولها حين بعث الرسول ﷺ عليا عليه السلام بها.

قوله (والله أمرنا بها) العطف لأنه تعليل ثان، بادعاء جريء وافتراء على الله تعالى، أشد من السابق، ولهذا جرى التدرج في ايراده، وأمر الله نبيه بالرد عليه.

والباء في (بها) للتعدية، وضمير الهاء عائد إلى الفاحشة.

قوله (قل إن الله لا يأمر بالفحشاء) الأمر في قل للنبي ﷺ ردا على زعم المشركين، بأن الله تعالى يدعو إلى العمل الصالح ويأمر بالتقوى، ولا يأمر بالفحشاء.

قوله (أتقولون على الله ما لا تعلمون) الكلام من تتمة التلقين، والاستفهام لإنكار ما زعموا وتوبيخهم عليه، لأنه ادعاء بغير علم لم يوص به نبي ولم ينزل به وحي، وإظهار اسم الله في موقع الإضمار لتبشيع افترائهم.

قوله تعالى ﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ٢٩ ﴾

قوله (قل أمر ربي بالقسط) بعد نفي الأمر بالفحشاء أثبت الأمر بضده وهو الأمر بالقسط، وأمر الله مجاز عن آياته النازلة على نبيه بالوحي، والمتضمنة لأوامره ونواهيه، وإسناد لفظ الرب إلى ياء النبي للعناية والتشريف.

والقسط العدل، قال الراغب: القسط هو النصيب بالعدل كالنصف والنصفة قال: (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط - وأقيموا الوزن بالقسط) والقسط هو أن يأخذ قسط غيره، وذلك جور، والأقساط أن يعطي قسط غيره، وذلك إنصاف، ولذلك قيل: قسط الرجل إذا جار وأقسط إذا عدل قال: (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) وقال: (وأقسطوا إن الله يحب المقسطين). انتهى.

ومراد الكلام العدل والاعتدال، والقسط في العبادة الإخلاص في الدين وخلوص القلب من أي شرك.

قوله (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) العطف على معنى الأمر بمعنى: أقسطوا وأقيموا. والخطاب لعموم المؤمنين، وإقامة الوجوه مجاز مرسل يراد به التوجيه السليم الكلي للمؤمن الذي لا ينشغل منه جزء عن الحضور الإلهي، وذلك بالانقطاع التام إليه سبحانه، وخص الوجوه لأنه بها يتوجه الإنسان ولأنها أكرم ما عنده، والعندية الظرفية للمكان، أي: عن كل مكان يتخذ للسجود والصلاة.

قوله (وادعوه مخلصين له الدين) أي: واسألوا الله تعالى في حال من إخلاص الدين له بالانقطاع التام إليه وما يتخلله من تضرع صادق، والخلوص انتفاء الشوائب، ونصبه على الحال، وتعريف الدين للعهد ويراد به دين التوحيد والتسليم.

قوله (كما بدأكم تعودون) الكلام موقعه الحال من ضمير (مخلصين)، بمعنى: مقدرين عودكم كما بدئتم، والتشبيه يراد به تأكيد انفراد الله بابتداء الخلق وببعثهم بعد الموت، والمعنى: كما بدأ خلقكم من التراب ترجعون ترابا، أو بالوصل بما بعدها في الآية: كما نزلتم إلى الأرض فريقين: فريق هدى، وآخر فريق ضلالة تعودون إليه كذلك في يوم البعث.

قوله تعالى ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

قوله (فريقا هدى وفريقا حق عليه الضلالة) جملة حال من فعل العود في الآية السابقة كما ذكر الفراء. انتهى. فيلتحق معناها بما قبلها تعليلا لأمر البدء والعود.

وجملة فعل الهداية محلها الصفة للفريق الأول، وجملة فعل الحق كذلك موقعها الصفة للفريق الثاني، والعدول عن الفعل: أضل مقابل هدى إلى استعمال (حق) لتأكيد ضلال الكافرين الضالين.

قوله (إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) الفصل بالابتداء بحرف النسخ تعليل لثبوت الضلالة ولزومها لهم في قوله (حق عليهم الضلالة)، واتخاذهم الشياطين أولياء بمعنى طاعتهم له وانقيادهم لغوايته ووسوسته بالشرك بالله.

وقوله (ويحسبون أنهم مهتدون) العطف لأن الكلام من تتمة التعليل، والتفسير لمعنى تحقيق الضلالة لهم، كما قال سبحانه في موضع آخر: (قل هل ننبؤكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) [الكهف ١٠٤]، وقوله تعالى: (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) [البقرة ١٠٧].

فهي الغواية الحقيقية في اعتقاد ركوب الباطل حقا، وذلك ما يزينه لهم الشيطان، فيوهمهم أنهم على الهدى، بينما الحال أنهم في طريق الضلالة، لأن الشيطان يعلم أن الإنسان يميل إلى الحق والهدى فطرة، ولهذا تجد طرق الضلالة مما يخلط معها الحق دائما إيهاما للسذج واحتيالا عليهم.

وإلى هذا المعنى قوله عليه السلام في نهج البلاغة: وإني لعلى الطريق الواضح ألقطه لقطا. وفيه: أقمت لكم على سنن الحق في جواد المضلة. انتهى. لأن الحق واحد والباطل ألوانه متعددة.

قوله تعالى ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾

قوله (يا بني آدم) خطاب لعموم المكلفين في جميع الشرائع والأديان.

قوله (خذوا زينتكم عند كل مسجد) الأمر بفعل الأخذ كناية عن التمسك بلبس الجميل الطاهر من الثياب، أي: تزينوا بالثياب وقت كل صلاة وفي الجمعات والأعياد، بدلالة مجاز الكناية العندية لعموم المساجد التي يستفاد منها معنى الصلاة والعبادة، ويدخل في ضمن الأمر النهي عما كان يفعله أهل الشرك من الطوف في بيت الله عراة.

وروي في التبيان أن الحسن بن علي عليه السلام كان إذا قام إلى الصلاة، لبس أجود ثيابه، فقيل له: يا بن رسول الله، لم تلبس أجود ثيابك؟ فقال: إن الله

جميل يحب الجمال، فأتجمل لربي، وهو يقول (خذوا زينتكم عند كل مسجد) فأحب أن ألبس أجود ثيابي. انتهى.

قوله (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) أمران متصلان بالأكل والشرب للإباحة العامة في جميع المباحات، والنهي المعطوف على الأوامر لأن النهي عن الإسراف متضمن معنى الأمر بالاعتدال والاقتصاد، ولفظ الإسراف أصله في الإنفاق واستعمل في غيره مجازا، ويعني المبالغة في التصرف بالشيء، والمراد: لا تتجاوزوا مقدار النفع من الأكل والشرب، لما توقع المبالغة فيهما من الضرر المباشر على النفس، وربما أريد به النهي عن الإسراف عامة، غير أنه يبعد عن الاتصال بما قبله.

والكلام جامع لأطراف علوم الصحة للإنسان، لأن كل داء سببه الإسراف في الطعام، وقد ذكر في الكشاف وغيره: أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق، فقال ذات يوم لعلي بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم علمان: علم الأديان، وعلم الأبدان، فقال له علي: قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه، وهو قوله (كلوا واشربوا ولا تسرفوا)، فقال النصراني: ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب، فقال: قد جمع رسولنا ﷺ الطب في ألفاظ يسيرة، قال: وما هي؟ قال: قوله: المعدة بيت الداء، والحمية رأس كل دواء، واعط كل بدن ما عودته، فقال النصراني: ما ترك كتابكم، ولا نبيكم لجالينوس طبا. انتهى.

قوله (إنه لا يحب المسرفين) الفصل للتعليل، والإخبار التفات في الكلام من خطاب الحضور لعموم الآدميين إلى الغائب عن ذاته سبحانه بأسلوب التأكيد بالجملة الإسمية لإثبات رفع رحمته عن المبالغين في التبذير عامة، وبين لفظي الإسراف والمسرفين تجنيس اشتقاقي لافت للأسماع.

قوله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

قوله (قل من حرم زينة الله) الكلام من باب الالتفات إلى ذكر الحكم الخاص بأمة النبي ﷺ في تشريع حلية الزينة، وقوله قل: أي أخبرهم يا محمد على سبيل الاستفهام المنفي لتنبيه الأسماع وتعظيم فعل الاجتراء بتحريم ما أحله الله، وإضافة الزينة إلى لفظ الله إمعانا في حليتها.

قوله (التي أخرج لعباده) الإتيان بجملة الموصول لبيان علة الإنكار في الاستفهام. والجملة موقعها الصفة للفظ الزينة، تعظيما لها فهي ليست كأي زينة، وفعل الإخراج استعارة بالكناية عما يخرج من الزرع والحيوان في القطن والصوف، فكأنها كانت مخفية داخلة في الشيء فأخرجت بفعل المطر ونحوه، فألهم الله الإنسان لصنع ما يلبس منها من لبس مزين جميل.

واللام في (لعباده) بمعنى: لأجل، وإضافة العباد إلى هاء الجلالة للتعظيم.

قوله (والطيبات من الرزق) العطف لدخول الكلام ضمن فعل الإخراج، والطيبات كناية عن عموم المأكل والمشرب الحلال من مستلذات الرزق، و(من) للتبيين، وتعريف الرزق لعموم نعم الله من طيبات المأكل والمشرب.

قوله (قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا) لما نفى ضمنا من يحرم زينة الله أمر نبيه بالرد عليهم بذات الأمر بلفظ (قل): معبرا عما ذكر بضمير الفصل الراجع للزينة والطيبات، وجعلها ملكا للمؤمنين الذين كنى عنهم بصفتهم تكريما لهم، ولتأكيد ثبات معنى استحقاقهم لزينة الله وطيباته أورده بصيغة الإخبار بالجملة الإسمية.

قوله (خالصة يوم القيامة) نصب لفظ الخلوص على الحال، وإذا كان ثمة من يشارك المؤمنين فيما ذكر من الزينة والطيبات من الرزق في الحياة الدنيا فإنها خالصة لهم يوم القيامة جزاء وفاقا لأن مستقرهم الجنة وهي مثوى المؤمنين فقط.

قوله (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) أي: بمثل ذلك التفصيل نفصل الآيات. والتفصيل التبيين والإظهار، والآيات دلائل توحيده تعالى، واللام في (لقوم) للتعليل، ووصفهم بالعلم لأنهم الأكثر انتفاعا بالتفصيل.

قوله تعالى ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣ ﴾

قوله (قل إنما حرم ربي الفواحش) التلقين لذكر ما حرم الله بعدما ذكر ما أحله. وهي تدور مدار الأحكام العامة في التحريم والتحليل. والتأكيد بالحصر بـ (إنما) للإشارة إلى شدة حرمة ارتكاب الفواحش وهي ما استقبح من المعاصي أي ما تعلق بذكر السوءة لأنها أصل الحديث، كالزنا واللواط وما يشقق عنهما، والتحريم المنع الشرعي، وإضافة الرب إلى ياء النبي ﷺ لأجدريته بتلقي الحكم من ربه، والفواحش جمع فاحشة وهو قبائح المعاصي.

قوله (ما ظهر منها وما بطن) كناية عن الزنا في العلن، والإسرار فيه باتخاذ الأخدان، وبين جملتي الموصول تقابل بديعي لافت.

قوله (والإثم) العطف لدخول اللفظ في التحريم، والإثم إشارة إلى الخمر، لما يستلزم منه ذلك، وقال الأخفش منشدا:

شربت الإثم حتى ضل عقلي　　　كذاك الإثم يذهب بالعقول

قوله (والبغي بغير الحق) لفظ البغي يفيد معاني الظلم والإفساد والعدوان، فهو الاعتداء على الآخرين، وتقييده بنفي الحق عنه لإخراج معنى الدفاع عن النفس منه، ورد العدوان والقصاص.

قوله (وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) العطف على التحريم، وكل إشراك بالله فهو غير قائم على حجة ولا برهان، وإنما ذكر ذلك لإفادة التهكم، لأنه لا يجوز أن ينزل برهانا بأن يشرك به غيره، والتأخير بذكر الشرك بالله ليس على سبيل تأخير الرتب، بل بسبب تقسيم المحرمات إلى قسمين: تحريم من جهة الأفعال وهي ما ذكرها بدءا من ارتكاب الفواحش والاثم والبغي، وتحريم من جهة الأقوال كالشرك بالله والافتراء عليه سبحانه.

قوله (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) إشارة إلى تقولهم على الله ما لم يقل به في الآية السابقة (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها).

قوله تعالى ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

وقوله (ولكل أمة أجل) الواو للعطف على قوله تعالى (فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون)، والكلام وعيد لأهل مكة بالعذاب النازل في أجل معلوم، وفيه تسلية للنبي ﷺ في تأخير عذاب الكفار.

ولفظ الأجل بمعنى المدة المضروبة لنهايتهم بالموت، وإنما لم يقل: لكل أحد أجل، لأنه أراد إهلاكهم باستئصالهم جماعة، وذكر الأمة يقتضي تقارب أعمار ذلك العصر.

قوله (فإذا جاء أجلهم) الفاء لتفريع الشرط على الإخبار، ومجيء الأجل كناية عن قرب الموت والهلاك.

قوله (لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) جملة النفي جواب الشرط، والسين والتاء في فعل التأخير والتقديم للمبالغة في النفي، تأكيدا لحتمية حلول ساعة الموت، ولفظ الساعة بمعنى البرهة من الزمن، لأنها أقل الأوقات في استعمال الناس.

قوله تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ ﴾

قوله (يا بني آدم) خطاب عام لجميع المكلفين تهيئة لاستقبال ما سيلقى عليهم من ذكر النعم الدينية بعد ذكر النعم الدنيوية.

قوله (إما يأتينكم رسل منكم) معنى (إما): إن الشرطية الداخلة على (ما) لتوكيد معنى الشرط ولذلك تأتي معها نون الثقيلة أو الخفيفة، وأسلوب الشرط أبلغ في توضيح المقصد هنا والمعنى: إن جاءكم رسل من جنسكم تعرفونهم ويعرفونكم، يبلغونكم حججي ودلائل توحيدي، وجملة الإتيان فعل الشرط، وجزاؤه الفاء وما بعده من الشرط والجزاء في قوله (فمن اتقى

وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي جملة الشرط هذه تقوم مقام الجزاء لفعل الشرط الأول.

قوله (يقصون عليكم آياتي) جملة القص موقعها الحال بمعنى: قاصين. والقص الإخبار والتبليغ لآيات الله ومعجزاته للناس، وحرف الجر في (عليكم) للتمكن، وضمير جمع المخاطبين راجع إلى بني آدم، وإضافة الآيات إلى ياء الجلالة للتعظيم.

قوله (فمن اتقى وأصلح) الفاء للتفريع، و(من) اسم شرط، وفعل الشرط بمعنى: من اتقى إنكار الرسل وأصلح عمله.

قوله (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) الفاء واقعة في جواب (من)، والنفي لمطلق الخوف والحزن عنهم يوم القيامة لأنهم في أمان تام، وضمائر الجمع عائدة إلى ضمير العموم في اسم الشرط.

قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

قوله (والذين كذبوا بآياتنا) العطف على ما تقدم من صفة المؤمنين بذكر المكذبين لإتمام الفائدة، والمكذبون بآيات الله الجاحدون بدلائل التوحيد الكافرون بها.

قوله (واستكبروا عنها) الواو للعطف، والاستكبار الاستعلاء المتضمن الإعراض عن آيات الله لذلك عدي الفعل بحرف التجاوز.

قوله (أولئك أصحاب النار) لفظ الإشارة لتمييز الكافرين المستكبرين لجدارتهم بالجزاء، والجملة خبر الابتداء، والصاحب الملازم، والكلام إشارة إلى خلودهم في النار يوم القيامة.

قوله (هم فيها خالدون) ضمير الفصل للتأكيد، وحرف الجر (في) للظرفية الضمنية، وضمير الهاء عائد إلى النار، وخلودهم فيها لدوام بقائهم فيها.

قوله تعالى ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ٣٧ ﴾

قوله (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته) الفاء لتفريع الكلام عن الخطاب الأخير لبني آدم لبيان عاقبة التكذيب على الله وإنكار حججه.

والاستفهام إنكاري لتهويل التكذيب على الله وتكذيب آياته بتقدير: لا أحد أظلم. فهو في ظاهره أسلوب إنشائي ولكن يراد به الإخبار، و(ممن) مكونة من حرف الابتداء (من) واسم الموصول (من)، والافتراء اختلاق الكذب على الله، والإتيان بجملة الموصول وصلته لبيان علة الإنكار في اسم

الاستفهام، ونصب لفظ الكذب للمفعولية لأن الافتراء بمعنى: كذب على الله كذبا، والترديد بـ (أو) لأن الكذب بآيات الله داخل في شدة الظلم، وفعل التكذيب متضمن بمعنى الجحد لذلك تعدى بالباء.

قوله (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) لفظ الإشارة لتمييز المذكورين لجدارتهم بالجزاء، وفعل النيل بمعنى الإصابة والإيصال، والنصيب الحظ، أي يصلهم ولا يخطئهم، وحرف الجر (من) للابتداء، ولفظ الكتاب بمعنى القدر المكتوب لهم من خير وشر.

قوله (حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) تفيد (حتى) انتهاء غاية لإفادة كلام ابتداء لغاية جديدة، و(إذا) للشرط، ومجيء الرسل كناية عن التبليغ، وأريد بالرسل الملائكة، وجملة فعل التوفي محلها المحال من (رسلنا)، والتوفية تمام المدة، ويراد به قبض أرواحهم بعد نهاية مدتهم المضروبة لهم في الحياة الدنيا بتمامها.

قوله (قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله) جملة فعل القول جواب الشرط، وفاعل (قالوا) الملائكة سألوهم عن أصنامهم التي اتخذوها آلهة من دون الله على سبيل التوبيخ، والإتيان باسم موصول وصلته للتهكم.

قوله (قالوا ضلوا عنا) واو الجمع في فعل القول راجع إلى الكافرين، وفي فعل الضلال راجع إلى الأصنام، والمعنى: أضعناهم فتاهوا عنا فليس ثمة من ينصرنا أو يدفع عنا العذاب.

قوله (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) أي: وأقروا على أنفسهم ببطلان ما كانوا يعبدون فاعترفوا بكفرهم، وفصل جملة (أن) لأنها جملة مفسرة لفعل الشهادة.

قوله تعالى ﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

قوله (قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم) الفصل لأسلوب المحورة، أي: بعد اعترافهم على أنفسهم بالضلالة خاطبهم الله تعالى بدلالة ما بعده، والأمر بالدخول من الله تعالى مجاز عن الإلقاء في النار، و(في) للظرفية المجازية، والمعنى: ادخلوا جهنم في جملة أقوام وجماعات سبقتكم في الدخول إلى العذاب.

و(قد) حرف تحقيق لتأكيد الكلام، وفعل الخلو بمعنى المضي، و(من) زائدة للتـأكيد. والظرف المقترن بضمير خطابهم بمعنى السبق، والجملة مقامها الصفة للفظ الأمم. قوله (من الجن والإنس في النار) تفيد (من) التبيين، والجن كائنات شفافة غير مرئية يغلب عليها فعل الشر كما أن الملك يغلب عليه فعل الخير، ولفظ الإنس جمع إنسان سمي بذلك لأنسه بالإنسان، وشبه الجملة (في النار) بدل من (في أمم).

وقوله (كلما دخلت أمة لعنت أختها) الفصل للاستئناف في تفصيل أحوال الأمم الداخلة في النار، والأمة الجماعة من الناس يجمعها المعتقد أو الرقعة من الأرض، واللعن الدعاء بالطرد من رحمة الله، والأخت المثل، باعتبار الشبه في فعل الكفر والجزاء في دخول النار.

والمعنى: كلما دخلت أمة منهم تخاصمت معهم ولعن بعضهم بعضا، وهم يتخاصمون ويتلاعنون لأن كل أحد يرمي بالتبعة على صاحبه، فالأتباع يلعنون رؤساءهم، والمتبوعون يتبرؤون من أتباعهم.

قوله (حتى إذا اداركوا فيها جميعا) تفيد (حتى) الابتداء، و(إذا) للظرفية الشرطية، وتضعيف (اداركوا) بمعنى تداركوا، اي: أدرك بعضهم بعضا وتجمعوا، وحرف الجر في (فيها) للظرفية المجازية، وضمير الهاء راجع إلى النار، ولفظ الجميع للتأكيد انتصب على الحال.

قوله (قالت أخراهم لأولاهم) الجملة جواب الشرط، وضمير التاء في (قالت) عائد إلى الأمم، ولفظ الأخرى والأولى صفتان مؤنثتان لموصوف محذوف تقديره: الطائفة أو الأمة، والمعنى: قالت أخرى الأمم دخولا النار وهم الأتباع لأولى الأمم دخولا وهم القادة والرؤساء، واللام في (لأولاهم) بمعنى الأجل، لأن قولهم خاطبوا به ربهم.

قوله (ربنا هؤلاء أضلونا) خاطبوا ربهم بإضافة لفظ الرب إلى نون جمعهم لأنهم مضطرون للاعتراف بربوبيته، ولفظ الإشارة يراد به تمييز أئمة الضلالة وهم المتبوعون، وإسناد الإضلال إلى رؤساء الأتباع على أساس

لأنهم كانوا قادتهم يأمرونهم ويدعونهم إلى عبادة غير الله، والكلام محاولة من الأتباع لتخفيف العذاب عن أنفسهم.

قوله (فآتهم عذابا ضعفا من النار) الكلام من الحكاية لتمام قول الأتباع، والفاء تفريع على الإخبار تفيد السبب، والإيتاء الإعطاء، والمخاطب الله على سبيل دعائه والطلب منه، أي: جازهم عذابا مضاعفا مبالغة في عقابهم، والضعف تكرار المثل أو الزيادة على الشيء بمثله أو بغيره، و (من) للابتداء، وتعريف النار للعهد، أي: نار جهنم.

قوله (قال لكل ضعف) فاعل (قال) الله تعالى، إجابة لهم، أي: للتابع والمتبوع عذاب مضاعف بسبب كفرهم، وتنوين لفظ العموم لأنه قطع عن الإضافة.

قوله (ولكن لا تعلمون) العطف على ما تقدم، والاستدراك بنفي العلم عنهم لأن الأتباع جهلوا أن طاعتهم كانت سببا في زيادة إضلال المتبوعين، وذلك من خفايا الأمور.

قوله تعالى ﴿ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

قوله (وقالت أولاهم لأخراهم) العطف لاتصال الكلام عن أحوال محاورة الضالين، والكلام حكاية عن تلاوم الكافرين يوم الحساب، و(أولاهم) أي: أولى الجماعة، إشارة إلى الرؤساء والقادة والمتبوعين يردون عليهم، وهم

في النار تصويرا لتخاصمهم، واللام في (لأخراهم) لتعدي الفعل، وأخراهم: أخرى الجماعة وهم الأتباع.

قوله (فما كان لكم علينا فضل) الفاء فاء الفصيحة، أي: نفي التفاوت في الكفر، فينقص من عذاب الأتباع ويزيد في عذاب المتبوعين، وهو إقرار منهم بيأسهم بالكفر، وتقديم (لكم) و(علينا) للأهمية، والفضل الزيادة على عمل الخير للغير، وتنكيره لنفي العموم.

قوله (فذوقوا العذاب) الفاء للعطف الترتيبي في الكلام من تتمة الحكاية عن قول المتبوعين، وفعل الذوق للسان، ولكثرة استعماله وقع فيما هو مكروه، وإذاقة العذاب لإفادة التلبس به، وتعريف لفظ العذاب للعهد.

قوله (بما كنتم تكسبون) الباء للسبب، والكسب العمل حسنه وسيئه، والخطاب من المتبوعين لأتباعهم، تشديدا بالتأكيد على أن ذلك الضلال كان من اختيارهم وليس بسبب الرؤساء، ردا على إلقاء اللائمة عليهم.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤٠ ﴾

قوله (إن الذين كذبوا بآياتنا) استئناف ابتدائي، وتأكيد بالإخبار عن المكذبين المنكرين رسل الله وآياته، وإسناد الآيات إلى لفظ الجلالة زيادة في تعظيمها.

قوله (واستكبروا عنها) أي: جعلوا أنفسهم أعلى من أن يقبلوها.

قوله (لا تفتّح لهم أبواب السماء) جملة النفي محلها الخبر لاسم الموصول، واستعمال فعل الفتح المضعف لإفادة نفي العموم، أي: لا تفتح أبواب السماء لاستقبال أرواحهم وأعمالهم، وفعل الفتح استعارة بالكناية عن الرحمة والأمان والجنة، والمراد تصوير حرمان المكذبين من منن الله لأنها موصدة بوجههم.

قوله (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) الواو للعطف، و(لا) لمطلق النفي عن دخول المكذبين الجنة، وتعريف الجنة للعهد الحضوري. و(حتى) للابتداء. والولوج الدخول في مضيق. قاله الراغب. انتهى.

والجمل الحيوان المعروف، قال الراغب أيضا: والجمل يقال للبعير إذا بزل وجمعه جمال وأجمال وجمالة، قال الله تعالى: (حتى يلج الجمل في سم الخياط) وقوله (جمالات صفر) جمع جمالة، والجمالة جمع جمل، وقرئ جمالات بالضم وقيل هي القلوص، والجامل قطعة من الإبل معها راعيها. انتهى.

والسم بفتح السين وضمها الثقب، ومنه السم القاتل لنفاذه في البدن بلطافة، وكل ثقب في البدن لطيف فهو سم، وجمعه سموم، قال الفرزدق:

فنفست عن سميه حتى تنفسا   وقلت له لا تخش شيئا ورائيا

يريد بسميه: ثقبي أنفه، والخياط والمخيط الإبرة.

والكلام مثل يضرب في المحال والتبعيد للشيء كما يقولون حتى يشيب الغراب، أي: استحالة دخول الكافرين الجنة مثل استحالة دخول الجمل في ثقب الإبرة، وقيل في الجمل إنه الحيوان المعروف على أساس تباين حجمه وحجم ثقب الإبرة، وقد يراد به حبل السفينة الغليظ وهو الأنسب هنا لمناسبته مع سم الخياط.

قوله (وكذلك نجزي المجرمين) أي: وبمثل ذلك الصد للمكذبين بنفي فتح الأبواب نجزي سائر المجرمين المكذبين بآياتنا، والجزاء المقابلة بالمثل.

قوله تعالى ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾

قوله (لهم من جهنم مهاد) اللام في (لهم) أي: للمكذبين، وحرف الجر (من) للابتداء، وجهنم اسم علم للنار يراد به قعرها لأنها أشد إيلاما، ولفظ المهاد الوطاء الذي يفترش، ومنه مهد الصبي، والمعنى: أن المضجع والفراش للمكذبين يكون من قعر نار جهنم وشدتها.

قوله (ومن فوقهم غواش) وحرف الجر (من) زائدة للتأكيد، ولفظ الفوق ظرف مكاني مشار به لأعلى الشيء، يقابل أسفله وهو الوطاء، ومراد الكلام إحاطة النار بهم من كل جانب، والغواشي جمع غاشية وهي الستر ويراد به اللحاف، وهو من تصوير السرير الفاره في عالم الدنيا نكاية بهم وغلظة في عذابهم.

قوله (وكذلك نجزي الظالمين) أي: وكذلك العقاب يكون مجازاة المشركين، والشرك الظلم العظيم.

قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

قوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) الواو للعطف بذكر صفة المؤمنين بعد ذكر الكافرين إتماما لفائدة الكلام، واقتران العمل الصالح بصفة الإيمان دائما في الخطاب القرآني دليل لكمال إيمان المؤمن.

قوله (لا نكلف نفسا إلا وسعها) الجملة معترضة بين الابتداء والإخبار لفائدة طمأنة المؤمنين بعد ذكر الجمع بين الإيمان والعمل الصالح لدخول الجنة.

والكلام مشدد بنفي تحميل النفس ما يشق عليها من تكاليف إلا بمقدار ما يسعها، لطفا من الله بها، فهي قد تنحرف عن الصواب لسهو أو جهالة أو غفلة، لأنها ما فتئت تغالب الدنيا في أمر دينها، والله هو خالق الإنسان

ويعلم ضعفها أمام قوى الشهوات وكثرة النزوات، ولذا جعل باب توبته مفتوحا ليعود المكلف إلى هداه.

قوله (أولئك أصحاب الجنة) لفظ الإشارة جيء به لتعظيمهم وتمييزهم لجدارتهم بالإخبار، والأصحاب تقال لملازمتهم المكث في الجنة.

قوله (هم فيها خالدون) الجملة موقعها الحال، وضمير الفصل للتأكيد، وحرف الجر (فيها) للظرفية المجازية، والهاء عائد على الجنة، والخلود دوام البقاء.

قوله تعالى ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

قوله (ونزعنا ما في صدورهم من غل) الواو لعطف جملة على أخرى من أحوال المؤمنين، وفعل النزع معناه الجذب للشيء من مقره، ويستعمل للأعراض، لكنه جيء به على سبيل الاستعارة بالكناية، والمراد خلوص أصحاب الجنة من كل ما يشين نفوسهم من خبائث السرائر كالبغض والحقد والحسد التي قد تصيب طبيعة الإنسان، وتفيد (ما) مطلق الغل المنزوع.

والغل العداوة، والغلل كما قال الراغب: أصله تدرع الشيء وتوسطه ومنه الغلل للماء الجاري بين الشجر. انتهى.

و(في) للظرفية المجازية، وذكر الصدور مجاز في إرادة مطلق الإدراكات النفسية والباطنية، وحرف الجر (من) لإفادة عموم النفي، وتنكير لفظ الغل لإفادة العموم.

قوله (تجري من تحتهم الأنهار) مقام الجملة الحال من قوله (هم فيها خالدون)، وهو تفصيل لوصف نعيم سكناهم وعلو قصورهم، مما لا تتوهمه النفوس من صفة صفاء المكان ونقائه وخضاره وجريان مائه.

قوله (وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا) الواو للعطف على جملة (أولئك أصحاب الجنة)، والكلام حكاية عن دعاء المؤمنين ورضا نفوسهم وذوبانها في نعيم الرضا من الله تلذذا بشكره إذ لا تكليف لهم هناك، فهم عرفوا سر نعيمهم بحمدهم الله على هدايته لهم صراطه السوي الذي أوصلهم إلى ما هم فيه، وتعريف الحمد لإفادة الجنس، واللام المقترن بلفظ الجلالة للاستحقاق، وجملة الموصول لتعليل الإخبار بالحمد، والهداية الإلهام لطريق الصواب، واللام المقترن بلفظ الإشارة للعلة، واسم الإشارة للتنويه بيوم القيامة والجزاء على الإيمان بالجنة.

قوله (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) الواو للحال، ونفي مضي الكون واللام الداخلة في خبرها للنفي المشدد عن إمكان الهداية لولا مشيئة الله في الشمول بألطافه.

قوله (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) استئناف مؤكد بحرف التحقيق والقسم لأهمية الإخبار، ومجيء رسل الله إشارة إلى تبشير المؤمنين بهذا اليوم، لأن فيه ينتصفون من ظالميهم وفيه يجزون على النعيم وحدهم لا يشاركهم فيه أحد كما في عالم الدنيا، والباء المقترن بلفظ الحق للمصاحبة.

قوله (ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها) الواو للعطف على جملة الحال، ومقامها حال ثانية، والنداء بحذف فاعله إشارة إلى الصوت من العزة والجلالة برضاه عنهم، والإشارة بتلكم بلفظ البعيد لتعظيم الجنة كونهم وعدوا بها في الدنيا، ولأنها ليست مما ينال بيسر بل بعمل ومشقة مخالفة الهوى في عالم الدنيا.

قوله (أورثتموها) الجملة مقامها الصفة للجنة، وفعل الإرث استعارة للمؤمنين الفائزين بملك الجنة، قال في الميزان: فكون الجنة إرثا لهم أورثوها معناه كونها خلقت معروضة لأن يكسبها بالعمل المؤمن والكافر جميعا، غير أن الكافر زال عنها بشركه ومعاصيه، فتركها، فبقيت للمؤمن، فهو الوارث لها بعمله، ولولا عمله لم يرثها. انتهى. وضمير الجمع في فعل الإرث مفعول أول، ومفعوله الثاني ضمير الهاء العائد إلى الجنة.

قوله (بما كنتم تعملون) أي: بسبب أعمالكم الحسنة في عالم التكليف.

قوله تعالى ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

قوله (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) العطف لقصة على أخرى لبيان عواقب الأعمال من طريق الحوار بين أهل الجنة وأهل النار.

وفعل التنادي أصله رفع الصوت، ونداء أصحاب الجنة لأهل النار يدخل في باب السخرية والاستهزاء بهم، والصحبة الملازمة، وتعريف الجنة والنار للعهد، وبينهما طباق بديعي.

وقوله (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا) تفيد (أن) والفعل، معنى التفسير للنداء، وإيراد فعل الوجدان والوعد بصيغة الماضي لتحقيق المعنى، فأنزل ما سيكون بمنزلة الكائن لحتمية وقوعه، وهو أبلغ في الردع.

وما وجده أصحاب الجنة هو تحقيق البشارة بدخولهم الجنة التي كانوا يوعدون بها من رسلهم.

قوله (فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا) الفاء لتفريع سؤال أهل الجنة لأهل النار على ما مضى من أخبار، وحكاية السؤال من باب الاستخفاف بأصحاب النار، لأن الكفار كانوا يكذبون المؤمنين فيما يدعون لأنفسهم من

الثواب ولهم من العقاب، فهو سؤال توبيخ وشماتة يريد به سرور أهل الجنة، وحسرة أهل النار.

وأبقي على المفعول في وعد الله للمؤمنين وهو نون الجمع في (وعدنا)، وحذفه من وعد الكافرين في قوله (وعد ربكم) للإشارة إلى أن الوعد الخاص بهم بدخول الجنة تحقق، لأن الله لم يعد الكافرين بدخولها إلا بشرط الإيمان، بينما الوعد العام بالبعث والنشور يشمل المؤمنين والكافرين جميعهم.

قوله (قالوا نعم) القول حكاية عن إيجاب أصحاب النار بتحقق العقاب فيهم، للسؤال بـ (هل).

قوله (فأذن مؤذن بينهم) الفاء للترتيب الكلامي، لأن الأذان أعقب الفراغ من المحاورة، والأذان أصله الإعلام برفع الصوت، والمؤذن المعلن الرافع لصوته وتنكيره لتعظيمه، والظرف (بينهم) متضمن معنى الإسماع.

قوله (أن لعنة الله على الظالمين) الفصل لأنه مقول القول المتضمن في معنى الأذان، والمعنى: نادى مناد لإسماع الفريقين بنداء اللعنة على الظالمين. أي غضب الله وسخطه وأليم عقابه على الظالمين الكافرين المشركين، فكلها صفات تتحقق في معنى الظلم، واللعنة الطرد من رحمة الله، و(على) لتسلط اللعن على الظالمين المشركين.

ونفي تخصيص أي الفريقين باللعن لأنه واضح فأورد النداء خبرا مسلما به، والمؤذن كناية عن اسم رجل ليس من الجن ولا الملائكة ذكر في

التبيان وغيره: إنه علي بن أبي طالب (عليه السلام) على أصح الأقوال والمأثور من روايات أهل البيت عليهم السلام. انتهى.

وفي معاني الأخبار ـ والدر النظيم وغيره ـ بإسناده عن جابر الجعفي عن أبي جعفر محمد بن علي (عليه السلام) قال: خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالكوفة منصرفه من النهروان وبلغه أن معاوية يسبه ويعيبه ويقتل أصحابه فقام خطيبا، وذكر الخطبة إلى أن قال فيها: وأنا المؤذن في الدنيا والآخرة قال الله عز وجل: (فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين) أنا ذلك المؤذن، قال: (وأذان من الله ورسوله) أنا ذلك الأذان. انتهى.

وذكر في مناقب ابن شهر آشوب، وشواهد التنزيل للحسكاني وغيرهما في التفاسير كتفسير فرات الكوفي ومجمع البيان عن ابن عباس قوله: إن لعلي (عليه السلام) في كتاب الله أسماء لا يعرفها الناس، قوله: (فأذن مؤذن) فهو المؤذن بينهم، يقول: ألا لعنة الله على الذين كذبوا بولايتي واستخفوا بحقي. انتهى.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

قوله (الذين يصدون عن سبيل الله) اسم الموصول بيان أو صفة للظالمين الذين نودي عليهم باللعن، فهم ضالون مضلون لم يؤمنوا بالله ومنعوا الناس

من أن يؤمنوا، والصد أصله المنع، و(عن) حرف تجاوز، وسبيل الله كناية عن طريق الحق والإسلام وسبيل محمد والأئمة المعصومين عليهم السلام.

قوله (ويبغونها عوجا) الواو للعطف على فعل الصد، والبغي الطلب، وضمير الهاء راجع إلى دعوة التوحيد، ولفظ العوج الميلان عن الاستقامة والاعتدال، استعارة للمنافقين الذين أرادوا الانحراف بالدين عن صراطه السوي إلى مصالحهم الخاصة بوضع الشُبَه والفتن، ونصب اللفظ على الحال.

قوله (وهم بالآخرة كافرون) الواو للعطف، والجملة الإسمية موقعها الصفة لضمير الجمع في اسم الموصول، ونكران المعاد من صفات المشركين الثابتة في نفوسهم، وضمير الشأن للتأكيد، وتقديم المعمول للأهمية، والباء متعلق بلفظ الكفر لتضمنه معنى الجحد.

قوله تعالى ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

قوله (وبينهما حجاب) أي: وبين أصحاب الجنة وأصحاب النار حاجز مرتفع وهو الأعراف، يحجب رؤية بعضهما بعضا ولذلك يتنادون فيما بينهم، وتنكير لفظ الحجاب للتعظيم.

وفي موضع آخر قوله تعالى (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) [الحديد ١٣].

قوله (وعلى الأعراف رجال) الواو للعطف، و(على) مجاز للاستعلاء، والأعراف جمع عرف، ويراد بها الأمكنة المرتفعة، لأنه بظهوره أعرف مما انخفض، وتعريف اللفظ للعهد، والرجال جمع رجل وتنكيره للتعظيم لأنه إشارة إلى نوعية من الرجال بصفات خاصة أقامهم الله على هذا السور المرتفع.

قوله (يعرفون كلا بسيماهم) فعل المعرفة بمعنى التمييز، ولفظ الكل للعموم، ونصبه لقطعه عن الإضافة، والباء المقترن بلفظ السيماء للسبب، والسيماء والسيمياء هي العلامة، والمعنى: أن هؤلاء الرجال المستشرفين على الأعراف يميزون كل واحد من أهل الجنة أو أهل النار بعلامات تبدو عليهم من بياض الوجه أو سواده.

قوله (ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم) أي: رجال الأعراف، يحيون أهل الإيمان الذين سيدخلون الجنة بتحية أهل الجنة وهي السلام طمأنة لنفوسهم.

قوله (لم يدخلوها وهم يطمعون) جملة النفي مقامها الحال من أصحاب الجنة، والمعنى: هم يرون الجنة ولما يدخلوها بعد ونفوسهم تتطلع إليها شوقا وطمعا. وضمائر الجمع كلها راجعة إلى أصحاب الجنة، وضمير الهاء في فعل الدخول راجع إلى الجنة. وجملة (وهم يطمعون) مقامها الحال من ضمير (يدخلوها).

والآية وما بعدها من الثلاث آيات تشير إلى نداء أصحاب الأعراف للمؤمنين والكافرين في موقف الحساب قبل دخولهم الجنة أو النار.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

قوله (وإذا صرفت أبصارهم) الواو للعطف لاتصال الكلام عن أصحاب الأعراف، والصرف بمعنى العطف والالتفات، والضمير في الفعل يعود على المؤمنين الذين يطمعون في دخول الجنة، والأبصار جمع بصر وهي الحاسة المعروفة.

قوله (تلقاء أصحاب النار) أي: جهة أصحاب النار، لأن الكلام في موقف المحشر، كل في مكان متقابلين، قبل الأمر بالجزاء، وصرف البصر إلى جهتهم لهول المطلع، من دون إرادتهم، لذلك حذف فاعل الصرف.

قوله (قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) أي: المؤمنون يدعون ربهم ويسألونه تمييزهم عن الظالمين، وهو ما يؤكد أن الآية في موقف السؤال وقبل القضاء بدخول هذا الفريق إلى الجنة وذاك إلى النار، لأنهم الآن يرون بعضهم بعضا.

قوله تعالى ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

قوله (ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم) العطف بمعنى: وفي ذلك الموقف نادى أصحاب الأعراف أناسا ظالمين بأسمائهم معرفين عندهم بعلاماتهم، ولفظ الرجال على صفة التغليب والمراد أقوام يعرفون بسيماهم، وجملة المعرفة موقعها الصفة للرجال.

قوله (قالوا ما أغنى عنكم جمعكم) واو الجمع راجع إلى أصحاب الأعراف، وجملة النفي على جهة التوبيخ والتقريع لهم، أي لم ينفعكم اليوم جمعكم وسلطانكم ذاك في عالم الدنيا.

قوله (وما كنتم تستكبرون) العطف لدخول الكلام في النفي، أي: ولم ينفعكم استكباركم واستعلاؤكم على آيات الله.

قوله تعالى ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٤٩ ﴾

قوله (أهؤلاء الذين أقسمتم) الكلام من تتمة نداء أصحاب الأعراف، والاستفهام للتقرير، ولفظ الإشارة القريب يريد به المؤمنين المستضعفين الذين كان المستكبرون يستهزئون بهم في عالم الدنيا، وفعل القسم لأنهم كانوا يلقون زعمهم على وجه التأكيد المشدد.

قوله (لا ينالهم الله برحمة) الفصل لأنه مقول ما تضمنه فعل القسم من قول، فهو المقسم عليه، أي: الظالمون كانوا يقسمون في الدنيا ألا ثواب ولا جنة للمستضعفين المؤمنين على سبيل التهكم بهم، ونفي النيل بمعنى نفي

الإصابة، والباء المقترن بلفظ الرحمة للملابسة، وتنكير الرحمة لإفادة نوع من رعاية الله لهم وحفظه.

وسمى الجنة رحمة لأنها موضع رحمته، وهي من باب المجاز المرسل فقد أطلق الحال وهي الرحمة تحل في الجنة وأراد المحل، ومثلها في موضوع آخر من التنزيل (وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) [آل عمران ١٠٧].

قوله (ادخلوا الجنة) التفات بالكلام من خطاب الظالمين إلى خطاب المؤمنين، قام مقام الرد على إنكارهم وقسمهم الكاذب بعدم دخول المؤمنين الجنة.

قوله (لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) جملة النفي مقامها الحال، إشارة إلى خلودهم في النعيم الذي لا خوف من فواته ولا حزن فيه من منع أو فقد.

ورجال الأعراف لم يذكروا في الكتاب إلا في هذه الآيات الأربعة، وهم بتدبر الآيات يتميزون بخصائص:

أولا: أنهم مستشرفون في علو مطلعون على أهل الجنة وأهل النار.

ثانيا: أنهم يعرفون كل أحد من أهل الجنة أو النار بسيماهم في بياض الوجوه وسوادها، وعن الحسن عليه السلام: أنهم قوم جعلهم الله على تعريف أهل

الجنة والنار، يميزون بعضهم من بعض، والله لا أدري لعل بعضهم معنا في هذا البيت. ذكره الطبرسي، والرازي في تغيير بسيط. انتهى.

ثالثا: أنهم مأذون لهم إذنا خاصا بالكلام في موقف الحساب الذي لا يتكلم فيه أحد (إلا لمن أذن له الرحمن) فينادون أهل الجنة بالتحية ويوبخون الظالمين بظلمهم ويحاجونهم.

ومن مجموع الروايات المعتبرة التي تؤيد التدبر في آيات الكتاب العزيز يتضح أن رجال الأعراف هم الأئمة المعصومون، علي عليه السلام وأبناؤه صلوات الله عليهم، ومنها على سبيل الإشارة:

أولا: عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: يا علي كأني بك يوم القيامة، وبيدك عصا عوسج، تسوق قوما إلى الجنة وآخرين إلى النار. ذكر في التبيان. انتهى.

ثانيا: قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في علي عليه السلام: إن عليا عليه السلام قسيم النار والجنة. ذكر في أمالي المفيد، وغيره كثير. انتهى.

ثالثا: وروي عن الأصبغ بن نباته، قال: كنت جالسا عند علي عليه السلام، فأتاه ابن الكوا فسأله عن هذه الآية، فقال: ويحك يا ابن الكوا، نحن نقف يوم القيامة بين الجنة والنار، فمن ينصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنة، ومن أبغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النار. ذكر في البحار والمناقب. انتهى.

رابعا: وفي نهج البلاغة قول أمير المؤمنين (عليه السلام) مشيرا إلى الآية: وإنما الأئمة قوام الله على خلقه، وعرفاؤه على عباده، لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه. انتهى.

ويمكن الاستزادة من جملة من مصادر التفسير المنصفة في هذا الشأن.

وقيل في تفسير الأعراف غير ذلك مثل: هم الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم، أو هم أشراف الخلق، أو أهل الفترة، أو أبناء الزنا، وغير ذلك، وكلها لا تستقيم وما توضح في سياق الآيات.

قوله تعالى ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠ ﴾

قوله (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) الواو لعطف الكلام على ما سبقها من ذكر نداء أصحاب الجنة لأهل النار، لبيان صفة أهل النار وأحوالهم.

قوله (أن أفيضوا علينا من الماء) تفيد (أن) وما بعدها التفسير لجملة النداء، والفيض صب الماء من علو، فأهل الجنة في مرتفع من الدرجات وأهل النار في منخفض من الدركات، وخصوا الماء بطلبهم لظمئهم لأن النار محيطة بهم، وحرف الجر في (علينا) للاستعلاء المجازي، و(من) للابتداء لا للتبعيض لأن الإفاضة تنافيه.

قوله (او مما رزقكم الله) التخيير الثاني من سؤال الإفاضة لحاجتهم إلى الطعام لكونهم في جوع شديد، وتفيد (من) في (مما) التبعيض، ونسبة الرزق إلى الله لإفادة طيبه ولذته.

قوله (قالوا إن الله حرمهما على الكافرين) ضمير الجمع في فعل القول راجع إلى خزنة النار وهم الملائكة الموكلون بعذاب الكافرين، سمعوا المحاورة فأجابوهم.

وضمير التثنية في فعل التحريم عائد إلى طلبهم الماء والطعام، فهما محرمان عليهم نكالا بهم، وإيراد نفي الجواب بصيغة الإخبار أثبت في المنع من إيراده بصيغة النفي المباشر، لما في الجمل الإسمية من تحقيق للمعنى وثبوت.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

قوله (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا) اسم الموصول بيان أو صفة للفظ الكافرين في الآية السابقة، والمعنى: أن الكافرين يتصرفون بالدين على وفق أهوائهم فلا قيمة له عندهم مثل اللعب واللهو، واللعب قضاء الوقت بانتفاء القصد والانتفاع، واللهو الانشغال بما لا فائدة فيه، وتشبيه الدين بهما من التشبيه البليغ.

قوله (وغرتهم الحياة الدنيا) الواو للعطف لأنه وصف ثان، والغرور الخداع وإسناد فعله إلى الحياة الدنيا مجاز عقلي للمبالغة، والتقدير: غرتهم أعمالهم في الحياة الدنيا، والخداع لأنهم توهموا خلودهم في الدنيا ونسوا بفعل ملذات الدنيا أن الموت والحساب ينتظرهم، وأنها هي الحياة الحقيقية.

قوله (فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا) الفاء فاء الفصيحة على تقدير السؤال عن جزاء المغترين، ولفظ اليوم يراد به يوم القيامة ونصبه على الظرفية الزمانية، والنسيان نقيض الذكر، وفيه دلالة الترك، والمراد به: أن الله يتجاهلهم ولا يرحمهم كما تجاهلوا الاعتراف باليوم الآخر، والكلام من التشبيه، والرد بالمقابل.

قوله (وما كانوا بآياتنا يجحدون) العطف بمعنى: وننساهم بسبب جحودهم لآياتنا وحججنا التي نفصلها بإرسال المرسلين.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

قوله (ولقد جئناهم بكتاب) الواو للعطف، و(لقد) لقسم وتحقيق لأهمية الإخبار، وفعل المجيء بمعنى إرسال الرسول من الله ليبلغوهم بشريعة القرآن، والباء المقترن بلفظ الكتاب للمصاحبة، وتنكير الكتاب للتعظيم، ويراد به المكتوب.

قوله (فصلناه على علم) جملة التفصيل محلها الحال، وفعل التفصيل معناه التقطيع للكتاب والمراد به: إظهاره وتبيينه لأن في التقطيع يكون الإظهار أكثر عادة، وحرف الجر (على) للاستعلاء المجازي، ولفظ العلم بمعنى اليقين، أي: بأدلة وبراهين قائمة عن علم وليس تخمينا وظنا، أو بمعنى ونحن عالمون به، والظرف (على علم) محله الحال من فعل التفصيل.

قوله (هدى ورحمة) لفظ الهدى حال من (فصلناه)، وعطف عليه لفظ الرحمة، وتنكيرهما للتعظيم، والمعنى: أن القرآن سبيل هداية للمؤمنين وموضع رحمة من الله بهم.

قوله (لقوم يؤمنون) اللام للتعليل، لأن المؤمنين هم الأجدر بأن يكون الكتاب هدى ورحمة لهم، ولفظ القوم بمعنى الجماعة التي جمعها النسب أو السكن، ووصفه بجملة الإيمان لإفادة الثبات ودلالة الحضور في الفعل للاستمرار.

ومحصل معنى الآية مقامها التعليل لقضاء الله بنسيان الكافرين وتركهم للعذاب في الآية السابقة.

قوله تعالى ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ

لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٥٣﴾

قوله (هل ينظرون إلا تأويله) الاستفهام على سبيل النفي، أي لا ينتظر الكافرون آية إلا عاقبة الجزاء عليه، وما يؤول عاقبة أمورهم إليه، وقيل: إن تأويله ما وعدوا به من البعث والنشور، والحساب والعقاب.

قوله (يوم يأتي تأويله) جملة بيان للتأويل، ولفظ اليوم إشارة إلى يوم القيامة، ففيه إظهار عاقبة ما وعدوا به.

قوله (يقول الذين نسوه من قبل) أي: يقول المشركون، لأنهم هم الذين تجاهلوا العمل بالقرآن والإيمان به في عالم الدنيا.

قوله (قد جاءت رسل ربنا بالحق) اعتراف مؤكد منهم بعد فوات الأوان بصدق رسالة الرسول إليهم ووعيده لهم بعقاب الآخرة التي أنكروها.

وتفيد (قد) التحقيق، وجمع الرسل لإفادة مقال عموم الأمم لأن كل أمة أنكرت رسولها وجحدت ما تأيد به من معجزات، والباء المقترن بلفظ الحق للمصاحبة، والحق ما شهد العقل بصحته.

قوله (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) الفاء للتفريع، وحرف الاستفهام مجاز يراد به التمنّي، أي: ليت من يقف معنا ويشفع لنا عند الله، واللام في (لنا) للملك بمعنى: هل نملك، واللام الثانية بمعنى الأجل، و(من) زائدة للتأكيد،

والشفعاء السعاة في النفع، وتنكيره للتعظيم، والفاء المقترن بفعل الشفاعة للسببية.

قوله (أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل) الترديد تمني خيار ثان بعودتهم إلى عالم الدنيا لترك عبادة غير الله وترك استكبارهم وظلمهم، وفعل الرد بمعنى الرجوع إلى عالم الدنيا، والفاء في (فنعمل) للتفريع. وجملة النفي بغير بمعنى ترك الشرك بالله.

قوله (قد خسروا أنفسهم) جملة إخبار، تلخص نتيجة أعمال الكافرين موقعها التعليل للسؤال، وفعل الخسران استعارة من ضياع رأس المال، والمعنى: أن الكافرين باعوا أنفسهم بأبخس الأثمان بعنادهم وإصرارهم على الشرك والكفر، فأضاعوا حق أنفسهم في الدنيا والاخرة.

قوله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) العطف لأن الكلام المعطوف أظهر خسائر الكافرين يوم القيامة، ويراد به التهكم بهم، لأن المراد أن أصنامهم التي افتروها على الله شركاء له وشفعاء لهم أضاعتهم وتاهت عنهم كما تضل الإبل طريق راعيها، فظهر لهم بطلان عبادتهم وفقدان أثرها.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ

وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾

قوله (إن ربكم الله) استئناف ابتدائي دلالته التعليل للآيات السابقة في بيان عاقبة المكذبين، وذلك بذكر خلق الله للسموات والأرض وتهيئة الأرزاق للمخلوقين والواجب عليهم توحيده تعالى.

والابتداء بالتوكيد للإشارة إلى التشديد في ربوبية الله تعالى وملكه للعباد الذين وجه إليهم الخطاب، والتصريح بلفظ الله للإخبار بأن الاسم وحده دال على الربوبية المطلق وأنه لا يصح معه شريك، وأن الربوبية والألوهية مجموعة فيه وحده، ولا انفصال بينهما.

قوله (الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام) الإتيان بجملة الموصول وصلته لبيان علة الإخبار، وفعل الخلق معناه الايجاد والابتداء، فالله سبحانه هو الموجد لهذا النظام الفسيح والمعقد والمدبر لحركته بأحسن نظام، والاستقصاء بذكر السماوات والأرض لبيان كمال قدرته سبحانه، ومعنى ستة أيام أي بمقدار ستة أيام من أيام الدنيا، وقال في المجمع في سبب تقييد الخلق للسموات والأرض في ستة أيام مع إمكانه سبحانه في الخلق بلحظة، لأن: ترتيب الحوادث على إنشاء شيء بعد شيء، على ترتيب أدل على كون فاعله عالما مدبرا يصرفه على اختياره، ويجريه على مشيئته، وقيل: إنه سبحانه علم خلقه التثبت والرفق في الأمور، عن سعيد بن جبير. انتهى.

قوله (ثم استوى على العرش) تفيد (ثم) التراخي الرتبي في الكلام، والاستواء كناية عن تمكنه سبحانه واستيلائه وسيطرته، بعد خلق السموات والأرض، وحرف الجر (على) للاستعلاء المجازي، والعرش في اللغة السرير، واستعمل مجازا استعاريا لمقام سلطنته وملكه سبحانه.

قوله (يغشي الليل النهار) جملة الغشي موقعها الحال من اسم الله، أو التفسير لبيان كمال قدرته تعالى في تعاقب الليل والنهار، والغشاوة والغشاء الستر، بمعنى يلبس فيزيل، والفعل استعارة بجامع الاحتجاب والمنع، فشبه الليل بستر يحيط بالنهار ويمنع عنه الضوء مبالغة في إظلامه.

وفيه دلالة أن الليل هو الأصل، والنهار طارئ على الأرض، فهو لم يقل يغشي النهار الليل، وبين لفظي الليل والنهار طباق بديعي، وهما مفعولان لفاعلهما الله تعالى.

قوله (يطلبه حثيثا) الجملة محلها الحال أو البيان، والحثيث الجاد السريع، وفعل حضور الطلب من جميل الاستعارات المكنية التي أنسنت المعقول وصوّرته بهيأة العاقل، والصورة متحركة عيانية تنقل السامع إلى مُشاهِد لحركة الليل وهو يسرع في طلب النهار لإدراكه وغشيانه بظلامه، وهو من التوسع في التصوير.

قوله (والشمس والقمر والنجوم) نصب الشمس على تقدير: وخلق، وذكر الكواكب وخص منها الشمس والقمر، لأنهما مما يظهران للإنسان ويبدوان

في السماء، والنجوم لفظ عام لم يتخصص لأن منه ما هو أصغر وأبعد وأكثر من أن يحصى.

قوله (مسخرات بأمره) النصب على الحال، ولفظ التسخير التذليل والترويض، ويراد بها الانقياد إلى أوامر عظمة الله وتدبيره وصنعه، والباء في (بأمره) تفيد السببية، والأمر الشأن الخاص به تعالى.

قوله (ألا له الخلق والأمر) تفيد (ألا) التنبيه وتهيئة السامع، والخلق هو الايجاد والتدبير، وهو متعلق بالذوات، أما الأمر فهو الشأن الخاص سبحانه، الذي تبين فيه آثار الخلق، والخلق يقبل التدريج كما قال تعالى (خلق السموات والأرض في ستة أيام) بخلاف الأمر قال تعالى (وما أمرنا إلا واحدة كلمح البصر) [القمر ٥٠].

قوله (تبارك الله رب العالمين) تذييل لما سبق من خلق بثناء الله على نفسه، وفعل البركة دال على ثبوت الخير العميم، ودوامه، وربوبيته للعالمين صفة له جلت عظمته بملكه للعوالم المختلفة.

ومن عجيب نظم الآية وعمق دلالتها فيما ذكر من خلق العوالم المختلفة أن صدرها ابتدأ بتعريف الربوبية بالألوهية وتعليلها، وعجزها وصف الألوهية بالربوبية لما ذكر من خلق وعوالم وبيان لاستحقاقها.

قوله تعالى ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥ ﴾

قوله (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) الكلام نتيجة بعد ذكر دلائل التوحيد، والأمر بالدعاء شكل من أشكال الإقرار بعبودية الخلق لربهم، والتضرع التذلل والخضوع، والخفية والخفاء واحد، وهو الإسرار نقيض الإعلان، ونصب اللفظين على الحال والعطف على الحال، والمراد: توجهوا لربكم بالدعاء بتذلل وانقياد مخلصين متضرعين تضرعا بألسنتكم، تخشعا وسرا، أو أريد بالتضرع والخفية العلانية والسر.

وهذا التعليم الإلهي أجدر بأن يكون موجها لعباده المؤمنين دون عموم الناس.

وقوله (إنه لا يحب المعتدين) الابتداء بـ (إن) مشعر بالتعليل لما سبق، أي: لا يحب المبالغين في تجاوز الحد في الدعوات والعبادات، أو: لا يحب الصياح في الدعاء، ونفي الحب يراد به لازمه من نقيضه، أي: يقبل الدعاء بتخشع وإسرار.

قوله تعالى ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

قوله (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) الواو للعطف على قوله (ادعوا ربكم)، والنهي عن الإفساد في الأرض تعبير شامل يتضمن النهي عن القتل وضرب الأمن بترويع الناس، وفعل المعاصي والظلم وقطع الطريق ونحو ذلك، و(في) للظرفية المجازية، وتعريف الأرض للعموم،

والظرف (بعد إصلاحها) أي: بعد استقرار المؤمنين فيها بإرسال الرسل وإنزال الكتب، أو استقرارها باتباع أوامر الله ونواهيه، أو إصلاحها بالنبي ﷺ، وهو المروي عن الباقر عليه السلام كما ذكر في التبيان وغيره. انتهى.

قوله (وادعوه خوفا وطمعا) العطف بمعنى: واعبدوا الله خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه، والمراد ديمومة عبادة الله تعالى بكثرة دعواته على الحالين المجتمعين، لأن من عادة البشر أن يعبدوا الله أما دفعا لشر أو جلبا لمنفعة، لذلك كرر وجمع الطريقين منعا للمفسدة، ونصب لفظ الخوف والطمع على الحال والعطف على الحال.

قوله (إن رحمة الله قريب من المحسنين) الفصل لتعليل الأمر، ولفظ القرب مستعمل للأعيان، كناية عن شمول المحسنين بعفو الله، ولفظ القريب إخبار عن الرحمة، وليس (قريبة)، لأنه من صيغة المشبهة بالفعل التي يستوي فيها المذكر والمؤنث مثل رئيس وجريح، نحو قوله تعالى (لعل الساعة قريب) [الشورى ١٧]، أو كما قيل: إن الرحمة والعفو والغفران في معنى واحد.

وقيل: إن المراد بالرحمة المطر، والسياق لا يسعف هذا الرأي لأن لفظ (المحسنين) من الإحسان وهو النفع الذي يستحق به الحمد، فيكون المعنى: أن الرحمة واصلة لمن أحسن في عمله وخلصه مما يساء إليه.

قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

قوله (وهو الذي يرسل الرياح بشرا) العطف لبيان استحقاق الربوبية عودا على قوله تعالى (إن ربكم الله)، والضمير المنفصل (هو) للإشارة إلى ساحة العظمة والجلالة يفيد القصر، وكذا تعريف اسم الموصول قصر ثان، والإرسال الإطلاق، استعمل استعارة مكنية، فكأن الرياح إبل أمسكت لسفر ونحوه ثم أرسلت لشرب الماء، والرياح جمع دال على الكثرة استعمل في القرآن لكل ما هو خير بعكس الريح. نحو قوله تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح) [الحجر ٢٢]، و (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) [الروم ٤٦]، وما جاء بخلاف ذلك، جاء على الإفراد كقوله (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية) [الحاقة ٦] و(في عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) [الذاريات ٤١]، وروي في التبيان أن النبي ﷺ كان يقول: إذا هبت ريح: (اللهم اجعلها رياحا، ولا تجعلها ريحا). انتهى.

ونصب لفظ البشر على الحال، وهو استعارة بالكناية للخبر السعيد، فشبه المطر بإنسان غائب ينتظره أهله وبين يديه بشير يبشر بمقدمه. والمراد: نزول الماء من السماء بفعل إرسال الرياح إلى السحب لتغيث أرضا مجدبة تنتظر من يعيد إليها الحياة.

قوله (بين يدي رحمته) أي: من أمام رحمته كأن الله يسوق الرياح من قدامه، ليسقي ما يتسبب عن رحمته من ماء الأرض العاطشة.

قوله (حتى إذا أقلت سحابا ثقالا) تفيد (حتى) معنى الابتداء، وفعل الإقلال الحمل، والضمير عائد على الرياح، وهو من الاستعارات بالكناية، في تصوير الرياح وهي تحمل السحاب المملوء بالماء، وكذا قوله (ثقالا) استعارة بالكناية للماء الكثير، شبه الماء الكثير في السحاب بوزن ثقيل ثم حذف المشبه به وأشار إليه مما يخصه وهو الثقل بجامع كثافة الوزن في كل منهما، والمراد المبالغة في تصوير كم المياه في السحاب.

قوله (سقناه لبلد ميت) جملة السقي انتهاء لحرف الابتداء (حتى) وجواب لـ (إذا) الشرطية، والسوق القيادة من الخلف، وهو استعارة مكنية، شبه السحاب الثقيل بأنعام ثم حذف المشبه به وأشار إلى شيء مما يخصه وهو السوق، بجامع التمكن والجمع.

واللام المقترن بلفظ البلد تفيد غاية السوق، والبلد أرض مجتمع الناس المجموعين بالنسب أو المعتقد، ووصفه بالميت على سبيل المجاز الاستعاري عن انعدام الحياة في أرضه المجدبة بسبب خلو الماء منه.

قوله (فأنزلنا به الماء) الفاء للتعقيب، والإنزال هبوط ماء السحاب من السماء إلى الأرض، وتقديم (به) على عامله للأهمية، والباء للملابسة، وضمير الهاء عائد إلى البلد الميت.

قوله (فأخرجنا به من كل الثمرات) الفاء للترتيب الكلامي، والإخراج للشيء المضموم المخبوء. كأن النبات كانت تخبئه الأرض فأخرجه الله بإرسال المطر وإنبات الزرع، وفي الكلام حذف يقدر: أنزلنا الماء فسقيت الأرض ونما الزرع فأخرج ثمره، وقوله (من كل الثمرات) إشارة إلى أنواعها المتعددة مع أن الماء واحد والأرض واحدة.

قوله (كذلك نخرج الموتى) التشبيه ولفظ الإشارة بمعنى: بمثل ذلك المثال من إخراج الثمرات نخرج الموتى، وإخراج الموتى مجاز ليوم البعث والنشور من داخل أجداثهم في الأرض.

والجملة بمقام النتيجة لما تقدم من برهان أريد به إثبات هذه الحقيقة. فالكلام يحتج على منكري المعاد بإحياء الأرض بعد موتها كأنه بعث جزئي قال السيد الطباطبائي: وليس الأحياء الذين عرض لهم عارض الموت بمنعدمين من أصلهم، فإن أنفسهم وأرواحهم باقية محفوظة وإن تغيرت أبدانهم، كما أن النبات يتغير ما على وجه الأرض منها ويبقى ما في أصله من الروح الحية على انعزال من النشوء والنماء ثم تعود إليه حياته الفعالة). انتهى.

قوله (لعلكم تذكرون) أي: لكي تتذكروا وتتفكروا بأن من قدر على إحياء الأرض المجدبة فأنبت منها الأشجار وأخرج الثمار قادر على إحياء الموتى وبعثهم من جديد.

قوله تعالى ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

قوله (والبلد الطيب يخرج نباته) العطف لأن اتصال الآية بما سبقها من باب ضرب المثل في ترتب الأعمال الصالحة على الذوات الطيبة والعكس بالعكس.

ولفظ البلد معناه الأرض التي تجمع الخلق الكثير، والمعنى: الأرض الطيب ترابه يخرج زرعه حسنا ناميا زاكيا من غير كد أو عناء.

قوله (بإذن ربه) جملة الظرف من الجار والمجرور والإضافة موقعها الحال، أدل على العظمة ونفوذ الإرادة في إخراج النبات الزاكي من غير تعب.

قوله (والذي خبث لا يخرج إلا نكدا) أي: والأرض السبخة التي خبث ترابها تكون عسرة قليلة الريع فلا ينتفع به، ولو أراد الله غير ذلك لفعل ولكنه سبحانه أجرى الأمور على أسبابها ومسبباتها فأخرج الطيب من الأرض الطيبة ليكون ذلك أرغب للإنسان في طلب الخير والاجتهاد في فعل الطاعات، والنكد العسر الكدر.

قوله (كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون) أي: كما بينا هذا المثل نبين الدلالات للشاكرين، وتصريف الآيات تحويلها قبال الأبصار للتدبر

والتفكر، واللام في (لقوم) للغاية، لأن القوم الشاكرين أجدر بتدبر الآيات وشكر الله عليها.

قوله تعالى ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾

قوله (لقد أرسلنا نوحا إلى قومه) استئناف ابتدائي لأخذ العظة والعبرة من أحوال الأمم الماضية لأن إرسال الرسل من تمام أدلة التوحيد، ولام القسم وحرف التحقيق الداخل على الفعل الماضي أدوات تأكيد لأهمية الإخبار عن رسالة نوح، وقد كان من حكمة الله إرسال رسله من نفس أقوامهم ليكون حجة لهم وحجة عليهم.

ونوح هو أول نبي بعد جده إدريس، ولد في اليوم الذي مات فيه آدم، وعمل نجارا، ولبث في قومه ألف عام إلا خمسين، وبعث نبيا وهو ابن أربعمئة عام وقيل بعث وهو ابن خمسين، كان فيها يدعوهم إلى التوحيد ليلا ونهارا فما يزيدهم ذلك إلا فرارا.

قوله (فقال يا قوم اعبدوا الله) الفاء للترتيب الكلامي في الإخبار عن قصة نوح مع قومه، ونداء قومه بياء التكلم المحذوفة للتخفيف لاستعطافهم، والأمر بعبادة الله لأنها الغرض الرئيس من بعثة كل نبي، والتصريح باسم الجلالة لإزالة الشبهات عن العبادة الحقة المتمثلة بألوهيته سبحانه، لأن قوم نوح كانوا مشركين.

قوله (ما لكم من إله غيره) لم يقل: لا إله غيره، بل قال: (ما لكم) موجها خطابه إليهم لأنه في مقام النصح لهم ومؤكدا لهم ذلك بحرف الزيادة للتأكيد (من) وبأسلوب الإخبار بالجملة الإسمية ليجابه به إنكارهم، وفي التعبير بضمير التمليك (لكم) حمولة من المعاني المستوحاة مثل: ليس لكم شفيع غيره، لا منجي لكم سواه، لا أمل لكم إلا به، وفي كلها ترغيب لهم، لأنه ينبغي أن يكون التمليك لما ينفع، وفي العادة أن يقدم الترغيب لاستمالة النفوس، وجملة النفي محلها التعليل للأمر.

قوله (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) الفصل لأنه تعليل ثان للأمر بعبادة الله، وهو من أسلوب الترهيب والتخويف، فمثلما قدم ما رغب به عمد إلى ما يرهب من ذكر يوم القيامة مبتدئا بذات الأسلوب المشدد، وذكر فعل الخوف بالمضارع دون قطع خوفه بالمضي لأنه احتمل من يؤمن منهم، وتعدية الفعل بحرف الجر (على) مبالغة في الحرص على قومه لإشراكهم في الخوف بمعنى: إن لم تكونوا تخافون العذاب فإني أخافه عليكم.

وإضافة العذاب إلى موصوفه يوم القيامة للمبالغة، ووصفه بالعظمة لكونه شديدا متراكما.

قوله تعالى ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٦٠ ﴾

قوله (قال الملأ من قومه) لفظ الملأ يراد بهم علية القوم الذين يملؤون العين هيبة، أو يملؤون المكان. و(من) للتبعيض للإشارة إلى قلتهم في قومهم ولكنها قلة فاعلة مؤثرة، وهم الذين يقفون بوجه إصلاحات الأنبياء ودعواتهم التوحيدية فهم الرؤساء وأصحاب المصالح من علية المجتمع الذين لا يرغبون بمبدأ العدل والمساواة الذي ينادي فيما ينادي فيه التوحيد.

قوله (إنا لنراك في ضلال مبين) قولهم المؤكد بـ (إنّ) ولام الخبر يدل على ثبات الكفر في نفوسهم وإصراهم وعنادهم، بحيث يسمون دعوة التوحيد ضلالا تلبيسا للحق وتشويها للحقيقة، وهذا ديدن المرجفين دائما عبر التاريخ، وإنما أورد القرآن قصص الأنبياء لتبيان مسيرة هذه الفئة من الأمم الماضية إلى زمن النبي ﷺ تسرية عن نفسه.

والرؤية في (لنراك) رؤية قلبية دالة على العلم إمعانا في تصوير الضلال الذي يزعمونه لنبيهم وهو الميل عن الطريق المستقيم، ووصف الضلال بالمبين من باب المجاز العقلي الاستلزامي والمراد به عمل الضلالة، وإنما وصفوه بذلك وأكدوا كلامهم مشددين بضلاله لأنهم لم يتوقعوا أحدا يسفه عبادتهم لأصنامهم ويدعوهم إلى عبادة التوحيد.

قوله تعالى ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ ﴾

قوله (قال يا قوم) إعادة النداء بإضافة القوم إلى ياء المتكلم أسلوب استعطاف وترقيق في الخطاب، وهو من الأدب النبوي المعروف.

قوله (ليس بي ضلالة) حكاية النفي عن نوح، ردا على ما اتهمه قومه بالضلال المبين، ولذا قدم ما يهتم به المتكلم والسامع وهو المتعلق (بي)، وتنكير الضلالة للعموم، ولم يزد نوح بأكثر من نفي الضلالة عن نفسه التزاما بأدب الحوار.

قوله (ولكني رسول من رب العالمين) عطف واستدراك على رميه بالضلالة بتأكيد كونه مرسلا من مالك العوالم المختلفة إلى قومه لأجل هدايتهم إلى التوحيد وترك الشرك بالله.

وكان النبي نوح عليه السلام رفيقا في حواره مع قومه حاول استدراجهم بالنداء الشفيق المرخم، وحين رموه بالضلالة نفاها عن نفسه ولم يرد عليهم بأنهم الضالون فيثير مزيدا من حميتهم، بل استرسل ليؤكد ما هو أهم مستدركا لإلفات انتباههم وإيقاظهم من غفلتهم فقال: (ولكني رسول من رب العالمين) وتنكير لفظ الرسول لتميزها وأهميتها وفرادته بها من دونهم، وأكدها بأنها من مالك العوالم المختلفة التي لا قبل لأحد بإنكارها. وأشار بالجمع لأنه أراد أن الربوبية مجتمعة في الله وحده ردا على تقسيمهم لها وتوزيعها على أصنامهم بتسميات اخترعوها كربوبية البحر وربوبية البر، وربوبية الأرض وربوبية السماء، ونحو ذلك.

قوله تعالى ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

قوله (أبلغكم رسالات ربي) الكلام من تتمة قول نوح. تبيين لغرض الإرسال بالنبوة وهو التبليغ، والتبليغ في اللغة إيصال المعنى بأفضل وجه، ومنه البلاغ والبلاغة، وجمع رسالة برسالات لتعظيمها ولكونها مشتملة على مقاصد كثيرة، ومن مضمون الرسالات جملة من المعاني يقف على أولها التوحيد ومنها التبشير والتنذير، وإضافة الرب إلى ياء المتكلم للتشريف كونه الأجدر بطاعته بالتبليغ.

قوله (وأنصح لكم) الواو لعطف الكلام كونه من ضمن أغراض الرسالة، والنصح إخلاص النية من شائبة الفساد في المعاملة، وتعدية فعله باللام دون تعديته بنفسه مبالغة في محض نصحهم، إذ ليس مثل نصح الله ورسله نصحا ينتفع به.

قوله (وأعلم من الله ما لا تعلمون) الواو للعطف على فعل التبليغ، وفعل العلم وإسناده إلى نفسه إشارة إلى اختصاصه بأسرار النبوة وما يطلعه الله تعالى من غيبه، و(من) للابتداء، والتصريح بلفظ الله للتعظيم.

قال في المجمع: وقيل: إنما قال ذلك لأن قوم نوح لم يسمعوا قط أن الله سبحانه عذب قوما، وقد سمعت الأمم بعدهم هلاك من قبلهم، ألا ترى أن

هودا قال: (جعلكم خلفاء من بعد نوح) وقال شعيب: (مثل ما أصاب نوح). انتهى.

وفي كلام نوح ﷺ اشتمال على معارف إلهية عالية.

قوله تعالى ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

قوله (أوعجبتم) الواو للعطف سبقتها همزة الاستفهام لأن لها الصدارة في الكلام، والكلام احتجاج بعد استمالة.

والبدء بالاستفهام الإنكاري لما يثير في الذهن من كم انتباه واستيقاظ بسبب ظاهرية السؤال الذي يتبين له أنه لا يريد به سؤالا وإنما شيء آخر كالنفي أو التوبيخ أو التقرير، والمعنى: لا تعجبوا من اصطفاء الله لي وبعثي من بينكم رسولا إليكم، بل اعجبوا من إهمال أمركم وما فيه من مصلحتكم.

قوله (أن جاءكم ذكر من ربكم) جملة (أن) تفسير لفعل التعجيب، وفعل مجيء الذكر مجاز لنبوة نوح، وإسناده إلى الذكر مجاز عقلي للمبالغة في إيراد الحجة، فالذكر لا يجيء بل نوح الذي جاءهم به، ونكر لفظه للتعظيم.

وحرف الجر (من) للابتداء، وإضافة الرب إلى كاف جمعهم تذكير لهم بامتنان الله عليهم، وتلويح بأنهم مملوكون مربوبون للواحد الأحد الذي لا خيرة لهم في ذلك.

قوله (على رجل منكم) تفيد (على) معنى الاستعلاء بتعظيم الذكر بتنزيله على نوح ﷺ واستقرار تشريعه في قلبه. وتنكير لفظ الرجل لمعلوميته عندهم، والخطاب في (منكم) من باب استمالتهم والأخذ بالنصفة بالكلام، لأنهم ينكرون أن يبعث الله رجلا رسولا من بينهم، ويطلبون أن يكون ملكا أو مخلوقا من غير جنسهم.

قوله (لينذركم) جملة تعليل لمجيء الذكر، وهو إنذارهم وتخويفهم من عاقبة الشرك، وبدأها بالتخويف ليكون ذلك أردع لهم بعد لجاجتهم معه.

قوله (ولتتقوا) عطف وتعليل ثان متضمن معنى التحذير، أي: ولتجتنبوا الشرك به تعالى، وتتقوا معاصيه.

قوله (ولعلكم ترحمون) جملة تعليل لكل ما تقدم، في رجاء الرحمة من الله بمعنى: لكي ترحموا، والرحمة رقة قلبية تستعمل مجازا لتجاوز الله عن فعل العاصين والصفح عنهم.

قوله تعالى ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

قوله (فكذبوه) الفاء للتعقيب، لأن قوم نوح لم يمهلوا نبيه في تكذيبه لشدة إصرارهم على العناد بكفرهم، وعدم قدرتهم على محاجته ودفع أدلته إلا بالإنكار.

قوله (فأنجيناه والذين معه في الفلك) الفاء للتفريع، والنجاء في الأصل الانفصال من الشيء، والنجوة والنجاة المكان المرتفع المنفصل بارتفاعه عما حوله وقيل سمي بذلك لنجاته من السيل، واستعمل لكل ما هو تخليص من الشدة، وكانت نجاة نوح ومن آمن به بالفلك وهي السفينة التي أمره الله بصناعتها أثناء مكثه بين قومه، و(في) للظرفية المجازية لأن الفلك مظروف الناجين مع نوح، وتعريف الفلك للعهد، وسميت السفينة بالفلك لأنها تدور على ظهر البحر.

قوله (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) الكلام يقابل ما سبقه، وفيه معاني الدهشة والمفاجأة، لأن العقاب بغرقهم بالطوفان والنجاة بالسفينة كان من ضمن استهزاء قوم نوح به، وجملة الموصول علة للإغراق.

قوله (إنهم كانوا قوما عمين) الإخبار تعليل لإغراق قوم نوح، والتعبير عنهم بالجملة الإسمية المؤكدة لثبات المعنى ورسوخه، و(عمين) جمع (عمي) وهو استعارة تصريحية للكفر والضلال الذي كانوا فيه.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

قوله (وإلى عاد أخاهم هودا) الواو عاطفة على قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا) لتبيان المشتركات بين الأمم في العناد على الكفر والفساد بتقدير: وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودا، وتقديم الظرف للأهمية، وعاد قوم سكنوا

اليمن فتبسطوا بين عمان وحضرموت، وعبدوا الأصنام، فبعث الله إليهم هودا وكان أفضلهم حسبا، فكذبوه بعتو وعناد فأنذروا بحبس القطر عنهم ثلاث سنين حتى أجهدوا ثم أهلكهم الله بالريح العقيم التي اقتلعتهم فلم تبق منهم شيئا، وأنجى هودا ومن آمن معه من المؤمنين وسكنوا مكة حتى ماتوا.

ونصب لفظ الأخ لأنه مفعول فعل الإرسال المقدر، وضمير جمع الغائبين عائد إلى قوم عاد. واللفظ استعارة من أخوة الدم والنسب إلى الأخوة في السكن والوطن والقومية واستعماله لأنهم أعرف بصدق هود وأمانته وأحواله.

وهود هو النبي الذي أرسله الله إلى قوم عاد ونصب الاسم لأنه عطف بيان له.

قوله (قال يا قوم اعبدوا الله) أظهر النداء أسلوب الأنبياء جميعا في استمالة أقوامهم إلى الدعوة التوحيدية. ولم يعطف فعل القول كما جرى مع نوح، وعلله الزمخشري بقوله: لأنه على تقدير سؤال كأنه لما قال: (وإلى عاد أخاهم هودا) قيل: فما قال هود؟ فأجيب وقيل: قال يا قوم اعبدوا الله الآية. انتهى. وهذا الافتراض لا يجري في قصة نوح لأنها أول قصة أوردت.

قوله (ما لكم من إله غيره) جملة مقامها الحال، وصياغتها التأكيد المشدد لإظهار التوحيد، ومعنى: ما لكم أي: لا تملكون وهي أشد في النفي، و(من) زائدة لتقوية النفي، والهاء في (غيره) راجعة إلى الله.

وفي آيات الذكر العزيز تقصد بإعادة صياغة الدعوة نفسها مع كل الأنبياء الذين ستذكرهم الآيات إشارة إلى أن الخطاب واحد منهم والرد واحد أيضا وإن اختلفت الأقوام وتعددت الأزمان.

قوله (أفلا تتقون) همزة الاستفهام للإنكار والتوبيخ، والفاء لتفريع نفي اجتناب معاصي الله عنهم.

قوله تعالى ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

قوله (قال الملأ الذين كفروا من قومه) الملأ نفس الملأ تتكرر صورتهم وإن اختلفت أشكالهم فمضامينهم واحدة، قوم نوح وصفوه بالضلالة من قبل، وقوم هود زعموا فيه سفاهة ورموه بالكذب وهكذا إلى قوم النبي محمد ﷺ الذين رموه بالسحر والجنون، فغرضهم واحد هو تشويه دعوته وكسر تأثير شخصيته في الناس.

وتقييد الملأ بقوله (الذين كفروا) للإشارة إلى أن من أشرافهم من آمن بالنبي هود، ولم يكن في أشراف قوم نوح من آمن به لذلك قال (الملأ من قومه). كذا ذكر في الكشاف. انتهى بتصرف. وتفيد (من) التبعيض.

قوله (إنا لنراك في سفاهة) مقول قول قوم عاد أورد بأشد تأكيد للإبانة عن رسوخ كفرهم بنبيهم، والرؤية للعلم، و(في) للظرفية المجازية مبالغة في أنه ممتزج في السفاهة فتمكنت منه، كأنها جعلت ظرفا من باب المجاز،

والسفاهة خفة العقل، مع أن ما يدعو إليه هود تمام العقل وهو عبادة الله، ونبذ عبادة ما لا يعقل.

قوله (وإنا لنظنك من الكاذبين) العطف لأن الكلام من تتمة قول الكافرين، وفعل الظن مستعمل هنا بمعنى اليقين، وجمعوه ضمن الكاذبين إشارة إلى تكذيبهم أنبياء قبل هود كما في قوله تعالى (وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) [هود ٥٩].

قوله تعالى ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧ ﴾

قوله (قال يا قوم ليس بي سفاهة)، وإعراض الأنبياء عن الرد من الأدب العالي الرفيع لهم الذي تصوره الآيات الكريمة، إذ في إجابتهم عليهم السلام من نسبهم إلى الضلال والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم، وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء بالإغضاء عنهم.

قوله (ولكني رسول من رب العالمين) تفيد (لكن) الاستدراك على رميهم النبي بالسفاهة، للتأكيد بكونه رسولا مرسلا من خالق العوالم كلها.

قوله تعالى ﴿ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨ ﴾

قوله (أبلغكم رسالات ربي) استئناف لبيان الرسالة، وتعريفها، وهي التبليغ رسالات الله ومقاصده إليهم.

قوله (وأنا لكم ناصح أمين) إخبار مؤكد في كون هود ناصحا لما ينفع قومه أمينا على مصلحتهم، وفي مضمون الخبر الرد على اتهامهم بالكذب والسفاهة.

قوله تعالى ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

قوله (أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) الاستفهام الإنكاري من تعجبهم إرسال نبي من جنسهم لأنهم استكبروا تصديق أن يكون من البشر رسول، والذكر مجاز من إرسال الله الرسول إليهم، وتنكيره للتعظيم، و(من) للابتداء، وإضافة الرب إلى كاف جمعهم لاستمالتهم، وتذكيرهم بعبوديتهم له، و(على) حرف استعلاء مجازي، والرجل إشارة إلى بعثة هود نفسه، وتنكيره للخصوصية، و(منكم) أي من جنسكم وقومكم، وجملة الإنذار تعليل للذكر، لتخويفهم عاقبة الشرك بالله.

قوله (واذكروا إذ جعلكم خلفاء) المراد بطلب الذكر استحضار نعم الله في الذهن، وعد منها ما يميزهم أولا وهو في جعلهم خلفاء من بعد الطوفان،

ولفظ الخلفاء جمع خليفة ومن يخلف الذي سبقه استعارة لأن قوم هود خلفوا قوم نوح الذين هلكوا بالغرق، وتنكيرها لإرادة الكثرة.

قوله (من بعد قوم نوح) تفيد (من) تأكيد البعد الزمني بين قوم نوح ونشوء قوم عاد بعد أزمان الطوفان، لأنهم أول حضارة قامت بعد هلاك قوم نوح.

قوله (وزادكم في الخلق بسطة) العطف لأن الكلام ضمن أمر ذكر تعداد النعم على قوم عاد، والزيادة كما قال الراغب: أن ينضم إلى ما عليه الشيء في نفسه شيء آخر، وقال: (وزاده بسطة في العلم والجسم) أي: أعطاه من العلم والجسم قدرا يزيد على ما أعطى أهل زمان. انتهى.

وتقدم الظرف (في الخلق) على عامله للاهتمام، ومقامه الحال، وتعريفه للجنس أي في عموم الناس، فقد كان قوم عاد مميزين في ضخامة أجسامهم وطولها وشدة بأسهم ورجاحة عقولهم، ونصب لفظ البسطة على التمييز، وأصل معناه التوسعة ويراد به الكناية عن طول أجسامهم وقوتها.

قوله (فاذكروا آلاء الله) الفاء وإعادة أمر الذكر لتأكيد النعم عليهم، وهي فاء الفصيحة التي تفصح عن جمل محذوفة، قال ابن عاشور في تقديرها: إن ذكرتم وقت جعلكم الله خلفاء في الأرض ووقت زادكم بسطة فاذكروا نعمه الكثيرة تفصيلا، فالكلام جاء على طريقة القياس من الاستدلال بالجزئي على إثبات حكم كلي. انتهى. والآلاء واحدها إلي، وهي النعمة، وإضافتها إلى الجلالة لتعظيم شأنها.

قوله (لعلكم تفلحون) تعليل لطلب الذكر بالظفر والفلاح لقوم هود.

قوله تعالى ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠ ﴾

قوله (قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده) تدل حكاية لغة رد قوم عاد على نبيهم على شدة إنكارهم لدعوته إلى التوحيد، كالبدء بالاستفهام الإنكاري، وإنكار اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء، حبا بما ألفوه واعتادوا عليه.

ويقصد بـ (جئتنا) المجاز منه وهو القصد في الدعوة أي قصدتنا، كما يقال: ذهب يشتمني، أما إذا أريد به الحقيقة فقد يراد به الاستهزاء لأنهم يعتقدون أن الله يرسل الملائكة رسلا لا البشر، أو قد يعني أن هودا معتزلا لهم ثم لما بعث إليهم جاءهم يدعوهم إلى عبادة الله ونبذ عبادة الأصنام، ولفظ الوحدة إشارة إلى دعوة توحيد الله في العبادة وترك التشريك به أحدا، وانتصب المصدر (وحده) على الحال.

قوله (ونذر ما كان يعبد آباؤنا) العطف بمعنى: تأكيد دلائل إنكار قوم عاد لدعوة هود التوحيدية بأن عبادتهم الوثنية سنة متبعة من آبائهم وتقليد صححته العصور وورثته الأجيال ولا سبيل إلى تمحيصه وتدبره لأنه انتهاك لقداسة ما مضى عليه الآباء، وهذا التعليل الضال توارثته الأمم الشركية إلى زمن أمة نبينا ومن هنا تسرد قصصهم.

قوله (فأتنا بما تعدنا) الفاء للتفريع على الإنكار، وفعل أمر الإتيان مفاده تعجيز النبي هود، وبيان صدق ادعائهم المزعوم في عبادتهم، والباء لتعدية

الفعل، و(ما) اسم موصول، وجمل فعل الوعد، إشارة إلى ما كان يهددهم به هود في إحلال عذاب الله فيهم، وفي طلبهم تعجيل العذاب اجتراء على الله وتحد لإرادته سبحانه رغم الحجج والبراهين.

قوله (إن كنت من الصادقين) الشرط لتعليق صدق النبي هود على الإتيان بالوعد بالعذاب لإحراجه بالعجز.

قوله تعالى ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾

قوله (قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب) فاعل فعل القول هود أخبر قومه بقضاء الله في إنزال عذابه فيهم ردا عليهم بتعجيله، والوقوع ثبوت الشيء وسقوطه، والمراد: وجوب سقوط العذاب عليهم، وأنزل منزلة الواقع لحتمية حصوله من الله بسبب استعجالهم له.

ويفيد حرف الجر (من) ابتداء صدور العذاب، وإضافة لفظ الرب إلى كاف جمعهم دال على تأكيد غضب الله عليهم فهو مالكهم، وسمى نوعين من العذاب هما الرجس والغضب ونكرهما لتهويل أمرهما. والرجس النجس وقيل الاضطراب في العذاب.

قوله (أتجادلونني في أسماء) أنكر هود عنادهم في مراجعة الكلام بذات الشدة في لغتهم فبدأها في استفهام إنكاري ردا عليهم، والمجادلة من الجدل وهو الكلام الكثير غير النافع يراد به المغالبة، و(في) للظرف المجازي للمجادلة، والأسماء جمع اسم إشارة إلى الأصنام المسماة منهم وتنكيرها لإرادة تحقيرها والتقليل من شأنها.

قوله (سميتموها أنتم وآباؤكم) الجملة صفة للأسماء، للسخرية من الأصنام، وفعل التسمية للأصنام لأنهم قسموا الوظائف على آلهتهم فسموا هذا إله الرزق وذاك إله الحرب وهكذا إله البحر وإله البر، ونحوه، فهي مجرد أسماء أطلقوها لا واقع لها ولا مسمى، فلا أثر لها ولا قيمة وإنما يوهمون أنفسهم بها، وفي الكلام احتجاج لنبذ الانقياد الأعمى للمعتقد الفاسد وايقاظ لأذهانهم.

والإتيان بضمير الفصل لإفادة عطف ما بعده عليه، ولفظ الآباء تطلق على الأجداد.

ويدل الكلام على أن لأصنام قوم عاد أسماء ووظائف ذكر منها: صمود، وصداء. وقد فعل مثلهم أسلافهم من مشركي مكة فقد سموا آلهتهم بأسماء موضوعة منهم مثل هبل ومناة والعزى ونحوها ولكل منها وظيفته.

قوله (ما نزل الله بها من سلطان) جملة تقرير لمعنى ما سبقها في نفي الألوهية عن أصنامهم، بأن عبادتهم غير مبنية على دليل أو برهان قوي، بل جاءت عن جهل موروث.

وفعل التنزيل مجاز من العلم، لأن الألوهية خاصة به سبحانه، والباء في (بها) بمعنى الأجل، والهاء راجع إلى أسماء الأصنام، و(من) زائدة لتقوية عموم النفي، والسلطان هو الدليل من العلم، والكلام لا يخلو من تهكم بهم.

قوله (فانتظروا) الفاء للتفريع، والأمر يفيد التهديد الشديد، أي: فانتظروا ما توعدون به من عذاب.

قوله (إني معكم من المنتظرين) إخبار بعد إنشاء على سبيل إدماج هود بقومه في الانتظار، لإنصافهم من نفسه، إذ جعل نفسه قسيما لهم في التوقع والانتظار، ونحوه قوله تعالى في أكثر من موضع (اعملوا على مكانتكم إني عامل) [الأنعام ١٢٨]، ومنها في السورة نفسها سيأتي (اعملوا على مكانتكم إنا عاملون) [هود ١٢١].

قوله تعالى ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾

قوله (فأنجيناه والذين معه برحمة منا) الفاء للتعقيب الكلامي، والإنجاء الخلاص من العذاب، واسم الموصول وصلته للدلالة على نجاة المؤمنين بهود، والباء في (برحمة) للسبب، وتنكير اللفظ للتعظيم، أي بحفظ ورعاية من الله من العذاب، و(من) في (منا) للابتداء، وضمير النون راجع إلى الله، وأعوانه من الملائكة، أو لمطلق التعظيم الإلهي لذاته.

قوله (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) قطع الدابر كناية عن استئصالهم من جذرهم وهلاكهم جميعا، والإتيان باسم الموصول وصلته لبيان علة الجزاء.

قوله (وما كانوا مؤمنين) العطف لأن الكلام المعطوف علة ثانية للعقاب، وهو أن شأنهم كان الكفر، بدلالة ما يستلزم من نفي الإيمان عنهم، وفيه تنويه بالناجين المؤمنين مع هود.

قوله تعالى ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾

قوله (وإلى ثمود أخاهم صالحا) العطف بمعنى: وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا. فتقديم الظرف لإفادة تقديم صفة الأخوة وبغير ذلك ترتبك الصياغة.

وقيل إن ثمود اسم أبيهم الأكبر وهو ثمود بن عامر بن إرم بن سام بن نوح، وقيل: سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل، وكانت مساكنهم الحجر بين الشأم والحجاز إلى وادي القرى، وكانوا قوما عربا عُمّارا في حياتهم نحتوا البيوت من الجبال، وعاشوا في سعة ورخاء من

العيش، فأفسدوا في الأرض وعبدوا الأصنام فأرسل الله إليهم صالحا وكان من أوسطهم نسبا.

وقوله (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) خاطب النبي صالح قومه بنفس أدب سابقيه من الأنبياء، في نسبة القوم إلى نفسه، وجاهرهم بأول أغراض بعثته وهي عبادة الله وحده.

قوله (قد جاءتكم بينة من ربكم) الفصل تعليل للأمر، وهو إخبار مؤكد مبدوء بحرف التحقيق لتأكيد الكلام لمن يتردد في قبوله، وكنى عن معجزة تأييده بالنبوة بالبينة لظهورها، وأسند إليها فعل المجيء من باب المجاز العقلي للمبالغة، وأكدها بمبدأ صدورها من الله تعالى بدلالة حرف الابتداء (من)، وإضافة الرب إلى كافهم لإفادة عبوديتهم التسخيرية لله تعالى.

قوله (هذه ناقة الله لكم آية) الكلام تفسير للفظ البينة أو جواب لسائل عنها بتقدير: ما هذه البينة؟ فقال: هذه ناقة الله لكم.

واسم الإشارة بلفظ القريب لتمييزها وحرمة الاقتراب منها، والناقة أنثى البعير، وإضافتها إلى الجلالة تعظيم لشأنها، لأنها جاءت بمعجزة الله من غير فحل.

واللام في (لكم) بمعنى: لأجلكم تلبية لطلبكم. لأن الناقة جاءت باقتراح منهم على نبيهم للإيمان بالله، ولفظ الآية بمعنى العلامة، وتقديم المتعلق على عامله لتحذيرهم في كونها علامة من الله تعالى لهم، ونصب اللفظ على الحال.

وقد كانت معجزة الناقة بطلب من قوم صالح، اقترحوا عليه أن تنفرج صخرة بناحية الجبل عن ناقة شرطا لأن يؤمنوا به، فكانوا أول أمة وآخرها لبى الله اقتراح معجزتهم على نبيهم، وحين كفروا بها استأصلهم من شأفتهم.

قوله (فذروها تأكل في أرض الله) الفاء للتعقيب، والطلب من هود أمر لقومه بترك الناقة وفصيلها أن يدعوها تأكل كما ترغب في أرض الله، وجزم فعل الأكل لأنه جواب للأمر موقعه الحال، وإضافة الأرض إلى الجلالة لبيان الامتنان عليهم في كون الأرض لله لا لهم.

قوله (ولا تمسوها بسوء) الواو لعطف النهي على الأمر، والمس الإصابة، أي: لا تصيبوا الناقة وفصيلها بأدنى سوء نحو طردها او إخافتها أو مسها بأذى، إكراما لآية الله، والباء للملابسة، ولفظ السوء يراد به أدنى الأذى، وتنكيره للعموم.

قوله (فيأخذكم عذاب أليم) الفاء تفيد السببية، والأخذ استعارة للإمساك وعدم الانفلات من القبضة، وصفة الأليم للعذاب مبالغة في معناه بمعنى المؤلم.

قوله تعالى ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾

قوله (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) أمر الذكر ضد النسيان وهو حضور الشيء في الذهن، ويراد به عد النعم عليهم لتقريرهم بها، و(إذ) بمعنى: وقت، وحين، وذكر أولى منن الله على قوم وهو أن جعلهم ورثة لعصر من سبقهم من بعد قوم عاد الهالكين، ولفظ الخلفاء استعارة للبقاء، شبه بقاءهم براحلين أورثوهم أرضهم من بعدهم، أي: أمة تعقب أمة وعصر يخلف عصرا، وذلك أن عادا لما فنيت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الأرض وكثروا وعمروا أعمارا طوالا.

قوله (وبوأكم في الأرض) العطف لأن تمكينهم في الأرض الحجر من ضمن النعم التي ذكرها صالح لقومه، والتبوء اتخاذ المكان والتمكن منه مستقرا ومقاما، و(في) للظرفية المجازية، وتعريف الأرض للعهد وهي أرض الحجر في وادي القرى بين الحجاز والشام.

قوله (تتخذون من سهولها قصورا) جملة الاتخاذ موقعها الحال من ضمير النصب في (بوأكم)، بمعنى: متخذين قصورا من سهولها، وتفيد (من) معنى السبب، لأن السهول وهي الأرض المستوية المنبسطة أسهل عليهم في بناء القصور الفارهة العالية، وهي من جملة التمكين في الأرض.

قوله (وتنحتون الجبال بيوتا) العطف لأن الكلام منة أخرى ذكرها صالح، وهو الشق الثاني من التمكين، وهو النحت في الجبال مساكن، ويتطلب ذلك قوة جسمانية وهو ما منحهم الله ذلك، والنحت البري في الأجسام الصلبة كالخشب والحجر، وتعريف الجبال للعهد، والبيت ما بني من حجر أو آجر، ونصب اللفظ على الحال، وقيل: كان قوم ثمود يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء.

قوله (فاذكروا آلاء الله) جملة مفرعة على ذكر المنن، بمعنى واستحضروا نعم الله عليكم ولا تغفلوها حتى تؤدوا حقها من الشكر بعبادته تعالى.

قوله (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) الواو لعطف النهي على الأمر، وفي معنى لفظ المنهي عنه ذكر الراغب: العيث والعثي يتقاربان نحو جذب وجبذ إلا أن العيث أكثر ما يقال في الفساد الذي يدرك حسا، والعثي فيما يدرك حكما. انتهى.

فالإفساد غالبا ما يكون بالاعتداء على الغير، وانتصب اللفظ على الحال، وتعريف الأرض للعموم.

قوله تعالى ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾

قوله (قال الملأ الذين استكبروا من قومه) تعريف الملأ للعهد، وهم علية قوم ثمود، ووصفهم بالاستكبار لمقابلته بالاستضعاف، والاستكبار مبالغة في الكبر والاستعلاء، و(من) للتبعيض، والهاء بلفظ القوم عائد إلى صالح.

قوله (للذين استضعفوا) واللام المقترن باسم الموصول للتعدية، والاستضعاف مبالغة في الضعف، ويراد به استذلال رؤساء الكفر لهم.

وفي العادة إن الرؤساء يستكبرون لزهوهم وفتنة السلطة من المال والجاه، والضعفاء يؤمنون لحاجتهم إلى من ينتشلهم من سطوة رؤسائهم عليهم وإذلالهم لهم، لذلك في الدنيا جهتان دائما: المستكبرون والمستضعفون، وما قول ملأ قوم صالح للمستضعفين إلا مثال يتكرر كثيرا في مسير الأنبياء والمصلحين.

قوله (لمن آمن منهم) جملة بيان للمستضعفين، أي: المؤمنون بصالح من المستضعفين، والتخصيص لأن من المستضعفين كفارا ومؤمنين.

قوله (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه) الاستفهام في مقولهم إنكاري يراد به السخرية والطنز من النبي صالح والاستخفاف به، والمرسل مصدر ميمي مثل لفظ الرسول، و(من) ابتدائية، وحكاية إضافة الرب إلى هاء صالح للاستخفاف.

قوله (قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون) واو الجمع في (قالوا) عائد إلى المؤمنين المستضعفين، والتأكيد بحرف النسخ لأهمية الإخبار، والباء في (بما) متعلق بفعل الإيمان، و(ما) اسم موصول، ونائب الفاعل في فعل

الإرسال راجع إلى هود، والباء في (به) للسبب، والهاء راجع إلى الأمر المفهوم من الموصول وهو توحيد الله، فهو غرض الإرسال، وتقديم الظرف على عامله للأهمية ورعاية الفاصلة.

قوله تعالى ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾

قوله (قال الذين استكبروا) أي: رد الملأ الموصوفون بالكبر والاستعلاء.

قوله (إنا بالذي آمنتم به كافرون) لما كان جواب المستضعفين تأكيد الإيمان بما أرسل به صالح، رد عليهم الكافرون بالأسلوب الإخباري المؤكد ذاته فوضعوا آمنتم به موضع أرسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما وأخذوه مسلما.

واستبدال (ما) بـ (الذي) لإفادة شدة رسوخ أهل الكفر بكفرهم، لأنها أكثر أصالة في إفادة الموصولية من (ما)، وأكثر شدة في نبر الكلام.

قوله تعالى ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾

قوله (فعقروا الناقة) الفاء للتفريع، والعقر النحر، والألف واللام في الناقة للعهد أي الناقة المعروفة لديهم والمعلمة عندهم، وأسند العقر إلى ضمير

الجماعة مع أن الفاعل واحد، لأنهم رضوا بذلك الفعل فكانوا كأنهم شركاء فيه، والعقر كان للفصيل وليس للناقة، وإنما ذكر لأنهما واحد.

وفي الكشاف ذكر عن الرسول ﷺ قوله لعلي عليه السلام: يا علي أتدري من أشقى الأولين؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: عاقر ناقة صالح، أتدري من أشقى الآخرين؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: قاتلك. انتهى.

قوله (وعتوا عن أمر ربهم) الواو للعطف، والعتو النبوّ عن الطاعة ولذلك عدي بحرف التجاوز (عن) لتضمنه معنى الاستعلاء، والمراد أنهم تولوا عن الامتثال لأمر ربهم واستكبروا عاتين.

ولفظ الأمر في (أمر ربهم) يحتمل إفادة الأمر في قوله تعالى (فذروها تأكل في أرض الله)، أو المقصود شأن ربهم وهو دينه.

قوله (وقالوا يا صالح) كأن العطف بمعنى: والتفتوا بعد عقر الناقة إلى صالح متحدين قائلين ائتنا بما تعدنا.

قوله (ائتنا بما تعدنا) الأمر من قوم ثمود لصالح بفعل الإتيان تعجل منهم بالعذاب وتحد بارزوا به الله ورسوله، لأن نبيهم كان ينذرهم منه، وإنما لم يذكر لفظ متعلق فعل الوعد فأوردوه مطلقا، لعلمهم به بسبب وعيد النبي صالح لهم، لذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين.

قوله (إن كنت من المرسلين) الشرط بتعليق كونه نبيا مرسلا من الله على الإتيان بالعذاب يراد به تعجيز صالح وإحراجه، وإثبات صحة زعمهم بالكفر به.

قوله تعالى ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ۝٧٨ ﴾

قوله (فأخذتهم الرجفة) الفاء للتعقيب لأن الله لم يمهلهم بعد عقرهم للناقة فقد قيل إن المدة بين العقر ونزول عذاب الصيحة ثلاثة أيام.

وفعل الأخذ حوز الشيء وتحصيله على نحو التناول أو القهر، وهنا ورد بالقهر والعذاب، والرجف والرجفة الاضطراب الشديد، ويراد بها الصيحة التي زلزلت لها الأرض.

قوله (فأصبحوا في دارهم جاثمين) الفاء للترتيب في الكلام، والإصباح الصيرورة وليس المراد به ظهور الصباح، وقوله (في دارهم) أي: في بلادهم أو مساكنهم، والجثوم للإنسان كالبروك للبعير، كناية عن موتهم قاعدين كأنهم ملتصقون بالأرض، بدلالة مجثم الطائر إذا قعد ولطى بالأرض، فهم موتى لا حراك لهم لهول ما سمعوا واضطربوا وأرجفوا، والمرء قد يصمه صوت عال قوي فيحدث نزفا في أذنيه أو دماغه فيقضي عليه، فكيف بصفة الرجفة التي في معناها الصيحة الشديدة والصاعقة الحارقة.

قوله تعالى ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾

قوله (فتولى عنهم) الفاء للتعقيب، وتولي النبي صالح عن قومه بمعنى: تركهم بعدما شاهد موتهم وذهب عنهم إلى مكة مغتما حزينا على نهايتهم وعدم سماعهم نصحه.

قوله (وقال يا قوم) نداء صالح لقومه مجازي نداء الحسرة يختلف عن النداءات السابقة المفيدة للحوار.

قوله (لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم) دلالة القسم والتحقيق في (لقد)، واستعماله المبالغة في فعل النصح بتعديته باللام، بدلا من تعديته بنفسه تصوير ذهني لتحسره على نهاية قومه الأليمة بسبب كفرهم وعنادهم، وإيحاء بشدة بذله الجهد والوسع من أجل هدايتهم، وقول صالح عليه السلام هذا على سبيل التحسر والحكاية عن أمر انقضى.

قوله (ولكن لا تحبون الناصحين) الاستدراك حتى لا يعتقد التحسر رضى عن قومه واعتراض على عقابهم، ولذلك نفى عنهم رغبتهم بقبول نصح الناصحين.

ويبدو من ظاهر سياق الآيات المتقدمة أن إيراد عطف نبي على آخر بنسق واحد فعطف صالح في قوله تعالى (وإلى ثمود أخاهم صالحا) على هود في قوله سبحانه (وإلى عاد أخاهم هودا) وعطف هودا على نوح عليهما السلام

في قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه) لأن النبي صالح وهود على شريعة نوح عليه السلام التي تعد المرحلة الأولى من الشرائع الإلهية.

قوله تعالى ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

قوله (ولوطا إذ قال لقومه) أي: على تقدير وأرسلنا لوطا، عطفا على قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا)، ولم يمضه على ما تقدم في قوله تعالى (وإلى ثمود أخاهم صالحا)، لأن النبي لوطا على شريعة إبراهيم عليه السلام التي تمثل المرحلة الثانية من الشرائع الإلهية من أنبياء أولي العزم.

ولوط بن هاران هو ابن أخ إبراهيم عليه السلام، وأخته سارة امرأة إبراهيم، ولوط نبي بعث إلى قرية سدوم في شمال الجزيرة العربية.

و(إذ) ظرفية بمعنى وقت، وقوم لوط نسبوا إليه لأنهم لا يجمعهم نسب واحد كما هو الشأن في عاد وثمود، بل تجمعوا من أشتات الأرض أخلاطا مختلفة من كنعانيين وغيرهم وسكنوا قرى سدوم وتسمى المؤتفكات، وكان لوط غريبا عنهم ولذلك الآية لم تطلق عليه (أخاهم) كما جرى مع ما سبقه من ذكر الأنبياء.

وكان ينبغي في كتب التاريخ والتفسير والفقه نسبة الفعل القبيح إلى هذه القرية فيقال سدومي وليس إلى النبي لوط، وقيل إنه مأخوذ من الفعل (لاط) بمعنى لصق بالأرض، ولو كان كما قالوا لاستعملها القرآن.

قوله (أتأتون الفاحشة) الاستفهام لإنكار إتيان هذا الفعل القبيح المستقبح، والفاحشة إشارة إلى إتيان الذكور، وتعريفها للعهد، وقد كان ذلك من شنيع فعل أهل هذه القرية.

قوله (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) الاستئناف توبيخ بعد إنكاره لفعلهم، بتأكيده ابتداعهم سنة سيئة لم يسبقهم بها أحد قبلهم من الأمم، ويحتمل موقع الكلام الحال من فعل الإتيان، أو الصفة للفاحشة.

و(من) الأولى تفيد تأكيد استغراق النفي، والثانية للتبعيض، والعالمون جمع عالم، ويراد بهم من سبقهم في الخلق.

قوله تعالى ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

قوله (إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) الكلام تفصيل لإجمال ما ذكر في إتيان الفاحشة، ولذا كرر مؤكدا لفظ الفعل نفسه، وفعل الإتيان مجاز في إتيان الرجال في أدبارهم، ولفظ الشهوة بمعنى اللذة المؤقتة، ونصبها على الحال.

يريد أن عملهم هذا الفعل عمل بهيمي لم يستند إلى عقل، لأن العادة في طلبه من النساء إرادة النسل، وهو أصل هذه اللذة، وليس بحرفها إلى فعل غريب تكون فيه الشهوة هي الأصل.

قوله (بل أنتم قوم مسرفون) يفيد (بل) الإضراب عما سبق لتأكيد الإخبار عنهم، ووصفهم بالإسراف مبالغة في فعل الشهوة المنحرفة، كون تجاوز الحد والمبالغة في الشيء أصل المعاصي، ونحوه قوله تعالى (أتأتون الذكران من العالمين، وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون) [الشعراء ـ ١٦٦].

قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

قوله (وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم) الكلام بمعنى: لم يملك قوم لوط أمام إنكاره لفعلهم الفاحشة إلا بطرده من قريتهم، فهم لم يعلقوا الجواب في ردهم على أصل ما قاله لوط عليه السلام لامتزاج نفوسهم بالفاحشة وانغلاق مسامعهم عن النصح، فعلقوا جوابهم على أمر آخر هو طلب إخراجهم وطردهم من القرية مستهزئين بهم ومفتخرين بفاحشتهم.

وفعل الإخراج يراد به الطرد، وواو الجمع فيه إشارة إلى لوط وبعض خاصته من أهله، و(من) ابتدائية، ونسبة القرية إلى كاف جمعهم لإفادة أن لوطا غريب عنهم منكر لأفعالهم.

قوله (إنهم أناس يتطهرون) الفصل لتعليل أمر الإخراج، والأناس الناس، والتطهر مبالغة في طلب التطهير وتزكية النفس وتجنيب ما يدنسها من قذارة الأفعال، والإخبار قصدوا به ذم لوط.

قوله تعالى ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

قوله (فأنجيناه وأهله إلا امرأته) الفاء عاطفة لترتيب الكلام في الإخبار عن أحوال لوط مع قومه، والإنجاء الخلاص من الهلاك، والواو لعطف الأهل على الإنجاء، والأهل من اختص منهم بذويه أو من المؤمنين. والاستثناء لإخراج امرأة لوط من قضاء الله في التنجية فأهلكها الله مع قومها لأنها كافرة منهم من سدوم.

قوله (كانت من الغابرين) إخبار تأكيدي عن إهلاك امرأة لوط بعد استثنائها من الإنجاء، والغابر الماضي الباقي في القرية، استعارة للهلاك، وجمع الذكور من باب التغليب.

وتقديم خبر تنجية الله للوط وأهله قبل إيراد وقوع العذاب يدخل في أسلوب تعجيل المسرة وطمأنة المؤمنين المتلقين للخبر.

قوله تعالى ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾

قوله (وأمطرنا عليهم مطرا) الفاء للتعقيب، وفعل الإمطار استعارة من نزول الحجارة على قوم لوط من السماء التي تشبه كثرتها إرسال المطر، وحرف الجر (على) في (عليهم) لتمكن المطر منهم، واستعلائه عليهم، والضمير (هم) راجع إلى قوم لوط، ونصب لفظ المطر على المفعولية المطلقة التي تفيد النوعية والتعجيب لنزول المطر المهلك، وبين الفعل ومفعوله جناس اشتقاقي بديعي.

قوله (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) الفاء لتفريع نظر الاعتبار على ما تقدم، والأمر للنبي ﷺ تسلية له، وإنذار لقومه، والسؤال يراد به التهديد بمآل الآثمين، والعاقبة نهاية الأمر وختامه، وتسميتهم بالمجرمين لإتيانهم الفاحشة.

وقيل في عذاب قوم لوط إن المؤتفكة خمس مدائن، وكانوا أربعة آلاف بين الشأم والمدينة، فأمطر الله عليهم حجارة الكبريت والنار وعلى مسافريهم وشذاذهم، وخسف بالمقيمين منهم، وفي سورة هود قوله تعالى (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود) [هود ٨٢].

قوله تعالى ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى

ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨٥﴾

قوله (وإلى مدين أخاهم شعيبا) العطف رجوع بالسياق إلى قوله (وإلى ثمود أخاهم صالحا)، وقوله (وإلى عاد أخاهم هودا) لأن شعيبا على شريعتهم.

وتقديم الظرف للاهتمام ولإضافة لفظ الأخ إلى ضمير جمعهم، والمراد: إلى قوم مدين. ونصب لفظ الأخ على تقدير: أرسلنا أخاهم شعيبا، ومدين تقع بين الشام والحجاز سميت باسم مدين بن إبراهيم الخليل الذي تزوج من ابنة لوط، وشعيب من نسل مدين بعثه الله إلى قومه لدعوتهم إلى التوحيد ولإصلاح شؤون حياتهم، وكان يسمى خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه الذين كانوا يطففون في الميزان، وانتصب اسم شعيب على البدل.

قوله (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) فقال لقومه مثل مقال من سبقه من الأنبياء في الدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد.

قوله (قد جاءتكم بينة من ربكم) كنى عن إرساله بالنبوة بالبينة لاستلزامها ذلك، ولم يذكر القرآن معجزة شعيب عليه السلام كما لم تذكر أكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وآله وسلم.

قوله (فأوفوا الكيل والميزان) الفاء لتفريع أمر الإيفاء بالميزان بعد أمر الدعوة إلى التوحيد، والتوفية إيصال حق الغير بتمامه من دون نقصان،

والكيل أريد به آلة الكيل وهو المكيال، فكأنه أقام المصدر مقامه، وكذا الميزان أريد به الوزن.

وقد كان قوم شعيب يسرقون في الوزن فيأخذون أكثر مما يستحقون، فنهاهم عن ذلك لما في التسوية في المبايعات من تحقيق للعدل وحفظ للسلم في المجتمع.

قوله (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) الواو لعطف النهي على الأمر، والبخس هو النقص، بخسته حقه أي نقصته، وقد كان ذلك يصدر منهم في المكس في البيع، وهو تهوين شأن الشيء، وتعريف الناس لعمومهم من دون تفريق، ولفظ الأشياء تدل على عموم ما كانوا يبخسون الناس فيه في معاملاتهم ومبايعاتهم، حتى قيل كما في الكشاف: إنهم كانوا يستغلون الغريب إذا دخل بلدهم فيزيفون دراهمه أو يعطوه بدل جياد دراهمه زيوفا. انتهى.

قوله (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) والنهي عن الإفساد في الأرض معنى عام يشمل أمن الإنسان في نفسه وماله ومبايعاته، والظرف في قوله (بعد إصلاحها) أي: بعد استقرار أهل الأرض بإرسال المرسلين وإنزال الشرائع.

قوله (ذلكم خير لكم) الإشارة بلفظ البعيد إلى المعاصي التي نهى عنها، أي: خير لكم في تحقيق سعادتكم وأمنكم ومنافعكم ومعاملاتكم في التكسب والتربح، لأن الناس أرغب في متاجرتكم إذا عرفوا منكم الأمانة والسوية.

قوله (إن كنتم مؤمنين) الإيمان هنا من التصديق بالقول وليس من الاصطلاح، لأن قوم شعيب لم يؤمنوا أصلا بعد بالله الأحد بدليل قوله في صدر الآيات (اعبدوا الله).

قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

قوله (ولا تقعدوا بكل صراط) الواو لعطف جملة على أخرى، والنهي أمر آخر من شعيب لقومه يدل على نصحه الشديد لهم، إذ نهاهم عن اعتراض الناس الذين يرومون الالتحاق بالإيمان به، فقد كانوا يجلسون على الطرق والمراصد فيشوهون دعوة شعيب باتهامه بالكذب كما كانت تفعل قريش مع نبيها، وفعل القعود كناية عما يلزم منه وهو ملازمة المكان، والباء للملابسة، وكل من ألفاظ العموم، والصراط الطريق المستقيم الموصل إلى شعيب ودعوته.

قوله (توعدون وتصدون عن سبيل الله) جملة الوعد مقامها الحال. والإيعاد تهديد الناس بالأقوال. وجملة الصد معطوفة على الحال، إشارة إلى أفعالهم بمنعهم الناس من الإيمان بما يقول شعيب، وهي من باب ذكر العام بعد الخاص لأن الصد أعم من الإيعاد. وحرف التجاوز (عن) متعلق بعل

الصد، وسبيل الله استعارة لتوحيده تعالى لأنها السبيل الموصل إلى رضاه سبحانه.

قوله (من آمن به) اسم الموصول محله النصب مفعول لفعل الإيعاد لأن أصل الكلام: توعدون من آمن به وتصدون عنه، والهاء في (به) راجع إلى سبيل الله، وفيها جناس ناقص لطيف بين (من) و(آمن).

قوله (وتبغونها عوجا) الواو للعطف، والبغي الطلب، وضمير الهاء عائد إلى السبيل، والعوج الميل عن الطريق المستقيم، وهو استعارة تصريحية، إذ شبه السبيل الذي يطلبونه بالطريق المنحرف المعوج الذي لا يوصل سالكه إلى غرضه المنشود، والمعنى: تصفون للناس سبيل الله بانها منحرفة معوجة عن الحق لتصدوهم عن سلوكها.

قوله (واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم) الأمر من شعيب لقومه بالتذكير لاستحضار نعمة الله عليهم بكثرة النسل، واستعمل للنعمة أسلوب المقابلة بين المعاني بين التقليل والتكثير.

وذكر إنّ مدين بن إبراهيم تزوج بنت لوط فولدت، ورمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا، ولا ريب في أن التدرج من القلة إلى الكثرة في الناس يحقق مزيدا من النهوض باتجاه التكامل وسد النقص في مناحي الحياة ويستوجب العزة والهيبة والمنعة لهم، فالشعوب التي تمتلك المورد البشري أدعى إلى تطورها من الشعوب القليلة العدد، وفي ذلك كلام كثير.

قوله (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) الواو للعطف على ما قبلها، والأمر بالنظر للاعتبار، والسؤال مضمونه التهديد لقوم شعيب بتذكيرهم بسوء عاقبة الأمم قبلهم كقوم نوح وهود، وممن كانوا قريبي العهد مما أصاب المؤتفكة كقوم صالح ولوط، واستعمال السؤال لزيادة التنبيه.

قوله تعالى ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

قوله (وإن كان طائفة منكم) عطف الكلام على ما قبله لتواصل نصائح شعيب لقومه. وأسلوب الشرط لإفادة بيان جوابه. والطائفة الجماعة من الناس.

قوله (آمنوا بالذي أرسلت به) جملة الإيمان موقعها الصفة للفظ الطائفة، والذي أرسل به شعيب توحيد عبادة الله، وإنما وري عنه بجملة الموصول لتعظيمه.

قوله (وطائفة لم يؤمنوا) الواو لعطف الكلام على الشرط، ونفي الإيمان وحذف متعلقه بمعنى: لم يؤمنوا بما أرسلت به.

قوله (فاصبروا حتى يحكم الله بيننا) الفاء واقعة في جواب (إن) الشرطية، والأمر بالصبر لقومه يدخل في باب التوجيه والإرشاد وأما بالنسبة لأتباعه

المؤمنين فهو أمر مولوي وإرشادي، والكلام من باب إعطاء النصفة بالكلام، فجعل الطائفتين في مقام واحد بانتظار حكم الله إمعانا في تهديدهم ومبالغة في زجرهم.

و(حتى) لابتداء الغاية، وحكم الله قضاؤه فيما بين شعيب وقومه بإنزال العذاب فيهم نصرة لنبيه.

قوله (وهو خير الحاكمين) جملة إخبار وتذييل، وكون الله أفضل الحاكمين الفاصلين بين الحق والباطل فهو أدعى لجماعة شعيب بالاطمئنان وأجدر بقومه أن يزدجروا ويحذروا لأنه تعالى لا شك ناصر نبيه في دعوته.

قوله تعالى ﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

قوله (قال الملأ الذين استكبروا من قومه) وصف علية قوم شعيب بالاستكبار والاستعلاء لبيان سبب ما بعده من شدة موقفهم في العناد على الكفر، والجرأة على نبي الله، و(من) تفيد التبعيض.

واستكبار الملأ يدل على أنهم علموا ثم استكبروا معاندين، وهو غالبا ما يصدر من طبقة الأكابر أو الرؤساء الذين وصفتهم الآيات الشريفة بالملأ،

فهم لم يسترشدوا بما دعاهم إليه إلى من الصبر، وانتظار الحكم الفصل، فأخذوا بلغة التهديد والوعيد له ولأتباعه.

قوله (لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا) اللام المقترن بفعل الإخراج مؤذن بالقسم، ونون التأكيد لعزم قومه على الفعل، وهو طرد شعيب ومن آمن معه، وهو ذات الأمر سبق ذكره مع لوط عليه السلام، والكلام عظة للنبي ﷺ وتذكير له فيما يجري مع قومه مشركي مكة.

ونداؤهم لشعيب) باسمه ليس من باب إجلاله، بل لأنهم خيروه بين الطرد من القرية أو العودة إلى ملتهم.

وحرف الجر (من) للابتداء، وإضافة القرية إلى نون جمعهم إيحاء بأنها ملكهم وخاصتهم، لهم حق التصرف فيها وما يفعلون.

قوله (أو لتعودن في ملتنا) تخيير لشعيب، بطريقة التأكيد بالقسم المؤكد، للدلالة على إصرارهم وعدم تهاونهم مع شعيب في قرارهم، و(في) للظرفية المجازية، والملة ما يدينون به من دين الشرك.

قوله (قال أولو كنا كارهين) أجابهم شعيب بالاستفهام الإنكاري لتخييرهم بين الطرد والعودة إلى الكفر، والكره الإجبار على فعل غير مرغوب فيه.

قوله تعالى ﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ

شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾

قوله (قد افترينا على الله كذبا) الكلام من تتمة رد شعيب على قومه تأكيد لنفي خيارهم الذي قدموه لشعيب، وهو تعليل لقوله (أولو كنا كارهين).

و(قد) للتحقيق وتأكيد معنى الفعل، والافتراء التقول على الله بوجود الشريك له في العبادة، وهو افتراء مشروط بالعودة التي لن تكون من شعيب أبدا.

قوله (إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها) أي: إن رجعنا من الإيمان إلى الكفر بعد من الله علينا بالنجاة من ملتكم، وظرف البعدية وجملة النجاة يراد بها تبشيع العود إلى الكفر.

وأدمج شعيب نفسه مع قومه المؤمنين به من باب التغليب، فهو لا يقصد نفسه، ولكنه أجراها معهم لأنهم في خيارهم الأول خاطبوه بالإفراد في أمر الإخراج من القرية، بينما في التخيير الثاني خاطبوه بالجمع مع قومه في فعل العود، لذلك أجابهم بمثل ما خاطبوه، وإلا لا يجوز على الأنبياء مثل ذلك.

قوله (وما يكون لنا أن نعود فيها) أي: ما يصح لنا، ولا يكون، على سبيل الإضراب والترقي في الجواب القاطع بتعذر حصوله، فنفى شعيب المقام الذي يسمح بالعودة فيه إلى الكفر، مبالغة في تصوير إيمانه بالله، فقال (ما

يكون لنا) ولم يقل: ما لنا، فذلك مما لا يكون البتة، ونفي مضي الكون ولام الجحود من أشد أنواع النفي.

وإنما أطال الكلام في نفي العود أكثر من الخيار الأول لخطورة معناه ولما يمس أصل دعوة شعيب إليهم.

قوله (إلا أن يشاء الله ربنا) الاستثناء بمشيئة الله يقصد به حسم طمع القوم في العودة إلى الكفر لأنه محال قبول ذلك عقلا، وهو من الأدب النبوي الرفيع الذي تصوره الآيات الشريفة لهم، إذ إن شعيبا كان قطع عدم عودتهم إلى ملة قومهم بأشد النفي قال السيد في الميزان: والقطع في مثل هذه العزمات مما هو بعيد عن أدب النبوة فإنه في معنى: لن نعود على أي تقدير فرض حتى لو شاء الله، وهو من الجهل بمقامه تعالى، استثنى مشيئة الله سبحانه فقال: (إلا إن يشاء الله ربنا) فإن الإنسان كيفما كان جائز الخطأ فمن الجائز أن يخطئ بذنب فيعاقبه الله بسلب عنايته به فيطرده من دينه فيهلك على الضلال. انتهى.

وإفادة الجمع بين الألوهية والربوبية في قوله (الله ربنا) أراد به الإشارة إلى نفي إمكان الفصل بينهما، فالله تعالى هو الحاكم وهو المدبر فهو إله ورب كما يقتضيه دين التوحيد الذي يدعو به الأنبياء وليس ما تفعله الوثنية من الفرز بينهما، فتسلم الألوهية لله ثم تقسم الربوبية بمختلف شؤونها على الأوثان فتسميها رب البر ورب البحر ورب ونحو ذلك. كذا ذكره صاحب الميزان. انتهى بتصرف.

قوله (وسع ربنا كل شيء علما) تعليل للاستثناء، لأن في علم الله وحده مآل كل عبد وحسن عاقبته أو سوؤها، وفعل السعة مجاز للإحاطة، والمراد: وسع علم ربنا كل شيء، ونصب لفظ العلم على التمييز.

قوله (على الله توكلنا) تقديم الظرف للقصر أي: على الله وحده لا على غيره توكلنا، والتوكيل تفويض الأمر وتسليمه إليه تعالى.

قوله (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) خطاب (ربنا) للدعاء لذا يحذف فيه حرف النداء لأن النداء إقبال المنادى عليه على المنادي وهذا لا يصح مع الله تعالى، والأمر بالفتح يراد به الكشف والإزالة لتحقيق النصر، كناية عن الحكم الفصل بكشفه وإظهاره، فالفتح بين شيئين يستلزم إبعاد كل منهما عن صاحبه حتى لا يماس أحدهما الآخر، وأراد به الدعاء بهلاكهم، لأن تقييده بالحق متضمن معنى نصرة الله لنبيه شعيب وإنزال العقاب بقومه، والباء في (بالحق) للملابسة، والحق الصدق العدل.

والنداء والأمر كما تقدم يراد به الدعاء عليهم بعدما سمع شعيب من قومه ردا بالطرد فيئس من هدايتهم، وعلى عادته في خطابه أجرى كلامه بأسلوب منصف راعى فيه تقسيم السوية بينه وبين قومه في دعائه ربه بإحقاق الحق، فأبهم الخاسر من الرابح ولم يصرح بالناجي من الهالك، فأعمى في طلبه ولم يتهم، وهو يعلم أن الله سينصره، فهو دعاء مضمر في طلب إنزال العذاب عليهم من دون التصريح به.

قوله (وأنت خير الفاتحين) تأكيد لفتح الله بالإخبار بالجملة الإسمية وإثبات لمعناه، والإخبار تأدب فيه شعيب بإرجاع الأمر إلى الله تعالى كما فعل في قوله السابق (فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين).

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

قوله (وقال الملأ الذين كفروا من قومه) القول من أكابر قوم مدين الموصوفين مرة بالاستكبار ومرة بالكفر، ويندرج قولهم ضمن الإيعاد والصد عن سبيل الله الذي نهى عنه شعيب وحكاه تعالى في قوله (ولا تقعدوا بكل صراط).

قوله (لئن اتبعتم شعيبا إنكم لخاسرون) تشديد وتأكيد منهم لتثبيط المؤمنين بشعيب لعودتهم إلى الكفر، استعمل له القسم وأسلوب الشرط، وأكد جوابهما بالإخبار بالجملة الاسمية ولام التوكيد في خبر (إن)، وأقيم مقام الجزاء وسد مسد جواب القسم في (لئن)، للدلالة على ثبات كفرهم وإصرارهم على معاندة شعيب، وشدة محاولتهم لإقناع المؤمنين به بالعودة إلى الكفر لأنهم منكرون تمام الإنكار لما يقول هؤلاء الملأ، والاتباع يراد به التولية والانقياد، ووصفوه بالخسران باعتبار انعدام تحصيل الفوائد منه.

قوله تعالى ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

قوله (فأخذتهم الرجفة) الفاء للتفريع، والأخذ المسك بحيث لا يفلت أحد من العقاب، الرجفة شدة الاضطراب، وتعريفها للعهد، والجثوم كناية عن التصاقهم بالأرض خوفا وهلعا لأنهم أصبحوا موتى لا حراك بهم

قوله (فأصبحوا في دارهم جاثمين) الفاء للتعقيب، وفعل الإصباح بمعنى صاروا، ولا وجوب لأن يكون بمعنى طلوع الصباح عليهم وأن العذاب نزل بهم وهم بيات نائمون، ولفظ الجثوم كناية عن التصاقهم بالأرض خوفا وهلعا لأنهم أصبحوا موتى لا حراك بهم.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡا۟ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيۡبٗا كَانُوا۟ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾

قوله (الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها) الابتداء بالموصولية اهتماما بذكرهم وتفصيلا لعاقبة أمرهم لأنهم المخصوصون بالعذاب من دون غيرهم، والتكذيب الجحد والإنكار لنبوة شعيب.

والتشبيه (كأن لم يغنوا فيها) تصوير لهلاكهم فجأة وانقضاء حالهم فشبههم بمن لم يطيلوا الإقامة في أرضهم فإن أمثال هؤلاء يسهل زوالهم لعدم تعلقهم بها في عشيرة وأهل أو دار أو ضياع وعقار، وأما من تمكن في أرض واستوطنها وأطال المقام بها وتعلق بها بكل ما يقع به التعلق في الحياة المادية فإن تركها له متعسر كالمتعذر، ولاسيما ترك الأمة القاطنة في أرضها وما اقتنته فيها طول مقامها.

قوله (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) إعادة جملة التكذيب والخسران لأنه أنزل الإخبار منزلة الرد على مقالة الملأ بعد إهلاكهم استهزاء بنصحهم وتسفيها لرأيهم بإخراج شعيب.

قوله تعالى ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾

قوله (فتولى عنهم) الفاء عاطفة للتعقيب، وفعل التولي بمعنى انصراف شعيب عن قومه الهالكين.

قوله (وقال يا قوم) مقال شعيب مبتدئا بنداء منادى مضاف إلى نفسه يراد به التحسر عليهم لتفويت سماعهم نصحه لهم، مؤكدا ما بذله من أجلهم من جهد أشد تأكيد فاستعمل (لقد) المشعرة بالقسم المؤكد بحرف التحقيق (قد).

وكثّر الرسالة برسالات التي لم يدخر وسعا في إيصالها إليهم، ومَحَضَهم النصحَ المشدد بدلالة تعدية الفعل باللام (نصحت لكم).

قوله (فكيف آسى على قوم كافرين) الفاء للتفريع على التبليغ والنصح، والسؤال مجرد من الإجابة لإنكار حزنه عليهم ولدفع توهم أن حسرته لأجلهم اعتراض على إحلال العذاب فيهم، والأسى شدة الحزن، وحرف الجر (على) للاستعلاء المجازي، وتنكير لفظ القوم لإفادة نفيهم عن نفسه، بينما كان يناديهم بنسبتهم إلى نفسه، لأن خطابه الأول في مقام التعريف، والثاني في مقام الاستحقاق والتنكير. ووصفه بلفظ الكفر لرسوخه فيهم.

قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ٩٤ ﴾

قوله (وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء) الواو لاتصال الكلام بمجموع معنى الآيات السابقة لبيان عاقبة المكذبين وتعليل إنزال العذاب عليهم.

والمعنى: إن الله يرسل الرسل للناس بعد أن يبتليهم بالمحن الشديدة ليكون ذلك أدعى إلى التضرع لله وقبول دعوة الرسل إليهم في هدايتهم.

وأسلوب القصر بالنفي والاستثناء يدل على شدة تأكيد المعنى، والإرسال البعث بالنبوة والرسالة، و(في) للظرفية المجازية، والقرية تعني الحاضرة من المدن ضد البداوة، وإنما خص القرية لأن فيها الأكابر والطغاة وفيها عادة يستوطن الناس بكثرة لمصالح مختلفة من المعايش، وتنكيرها لإفادة العموم، وحرف الجر (من) زائدة لتأكيد عموم الأنبياء، وأداة الاستثناء ملغاة، وفعل الأخذ مستعمل في المسك الشديد، والهاء في (أهلها) عائد إلى القرية.

والباء المقترن بلفظ البأساء للملابسة، والمراد بالبأساء الإشارة إلى الأذى الشديد بالفقر بالمال ونحوه، وبالضراء الإشارة إلى الأذى الأخف في النفس كالمرض ونحوه، لأن البأساء أشد في المعنى من الضراء وكلاهما في معنى ما يغم الإنسان ويسوؤه.

وقوله (لعلهم يضرعون) أي: لكي يدعوا الله بضراعة وتذلل وانقياد.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾

قوله (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) يفيد العطف بـ (ثم) التراخي الرتبي في الكلام. والكلام في معنى استدراج المترفين بكثرة النعم، والتبديل وضع الشيء الأول مكان الشيء الثاني، وهو مجاز، إذ الحسنات والسيئات معان ذهنية وليست أعراض يضمها مكان، وهي كنايات عن الشدة والرخاء، والخوف والأمن، والضراء والسراء، والمراد استدراج الكاذبين في تمكينهم بسبل الحياة الضالة وزينتها.

قوله (حتى عفوا) أي: حتى طغوا، وتفيد (حتى) ابتداء الغاية، والعفو بمعنى النمو والزيادة في الأنفس والأموال، يقال: عفا النبات إذا كثر، ومنه قوله ﷺ: حفوا الشوارب واعفوا اللحى، ولا تشبهوا باليهود. نقله الصدوق في من لا يحضره الفقيه. انتهى.

قوله (وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) أي: يزعم الكافرون أن قد أصيب آباؤهم بالحزن مثلما أصيبوا بالفرح، لأن هذه عادة الدهر يصيب الناس بالسراء والضراء، وليس ذلك من غضب الله عليهم وابتلائه.

ومقالهم هذا يلتمسون به تضليل أنفسهم فيسوغون لها فعل المعاصي، وهو لا ريب من بطر النعمة فيهم، وما زال فيها الإنسان إلى يوم يبعثون يحسب

ما ينزل عليه من إشارات الغضب أو الفرح أنها من أفعال الطبيعة أو الدهر وكأن الحكمة المقدرة والمشيئة العظيمة من الجلالة غائبة عن خلق السموات والأرض فيعمد الإنسان إلى نكرانها أو تهوين شأنها من غير ارعواء وازدجار، وفي محاذاة السيئة جعل الضراء، وقبال الحسنة جعل السراء مراعاة للترتيب.

قوله (فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون) الفاء للتعقيب، بمعنى: أهلكهم الله بعذاب الفجأة، وهم في حال غير مستعدين له وغير شاعرين بمقدماته، وفيها تلويح إلى جهل الإنسان بجريان الأمر الإلهي فهو أتاهم من الجهة التي اعتقد أنه آخذ بزمامها مستوثق من إحكام ردها، وجملة (وهم لا يشعرون) مقامها الحال.

قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

قوله (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا) الواو للعطف على (فأخذناهم)، والأداة (لو) تفيد التمني وهي أداة امتناع لامتناع، فهم امتنعوا عن الإيمان بالله وتقواه فامتنع عنهم فتح بركات السماء والأرض، واللام للعهد في لفظ (القرى)، أي القرى المعروفة المعهودة في الذهن، ويمكن إرادة الجنس أي: كل أهل قرى، على نحو العموم، وجملة الإيمان خبر (أن) والمعنى: آمنوا

بالله ورسله واتقوا مخالفة أوامره، وعطف التقوى على الإيمان لأن المعتقد لا يغني وحده عن العمل.

وقوله (لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) اللام المقترن بفعل الفتح واقع في جواب (لو)، والفتح استعارة بالكناية، تشبيها للبركات بفيض ماء أو بباب مغلق، ثم حذفه وأشار إليه بالفتح لتصوير كثرة البركات بتيسيرها عليهم كما ييسر أمر الأبواب المستغلقة بفتحها، وإيرادها منكرة لتدل على نوعيتها وعظمة فائدتها ونمائها.

وحرف الجر (عليهم) يدل على الاستعلاء متضمن لمعنى إنزال البركات من أعلى ولهذا قدم السماء على الأرض كون الخير يأتي دائما من السماء.

وحرف الجر (من) للابتداء، وبركات السماء كناية عن المطر والثلج والحر والبرد ونحوه، وبركات الأرض كناية عن النبات والفواكه وأنواع الزرع والأمن والرخاء ونحوها.

قوله (ولكن كذبوا) الاستدراك للتعليل نفي فتح البركات على الكافرين.

قوله (فأخذناهم بما كانوا يكسبون) الفاء لتفريع العذاب على التكذيب، والأخذ بمعنى المسك والإدراك، والباء في (بما) بمعنى السبب، و(ما) اسم موصول وضمي الكون إشارة إلى أعمالهم في الدنيا، والمعنى: بسبب أفعالهم وسوء كسبهم في تكذيبهم الرسل واقترافهم المعاصي.

قوله تعالى ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾

قوله (أفأمن أهل القرى) الفاء عاطفة للترتيب الكلامي، تقدمتها همزة الاستفهام لأن لها الصدارة في الكلام لقوتها، والاستفهام لإنكار أمن الكافرين وهم يفعلون المعاصي، أي: ما كان عليهم أن يناموا آمنين.

قوله (أن يأتيهم بأسنا بياتا) أي ينزل عليهم عذابنا وهم نيام، سمى نزول عذاب الاستئصال لهم بلفظ الفعل الإتيان لسهولة ذلك عليه سبحانه، وأنه لا يعجزه أحد مهما ادعى الطغيان والقوة، وكنى عن العذاب بالبأس، وأسنده إليه سبحانه تعظيما لشأنه، ونصب (بياتا) على الحال، والبيات التبييت أي: ينزل بهم العذاب بغتة وقت راحتهم ونومهم ليلا من حيث لا يشعرون.

وقوله (وهم نائمون) جملة حال ثانية تأكيد للحال الأولى.

قوله تعالى ﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾

قوله (أوأمن أهل القرى) إعادة السؤال الإنكاري لإفادة كمال قدرة الله تعالى في إحاطة العذاب بهم وقت نومهم ووقت لهوهم.

وقوله (أن يأتيهم بأسنا ضحى) جملة (أن) تفسير لإنكار أمن أهل القرى، أي: ينزل بهم العذاب وقت النهار، وقت مرتفع الشمس وإشراقها قبل الظهر، ولفظ الضحى منصوبة على الحال.

وقوله (وهم يلعبون) جملة حال ثانية، تقابل جملة (وهم نائمون) أي قادرون على إنزال العذاب عليهم وقت لعبهم ولهوهم واستخفافهم، واللعب كناية عن العمل للدنيا وقضاء الوقت فيما لا ينفع لأن ذلك مما يستلزم منه.

وتغاير العطف في قوله (أفأمن) وقوله (أوأمن) بين الفاء والواو ودخول همزة الإنكار عليهما لأن الفاء تشير إلى معنى التعليل، فهي معطوفة على جملة (فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون) لأن الآية (ولو أن أهل القرى إلى قوله يكسبون) وقعت اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه. قال في الكشاف: وإنما عطف بالفاء لأن المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة، أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى. انتهى.

قوله تعالى ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩ ﴾

قوله (أفأمنوا مكر الله) الفاء للتعقيب الذكري، والاستفهام تأكيد لإرادة توبيخهم لأنه تكرير لقوله (أفأمن أهل القرى) و(أو أمن) فكأنه كما ذكر العلامة الطبطبائي: جمع وتلخيص للإنكارين السابقين في الآيتين. انتهى.

وإسناد المكر لله من باب المشاكلة في الألفاظ وعلى سبيل المجازاة وليس الابتداء من دون معصية لأنه مما لا يصح وعدالة الله. وهو استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه، والمراد تركهم لأنفسهم في طريق الضلالة من دون ارعواء ونصح لهم فيحسبون أنفسهم أنهم على حق فيستمروا في غوايتهم ليجدوا أنفسهم في نهاية المطاف أنهم في طريق مسدود غير موصل إلى أي هدف معتبر سوى غرض المهلكة، قال الزمخشري: فعلى العاقل أن يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة. انتهى.

قوله (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) الفاء لتفريع النفي على الإنكار، وجملة النفي بيان وتفصيل لعاقبة أمن مكر الله، ولفظ الخاسرون يراد به القوم الذين باعوا الهدى بالضلالة، أو باعوا أنفسهم للشيطان والضلال فخسروها، واستعمال القصر بالنفي والاستثناء لتأكيد للمعنى.

قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

قوله (أو لم يهد للذين يرثون الأرض) العطف لاتصال الكلام، والاستفهام يراد به الإنكار، والمراد بـ (يهد) أي: نفي العرفان واهتداء الطريق، والذين يرثون الأرض القوم الذين بقوا خلائف في الأرض بعد هلاك أهل تلك

القرى البائدة، فكأنهم ورثوها من موتى سابقين عليهم، وتعريف الأرض للجنس.

قوله (من بعد أهلها) أي: من بعد أهلها الهالكين، والهاء عائدة على الأرض.

قوله (أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) (أن) تفسير لنفي الهدي، أي: لو نشاء أنزلنا عليهم العذاب فلا يخطئهم بما فعلوا من سيئات مثلما أصبنا قبلهم، وبهذا تكون الجملة السابقة تمهيد ودليل لهذه النتيجة غير الممتنعة، والإصابة التعيين، والباء المقترنة بلفظ الذنوب بمعنى: بسبب ذنوبهم.

قوله (ونطبع على قلوبهم) الواو للعطف على قوله (أصبناهم)، أي: نغلق قلوبهم فنمنع من أن يصل إليها هدينا ولا تنفذ إليها معارفنا التي يجيء بها المرسلون، والطبع أعم من الختم وأخص من النقش، ويراد به الاستيثاق من الشيء والمنع منه، قال الراغب: إشارة إلى ما أجرى الله به العادة أن الانسان إذا تناهى في اعتقاد باطل أو ارتكاب محظور ولا يكون منه تلفت بوجه إلى الحق يورثه ذلك هيئة تمرنه على استحسان المعاصي وكأنما يختم بذلك على قلبه. انتهى.

وقوله (فهم لا يسمعون) الفاء لتفريع النتيجة على الطبع، أي: لا يفقهون ولا يعلمون، لأن السمع أحد موارد العلم ومنافذه.

قوله تعالى ﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾

قوله (تلك القرى نقص عليك من أنبائها) لفظ الإشارة لاستحضار ما ذكر من القرى البائدة كأنها مشاهدة، أي: تلك الأمم البائدة الساكنة في القرى، فهي من المجاز المرسل أطلق المحل وأراد الحال فيه، والكلام إجمال لما سبق تفصيله.

وفعل القص يفيد التلاوة المستمرة لأحوال أهل تلك الأمم، وضمير الخطاب في (عليك) للنبي ﷺ، وتفيد (من) التبعيض، وأنباء القرى أخبار أهلها المهولة وما ارتكبوه من عظيم المعاصي.

قوله (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) الواو للعطف، والقسم وحرف التحقيق في (لقد) لأهمية الإخبار، وفعل المجيء مجاز من التبليغ والرسالة، وإسناد الرسل إليهم لخصوصية كل رسول بقومه، ولأنهم من جنس قومهم يعرفون بعضهم بعضا. والباء المقترن بلفظ البينات للمصاحبة، ولفظ البينات بمعنى بالحجج والبراهين الظاهرة التي لا لبس فيها ولا شبهة، والظرف محله الحال.

قوله (فما كانوا ليؤمنوا) الفاء للترتيب الذكري، والنفي المشدد للإيمان عنهم بمضي الكون ولام الجحود تسمى، بمعنى: نفي وجود الاستعداد والإمكان عنهم لقبول الإيمان. ولذا لم يقل: لم يؤمنوا.

قوله (بما كذبوا من قبل) أي: إن ذلك النفي بسبب اعتياد أنفسهم على الكفر وتمرسها على الكذب، من قبل إرسال الرسل إليهم.

قوله (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) أي: كذلك المثال يغلق الله منافذ العلم والإدراك التي يتميز بها الإنسان من الحيوان، فيغلق منافذ المعرفة من السمع والفهم والبصر، فكأنه يطبع عليها أي يختم فما تفتح. والطبع كما قال الراغب: أن تصور الشيء بصورة ما كطبع السكة وطبع الدراهم وهو أعم من الختم وأخص من النقش. انتهى.

وهذا التذييل بالفاصلة بمثابة مصداق للطبع المذكور آنفا في قوله (ونطبع على قلوبهم) في الآية السابقة.

قوله تعالى ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ١٠٢ ﴾

قوله (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) الواو لعطف الكلام على ما سبقه، والإخبار تعليل لأخذ أهل تلك القرى بعذاب الاستئصال، وذلك بنفي حفظهم الأمانة وصيانة المواثيق التي قطعوها على أنفسهم لله عند خلقه أباهم آدم فهو صورتهم الإنسانية، إذ عهد إلى الله سبحانه بعد هبوطه الأرض أن

يعبده هو وذريته ولا يشركوا به شيئا، فالعهد متحقق على لسانه عنهم وسابق على هذا التحقق، ونفي الوجدان بمعنى نفي العلم، وتقديم شبه الجملة للأهمية، وحرف الجر (من) زائد لتقوية نفي العموم، والعهد الميثاق المأخوذ من الإنسان على توحيد الله في أصل فطرة خلقه، قال الراغب: العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال وسمى الموثق الذي يلزم مراعاته عهدا. انتهى.

قوله (وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) زيادة في تأكيد معنى التعليل، فهم خائنون فاسقون، والفسق هو الخروج على عهد الله، وفي لفظ الأكثرية فرز للمؤمنين عن أغلبية الفاسقين تحقيقا لعدالة الله في حفظ حقوق عباده، واللام في لفظ الفاسقين لام التأكيد تدل على التشديد في معناهم بالفسق.

وأجد أن آيات إهلاك أهل القرى هذه جميعها من الأخلاف والأسلاف تلخيص لقصص الأمم السابقة التي بدأتها بقصة قوم نوح فقوم هود فقوم صالح ثم قوم شعيب، إذ كان خطاب الدعوة إلى التوحيد واحدا ووقوف الملأ بوجه المرسلين متشابه، فجاءت الآيات بمثابة الحكم العام الذي لخص أحوالهم وسوء عواقبهم. وتلخيصها على ما يأتي:

- يبتلي الله الناس بالمحن والبلايا ليتضرعوا إلى الله وليكونوا أقرب إلى استجابة دعوة الأنبياء، لأن الإنسان يميل بطبعه إلى الغيب لكشف الضر عنه.

ـ ولكنهم استخفوا بذلك وجعلوا ابتلاءاتهم من قبيل العادة في الدنيا تحصل لهم كما حصلت لآبائهم.

ـ فزادهم ذلك تكذيبا لآيات الله ورسله، لأن الاستعداد والتهيؤ غير متحصل في نفوسهم وذلك هو الطبع الذي طبعه الله على قلوبهم.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾

اتصال الآيات بما سبقها في استمرار ذكر أحوال الأمم مع أنبيائهم، فبدأت في ذكر قصص موسى عليه السلام مع فرعون ومع قومه بني إسرائيل، والنبي موسى عليه السلام ثالث أنبياء أولي العزم تعد رسالته المرحلة الثالثة من الشرائع الإلهية للبشر، وورد ذكره أكثر من سائر الأنبياء.

قوله (ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون) اختلف البدء بذكر النبي موسى مع قومه عن سابقيه من الأنبياء المذكورين فأطيل في سرد أحواله مع قومه بسبب عناية الكلام عن موسى عليه السلام، وخصوصية رسالته كونه ثالث أنبياء أولي العزم.

يفيد حرف العطف (ثم) التراخي الرتبي في الكلام، والبعدية بمعنى: من بعد الأنبياء الذين ذكروا فيما سبق وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، وموسى بن عمران كليم الله من أسباط لاوي بن يعقوب، وقيل غيره، والباء المقترن بلفظ الآيات للمصاحبة، والآيات الحجج والبراهين الدالة على نبوة

موسى ورسالته، أسندت إلى نون الله لتعظيمها، وحرف الجر لانتهاء الغاية، أي: غايته رأس الكفر فرعون لعرض الإيمان بالله عليه وإيقافه عند حده، وفرعون طاغية القبط، لقب متأخر من السلالة الحاكمة لمصر في ذلك الزمان، كما يقال قيصر للروم وكسرى للفرس، ولا يعرف اسمه، وفي الكلام إجمال لآيات موسى سيرد بعض تفصيلها في الآيات اللاحقة.

قوله (وملئه) العطف دال على أن تبليغ ملأ فرعون من أغراض رسالة موسى، والملأ الأشراف من جلاس فرعون وأتباعه الذين يملؤون المكان بمكانتهم وهيبتهم.

قوله (فظلموا بها) الفاء للتعقيب الذكري، والظلم أصله نقص حق الغير، والباء في (به) للتعدية بسبب تضمن فعل الظلم معنى الجحد، والهاء راجع إلى آيات الله، وظلم الآيات يكون بنكرانها والكفر بها وجحدها.

قوله (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) الفاء لتفريع نظر الاعتبار على الإنكار والظلم، والخطاب فيه قد يكون لنبينا أو عاما من خلاله.

والاستفهام مجرد من الإجابة، يراد به تهويل خاتمة المفسدين المعتدين، ولفظ الإفساد يشمل معنى عاما للمعاصي كالقتل وقطع الطريق ونفي الأمن.

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤ ﴾

قوله (وقال موسى يا فرعون) يوحي النداء من موسى عليه السلام بمراعاة الأدب في خطاب فرعون، وهو مصداق لقوله تعالى موصيا نبييه موسى وهارون (فقولا له قولا لينا) [طه ٤٤].

قوله (إني رسول من رب العالمين) لم يطل الكلام موسى في مقدمته بعد النداء فابتدأ بإخبار فرعون بأتم معنى وأبلغ رسالة وأقصر هدف فتوخى له إخباره بالجملة الإسمية المؤكدة التي تثبت معنى صحة رسالته من ربه رب السموات والأرض، وتنكير لفظ الرسول يريد به الإشارة إلى جلالة المرسِل، ودلالة نوع الرسالة وخصوصية المنزلة عند الله، و(من) ابتدائية، وإنما قال (رب العالمين) فجمع العوالم المختلفة في رب واحد ردا على وثنية فرعون وقومه القائلة بتعدد الربوبية كإله البر وإله البحر وغيره، وردا على زعم فرعون بأنه ربهم الأعلى.

ولا ريب في أن الكلام حكاية الله على لسان موسى أنزله على نبينا بالعربية وإن كانت لغة موسى العبرية، إذ ليس كمثل القرآن أصدق نقلا وقيلا.

قوله تعالى ﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٠٥ ﴾

قوله (حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق) تأكيد من موسى بصدق دعواه في كونه مرسلا من الله، أكده بتقديم الخبر (حقيق على) على المبتدأ (ألا أقول)، وبأسلوب القصر بالنفي والاستثناء، وفي الجملة معان عميقة

من معرفة موسى بالله عز وجل واستغراق نفسه في وصفها بالصدق، فالمعنى: واجب قول الصدق علي أن أكون أنا القائل به، وقيل إن (على) بمعنى (بأن لا أقول)، وفيها قراءات مختلفة.

قوله (قد جئتكم ببينة من ربكم) تعليل لما سبق من قوله برسالته، استبق به فورة فرعون وهيجانه، فصرح بمجيئه بالدليل على صحة قوله، والباء في (ببينة) للمصاحبة، والبينة الدليل، سميت ذلك لظهورها، ومعنى (من) أن مبدأ البينة الله تعالى، وإضافة الرب إلى كاف جمع المخاطبين للإشارة إلى الربوبية الواحدة لله تعالى فهو رب الجميع بضمنهم فرعون شاؤوا أو أبوا، فكلهم مملوكون له ولا خيرة لهم في ذلك، وفيها رد على فرعون وتكذيب له في زعمه أنه ربهم الأعلى.

قوله (فأرسل معي بني إسرائيل) الفاء لتفريع الأمر على الإخبار، ولفظ طلب الإرسال استعارة عن التقييد، فكأن فرعون جعل بني إسرائيل أسرى مقيدين عنده فطلب موسى إرسالهم أي فك قيدهم وإطلاقهم، وبنو إسرائيل هم نسل بني يعقوب، فقد كان يسمى يعقوب إسرائيل أي عبد الله بالعبرية، وكان فرعون يستعبدهم ويستغلهم فيما يشق من الأعمال كبناء المنازل ونقل الحجارة والتراب، فطلب موسى من فرعون أن يخلي سبيلهم ليرجع بهم إلى الأرض المقدسة التي هي وطنهم، وذلك أن يوسف لما توفي وانقرضت الأسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فأنقذهم الله بموسى عليه السلام، قال في الكشاف: وقد كان بين دخول يوسف بن يعقوب النبي مصر ودخول موسى على فرعون أربعة قرون. انتهى. وقد كثر فيها نسل بني

يعقوب وأصبحوا كثرة كاثرة طوال هذه القرون وسموا أنفسهم باليهود نسبة إلى أحد أولاد يعقوب وهو الابن الأكبر يهوذا.

قوله تعالى ﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

قوله (قال) أي: فرعون رد على موسى عليه السلام.

قوله (إن كنت جئت بآية فأت بها) الشرط على سبيل التحدي من فرعون لموسى إنصافا للكلام، والباء في (بآية) للمصاحبة، ولفظ الآية الدليل والبرهان، وتنكيرها لإفادة زعم النوعية بحكاية فرعون، والفاء واقعة في جواب (إن) الشرطية، والأمر بالإيتاء بمعنى تقديمها وإحضارها.

قوله (إن كنت من الصادقين) التعقيب بالشرط يراد به التشكيك من فرعون بصدق دعوى موسى عليه السلام.

قوله تعالى﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ ﴾

قوله (فألقى عصاه) الفاء للتعقيب الذكري، فهو شروع من موسى بالبدء بإظهار آياته التي وعد بها، والإلقاء طرح الشيء حيث تلقاه أي تراه ثم صار بالتعارف اسما لكل ما يطرح، والعصا أصله من الواو، يمسك بها المسافر ويحمل عليها زوادته فكني بها لكثرة استعمالها عن معان عديدة، فإلقاء العصا كناية عمن عاد من السفر، ويقال شق العصا كناية عن مفارقة

الجماعة، ويقال عصى عصيانا خرج عن الطاعة وأصله أن يتمنع بعصاه. ذكره الراغب. أه.

وإلقاء موسى عصاه من يده أريد به المعنى الحقيقي، وقيل إن عصاه من ميراث آدم ونوح، أعطاها شعيب لموسى، وقيل إنها من آس الجنة، ولا عجب فقد جعل الله بها خصوصيات كثيرة لخرق النواميس فهي أولى معجزاته حين انقلبت ثعبانا، وبها فلق الله البحر.

قوله (فإذا هي ثعبان مبين) الفاء تفيد التعقيب في ترتيب الأحداث، وتسمى (إذا) بالفجائية، وضمير الفصل راجع إلى العصا، والثعبان هو ذكر الحيات قيل في وصفه تفسيرات رهيبة في ضخامته وما أحدث منظره من خوف شديد في نفس فرعون والناس المتجمعة، وصفة المبين تعني الظاهر الواضح الذي لا شبهة فيه، تأكيد لهذا التحويل الحقيقي.

قوله تعالى ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيۡضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ١٠٨ ﴾

قوله (ونزع يده) الواو عاطف على ما سبق من قوله تعالى (فألقى)، كآية جديدة أظهرها موسى عليه السلام، والنزع يريد به إخراج يده من جيبه.

قوله (فإذا هي بيضاء للناظرين) الفاء للتعقيب الذكري، وضمير الفصل للتأكيد، بيضاء كناية عن النور، وقيل: إن يد موسى تشع نورا يغلب نور الشمس، وكان موسى آدما، فبان شعاع يده أكثر، ولفظ الناظرين يعني المبصرين بآلة الإبصار تأكيدا لصدق الآية.

قوله تعالى ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾

قوله (قال الملأ من قوم فرعون) ويبدو من هذا الرد الذي تحكيه الآية الكريمة ومما سيأتي من الآيات أن للملأ قولتهم وسطوتهم الداعمة لفرعون فهم كما تصورهم الآيات الشريفة في مختلف المجتمعات والعصور مادة الضلالة وسعير المفسدين، ولذلك كانوا مستهدفين ببعث موسى بدءا في قوله تعالى (إلى فرعون وملئه)، و(من) تفيد التبعيض، وقوم فرعون هم القبط سكان مصر.

قوله (إنّ هذا لساحر عليم) أوردوا كلامهم على سبيل الإخبار المؤكد بالجملة الإسمية وباللام الواقعة في خبرها إمعانا في إثبات معنى السحر لموسى ونزع صفة الغيب عنه لتكذيب ادعائه ـ في زعمهم ـ بالرسالة. وصفة العليم مبالغة في العلم بالسحر على زعمهم، والسحر خداع البصر وإيهام النفس بحقيقة فعل الساحر باعتماد خفة اليد وطرق الحيلة.

قوله تعالى ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾

قوله (يريد أن يخرجكم من أرضكم) الفصل لتعليل الإخبار، وفعل الإرادة شدة الرغبة، والخطاب في فعل الإخراج من الملأ لقومهم القبط أرادوا به تحريض فرعون على قتل موسى عليه السلام، والمعنى: أي يستولي موسى بقومه من بني إسرائيل بعد إرسالهم معه على بلادكم.

وفي هذا الكلام ربط بين إثبات السحر لموسى وبين غايته وهي التآمر لاحتلال مصر، وقد كان ذلك يكون في تلك العصور.

قوله (فماذا تأمرون) الفاء تفيد التعقيب، والسؤال من فرعون إلى ملئه بعد سماعه لمقالهم، لطلب الرأي في أمر موسى عليه السلام.

قوله تعالى ﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١ ﴾

قوله (قالوا أرجه وأخاه) أي: الملأ أشاروا على فرعون بإمهاله وألا يتعجل بهما ليرى رأيه فيهما، والإرجاء الإمهال، واو العطف لدخول لفظ الأخ في طلب الإرجاء، وهو كناية عن هارون.

قوله (وأرسل في المدائن حاشرين) الواو للعطف، والإرسال البعث وفي الكلام حذف بتقدير: وأرسل جنودا لجمع السحرة من كل مكان، وقد كان رأي ملئهم جمع السحرة المهرة من كل مدائن مصر. فجمع آلاف السحرة لموسى، ولفظ الحاشرين اسم فاعل أقيم مقام الاسم وهو الحشر، وهو الجمع من كل مكان ونصب اللفظ على الحال.

قوله تعالى ﴿ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ١١٢ ﴾

جزم فعل الإتيان لوقوعه جوابا للأمر في (أرسل)، وتعديته بالباء لتضمنه معنى الإحضار، ولفظ الكل للعموم، والساحر الموهم العين البصرية بخدعه بحركات اليد، ووصفه بالعليم مبالغة في احترافه السحر.

قوله تعالى ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٣ ﴾

قوله (وجاء السحرة فرعون) في الكلام حذف تقديره: فجمع الجنود السحرة من المدائن وجلبوهم إلى فرعون، ولفظ السحرة جمع لساحر، والسحر كما قال الراغب: نوع من الخداع والتخييل لا حقيقة له نحو ما يفعله المشعبذ بصرف الأبصار عما يفعله لخفة يد. انتهى.

قوله (قالوا إن لنا لأجرا) فصل الكلام بحذف فاء العطف علله الزمخشري بقوله: لأنه على تقدير سؤال سائل: ما قالوا إذ جاؤوه؟. انتهى.

والمعنى: أن السحرة سألوا عوضا ومقابلا من العطية لقاء عملهم، ولكنهم أوردوه على سبيل الإخبار المؤكد لتحقيق الأجر وإثباته، بمعنى لابد لنا من أجر. ونكروه فقالوا (لأجرا) تعظيما له وتكثيرا.

قوله (إن كنا نحن الغالبين) اشتراط من السحرة على أنفسهم بالغلبة إشعارا لفرعون بثقتهم في عملهم وقوة سحرهم.

قوله تعالى ﴿ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ١١٤ ﴾

قوله (قال نعم) إجابة فرعون بإيجاب طلبهم، دليل على تضمن إخبار السحرة معنى السؤال.

قوله (وإنكم لمن المقربين) الواو للعطف على الإجابة، لأن فرعون زاد عليها بجعلهم مقربين منه تعظيما لمكانتهم.

وساق كلامه بالإخبار المؤكد ـ بإن واللام الواقعة في خبرها ـ لمضي أمره مساق كلامهم لطمأنتهم وتشجيعهم.

وفي رد فرعون إبانة شديدة عن احتياجه للسحرة وعن عجزه وضعفه وتلهفه في هزيمة موسى ﵇، وفي قول السحرة بطلبهم الأجر من فرعون زيف ادعاء واضح في سحرهم التخييلي الموهم للأبصار، إذ لو كانوا صادقين لحولوا الصخر ذهبا، كما إن في التجاء فرعون إليهم ما يكشف زيف ادعائه بالألوهية وعجزه أمام موسى ﵇.

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ١١٥ ﴾

قوله (قالوا يا موسى) أي: السحرة نادوا موسى احتراما له وتأدبا على عادة أهل الكار الواحد.

قوله (إما أن تلقي) الكلام تخيير منهم لموسى في أن يكون أول الملقين أو ثانيهم، و(إما) مكونة من (إن) الشرطية و(ما) الكافة عن عمل (إن)، والإلقاء طرح الشيء من اليد على الأرض، وحذف متعلق الفعل لجهلهم عن ماهية ما سيلقي موسى ﵇، وإنما قالوا ذلك ثقة من عند أنفسهم بغلبتهم على سحر موسى ﵇.

قوله (وإما أن نكون نحن الملقين) خيار ثان أطالوا فيه فلم يقولوا: وإما أن نلقي، لرغبتهم في الإلقاء أولا، بدليل استعمال التأكيد بضمير الفصل تأكيدا لضمير الجمع المتصل في فعل الكون، وتعريف الخبر في لفظ الملقين، ولذلك فهم موسى عليه السلام تراغبهم في أن يكونوا أول الملقين فسوغ لهم ازدراء بشأنهم.

قوله تعالى ﴿ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾

قوله (ألقوا) إجابة موسى دالة على ثقته بربه، وتهديد السحرة وإظهار اللامبالاة بهم.

قوله (فلما ألقوا سحرة أعين الناس) الفاء للترتيب الكلامي، أي حين رمى السحرة عصيهم وحبالهم من أيديهم أوهموا عيون الناس بهذا التخييل الكاذب في قلب ما ألقوا من عصي وحبال إلى حيات تتحرك، وقد ذكر أنهم لوّنوا حبالهم الغليظة وخشبهم، وجعلوا فيها الزئبق، وفي وقت النهار يمكن أن يتفاعل الزئبق مع حرارة الشمس فيوهم الناس الذين لم يكونوا قريبين منهم بل في ساحة مكشوفة تضم الآلاف من السحرة.

قوله (واسترهبوهم) أي: أخافوهم، بمعنى انتزعوا رهبتهم واستخرجوا خوفهم الكامن في نفوسهم إلى العلن لينكشف ظاهرا غير مخبوء.

قوله (وجاءوا بسحر عظيم) الواو للعطف على فعل الرهبة، والكلام تأكيد لحرفية عمل السحرة وقوة خداعهم للناس، ووصف السحر بالعظم لشدة إيهامهم للبصر.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾

قوله (واوحينا إلى موسى) الواو لعطف قصة على أخرى، وفعل الوحي يكون إما بإرسال الأمر عن طريق ملك، أو الوحي بإلهامه بالأمر.

قوله (أن ألق عصاك) جملة (أن) تفسير للوحي، وهي الأمر بإلقاء العصا من يد موسى.

قوله (فإذا هي تلقف ما يأفكون) الفاء عاطفة للتعقيب، و(إذا) تفيد معنى الدهشة والمفاجأة، وفعل التلقف يعني التناول بابتلاع ما يحولون من عصي وحبال إلى أوهام تشبه الحيات، وفعل الإفك معناه التحويل.

قوله تعالى ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾

قوله (فوقع الحق) الفاء للتعقيب الذكري، وفعل الوقوع استعارة بالكناية عن حقيقة عمل موسى وكذب عمل السحرة، فقد شبه الحق بشيء معلق وأشار إلى شيء مما يخصه وهو الوقوع، بجامع التحقق والاستقرار، ووقوع الحق إشارة إلى ثباته وظهوره بنصرة موسى على السحرة.

قوله (وبطل ما كانوا يعملون) الواو لاتصال الكلام بما قبله، وإبطال عمل السحرة لأنه بلا واقع ولم تثبت له حقيقة، فهو فاسد ولا تأثير له عند فحصه، والإبهام في (ما) الموصولة لإفادة تكذيب مختلف أوهام السحرة.

قوله تعالى ﴿ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾

قوله (فغلبوا هنالك) الفاء للترتيب الكلامي، وإيراد الفعل بصيغة المفعول وإبهام فاعل الغلبة لحشر جميع المغلوبين من فرعون وملئه والسحرة، ولفظ الإشارة بالبعيد لإحضار صورتهم في الذهن.

قوله (وانقلبوا صاغرين) فعل الانقلاب كناية عن تحولهم من عزة الغالبين وادعاء الثقة إلى ذلة المنهزمين. والصَغار الضعة والذلة، وانتصب اللفظ على الحال.

قوله تعالى ﴿ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾

الواو للعطف، وبناء فعل الإلقاء بصيغة المجهول وإبهام الفاعل توحي بشدة الجذب النفسي للسحرة جذبا وجدوا فيه أنفسهم مطروحين في الأرض سجودا مذعنين مؤمنين بما جاء به موسى، فكانوا أول النهار كفارا سحرة، وفي آخره شهداء بررة، وتكرار فعل الإلقاء في الآيات خمس مرات لأنه محور قصة التحدي التي انتهت بنصر موسى وهزيمة فرعون وإيمان السحرة.

قوله تعالى ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٢١ ﴾

قوله (قالوا) أي: السحرة، أعلنوا عقيب ما رأوا من حقيقة فعل موسى وأن ما جاء به ليس من السحر الذي يعرفونه.

قوله (آمنا برب العالمين) أي: التصديق بواحدية الله وكونه المالك للعوالم كلها، وإيراد رب العالمين يحمل ردا على تجزيئ الربوبية التي يدعيها قوم فرعون في الوثنية، لذا جمعوها برب واحد.

قوله تعالى ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝١٢٢ ﴾

قيد السحرة رب العالمين برب موسى وهارون لدفع الوهم من أن يكون هذا الرب هو فرعون، لأنه كان ادعى من قبل أنه ربهم الأعلى الذي تجمع فيه الربوبية مخالفا أصول معتقدات الوثنية نفسها التي يؤمن بها المصريون القدامى.

قوله تعالى ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝١٢٣ ﴾

قوله (قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم) قول فرعون يدل على كبره وعنجهيته بتملكه لهم، وألا حق لهم في رأي إلا أن يكون بإذن منه، وإيراد الكلام على سبيل الإخبار لإفادة التوبيخ والتقريع لهم.

وقوله (إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة) استئناف تقريري إخباري لإفادة تعليله، أورد بأسلوب التأكيد المشدد للجملة الإسمية المبدوءة بحرف النسخ ولام الخبر. والمكر الحيلة التي ظاهر النفع وباطنها الخداع، وأراد به الإشارة إلى اتفاق السحرة مع موسى وتآمرهم على فرعون في مصر، وإنما قال ذلك بعد اليأس من الغلبة على موسى، شأن المهزومين المغلوبين دائما، تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الإيمان، وتدل إعادة لفظ المكر باشتقاق فعله منه على انفعال فرعون وتشدده على الإلحاح بالمؤامرة والمكر لإبعاد التصديق بأدلة صحة نبوة موسى عليه السلام.

قوله (لتخرجوا منها أهلها) اللام لتعليل اتهام السحرة بالتآمر مع موسى، وهو الانقلاب على حكم فرعون. والكلام رجوع إلى رأي ملئه السابق في أن دعوة موسى بالنبوة مكر للانقلاب على فرعون بإخراج القبط من مصر وإسكان بني إسرائيل محلهم.

قوله (فسوف تعلمون) الفاء تفريع على التعليل، و(سوف) حرف استقبال لما سيلقى السحرة من عقاب، أجمله بصيغة الإبهام بفعل العلم دون تعيينه بمتعلق لإفادة التهويل في الوعيد.

قوله تعالى ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾

قوله (لأقطعن) الكلام تبيين لقوله تعالى (فسوف تعلمون)، وأورد بصيغة القسم ونون التأكيد في فعل التقطيع لبيان شدة عزم فرعون على العقاب بعد هزيمته، والتضعيف في استعمال فعل القطع يدل على الكثرة في إعمال القطع في أجساد السحرة.

قوله (أيديكم وأرجلكم من خلاف) أي: تقطيع يد ورجل من جانب، ويد ورجل من جانب آخر إمعانا في تعذيبهم.

قوله (ثم لأصلبنكم أجمعين) تفيد (ثم) العطف الترتيبي، واللام المقترن بفعل الصلب للقسم والنون لتأكيد الفعل، وتضعيف الفعل للدلالة على شدة الوثاق في الصلب، والصلب هو أن يعلق الشخص على خشبة للرائين مجروحا حتى يموت، و(أجمعين) حال وتأكيد، والكلام يظهر شدة ما فيه فرعون من انفعال وعزم جراء انكشاف حقيقته وإهانته.

قوله تعالى﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝١٢٥ ﴾

قوله (قالوا) أي: السحرة الذين آمنوا توا، أجابوا فرعو بعد تهديده لهم.

قوله (إنا إلى ربنا منقلبون) إخبار مؤكد من السحرة بعدم مبالاتهم به ردا على تشديداته، وفيه محذوف بمعنى: منقلبون إلى جزاء الله، والانقلاب الرجوع كناية عن المآل بعد الحياة.

وتقديم الظرف للقصر، وإضافة لفظ الرب إلى نون أنفسهم دال على حسن معرفة بربهم التي اهتدوا إليها بطريق الدليل فيما رأوا من برهان موسى

ومعجزته، وكأنهم قالوا لفرعون: أي فعل يصدر منك يقربنا بالرحيل إلى الله بعد أن عرفناه حق معرفته، وهم إنما عرفوا ربهم وتكلموا بهذه الثقة لأنهم الأخبر بصناعتهم والأعلم بما يفعلون لذلك تأكد لهم أكثر من غيرهم بصحة آيات موسى في الإلقاء فكان إيمانهم عن معرفة صحيحة به سبحانه.

قوله تعالى ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ١٢٦ ﴾

قوله (وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا) أي: ما تعيب منا إلا إيماننا بآيات الله التي عرفناها، أو أرادوا: أن ذنبنا الوحيد هو إيماننا بالله وكفرنا بك، وهو من أسلوب المدح الذي يشبه الذم.

قوله (لما جاءتنا) أي: لما وصلتنا الآيات بطريق موسى وهداية ربنا إليها.

قوله (ربنا أفرغ علينا صبرا) الدعاء من السحرة بعد استيقانهم بإيقاع عقاب فرعون عليهم، وفيه حسن عرفان بالله، وفعل أمر الإفراغ استعارة لصب الماء، كأنه شبه الصبر بحوض ماء ثم حذفه وأشار إلى شيء مما يعنيه وهو الإفراغ ويعني الصب من أعلى حتى يفرغه، وحرف الجر في (علينا) للاستعلاء المجازي في طلب تمكن الإفراغ منهم، والصبر حبس النفس ومنعها عن جزع ما تلاقي من مكروه، وتنكيره للتعظيم.

قوله (وتوفنا مسلمين) الواو للعطف لدخول المعطوف ضمن الدعاء في خطاب الله، والتوفية أصلها إيصال حق الغير كاملا غير منقوص، ويراد به

قبض الروح، ونصب لفظ المسلمين على الحال، أي اقبض أرواحنا ونحن على حال الإسلام لك ثابتين عليه، وهذا يكشف عن معرفة حقة بما تبصر به هؤلاء السحرة.

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾

قوله (وقال الملأ من قوم فرعون) العطف لقصة على أخرى من أحوال النبي موسى عليه السلام مع فرعون وقومه، والمعنى: لما أسلم السحرة قال الملأ من القبط لفرعون محرضين على موسى عليه السلام.

قوله (أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض) الاستفهام لإنكار تخلية فرعون سبيل موسى فيدعو إلى مخالفته في الدعوة إلى عبادة الله رب العالمين، وقولهم تحريض وإغراء منهم لفرعون على قتل موسى، والفعل (تذر) بمعنى: تدع، وقوم موسى بنو إسرائيل، واللام المقترن بفعل الفساد للتعليل، و(في) للظرفية المجازية، وتعريف الأرض أرادوا بها مصر، والفساد الذي قال به ملأ فرعون قصدوا به دعوة موسى إلى التوحيد.

قوله (ويذرك وآلهتك) أي: تخلي سبيله ليترك عبادتك وعبادة آلهتك، وذكر أن فرعون كان يدعي الربوبية لأهل مصر، وهو يعبد آلهة أخرى،

كالأصنام أو البقر على اختلاف في الأقوال، وبين الفعلين (أتذر) و(يذرك) تفنن في الصياغة بأسلوب التكرار اللافت للأسماع.

قوله (سنقتّل أبناءهم ونستحيي نساءهم) إجابة فرعون للملأ فيها عدول عن ذكر موسى لعدم تمكنه منه ولعظم شأن موسى، ولو استطاع لفعل، فكأنه أجاب بأنه لا يهمنا قتلهم، وفضّل الرجوع إلى سابق عادته في قتل بني إسرائيل واستبقاء نسائهم استذلالا لهن، واستعمال فعل القتل بالتضعيف لإرادة معنى المبالغة في سفك دمائهم.

قوله (وإنا فوقهم قاهرون) إخبار على جهة التأكيد في كونه لا يعبأ بأمر موسى تسكينا لأنفس ملئه الداعين إلى قتل موسى، وظرف الفوقية مجاز من العلو والاستكبار، والقهر الإجبار ويراد به الغلبة.

قوله تعالى ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾

قوله (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) أمر موسى بني إسرائيل الذين آمنوا به بعد إيمان السحرة وكانوا بضعة مئات من الآلاف، بالاستعانة بالله للخلاص من أسر فرعون، وبالصبر مما يتوعد به من ألوان العذاب.

قوله (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده) يدخل إخباره هذا بمقام التعليل لأوامره بالاستعانة والصبر، والإخبار فيه معنى أن الأرض يختص

بها الله لمن يشاء من عباده الصالحين وليس بمقدور فرعون أن يملك الأرض فيمنح أو يمنع من يشاء.

وتعريف الأرض للجنس ويدخل فيه أرض مصر بلد فرعون فقد أورثها الله من بعد بني إسرائيل، وفعل الإرث مجاز لتعاقب الأمم بهلاك أمة واستخلاف أخرى بعدها كأنها ترثها، ومشيئة الله إرادته وأمره الذي فيه العدل المطلق، و(من) للتبعيض، وإضافة العباد إلى هاء الجلالة للعناية.

قوله (والعاقبة للمتقين) الواو للعطف، والعاقبة تعني المآل أو ما يعقب الشيء، وفيها إنذار وترغيب لقومه بأن العاقبة الحسنة في ميراث الأرض وتحصيل السعادات فيها تكون للذين يهتدون على صراطه الحق، وموسى منه.

قوله تعالى ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾

قوله (قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) قول بنو إسرائيل لموسى يدخل في باب الشكاية إليه، يقصون عليه استعباد فرعون لهم وتحميلهم ما لا يطاق وتقتيله لأبنائهم واستبقائه لنسائهم للخدمة والإذلال. وفعل الأذى كل ما يلحق الغير من ضرر في الفعل والقول، وقوله (من قبل أن تأتينا) أريد به المجاز بمعنى قبل تبليغ موسى قومه بالرسالة، وأما

الأذى بعد المجيء فيعني به إيعاد فرعون لهم بالقتل. والتغاير بين فعلي الإتيان والمجيء للتفنن في الكلام.

قوله (عسى ربكم أن يهلك عدوكم) قول موسى لقومه تسكين وتسلية لهم بالدعاء لهم بالنصر على عدوهم الذي كنى به عن فرعون، والكلام تقرير لقوله السابق (استعينوا بالله واصبروا).

قوله (ويستخلفكم في الأرض) أي: ويجعلكم خلفاء من بعد هلاك فرعون وقومه، والمقصود بالأرض مصر، لأن الألف واللام للعهد.

قوله (فينظر كيف تعملون) الفاء عاطفة للترتيب الكلامي، وفعل النظر مجاز عقلي يراد المراقبة من الله تعالى لهم. والسؤال كله يراد به التحذير في حال التمكين من الاستخلاف ووراثة الأرض، لأنها ليست مطلقة لهم بل مشروطة باستقامتهم وبقائهم على العهد، بل الاصطفاء هذا نوع من الابتلاء سيراقبون عليه ويحاسبون، ذكر السيد الطباطبائي: وهذا مما يُخطّئ به القرآن ما يعتقده اليهود من كرامتهم على الله كرامة لا تقبل عزلا، ولا تحتمل شرطا ولا قيدا، والتوراة تعد شعب إسرائيل شعب الله الذي لهم الأرض المقدسة كأنهم ملكوها من الله سبحانه ملكا لا يقبل نقلا ولا إقالة. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٣٠ ﴾

قوله (ولقد أخذنا آل فرعون) الواو لعطف حالة على أخرى من أحوال قوم فرعون. وأورد الكلام على التشديد والتأكيد بإنزال البلايا على فرعون وقومه، فابتدأ بالقسم المشعر بلامه والمتصل بحرف التحقيق (قد)، والأخذ كناية عن المسك بنزول الشدائد، والآل كما قال الراغب: يستعمل فيمن يختص بالإنسان اختصاصا ذاتيا أما بقرابة قريبة أو بموالاة، وقال عن الفرق بينه وبين الأهل: الآل مقلوب عن الأهل ويصغر على أهيل إلا أنه خص بالإضافة إلى أعلام الناطقين دون النكرات ودون الأزمنة والأمكنة، ويقال آل فلان ولا يقال آل رجل ولا آل زمان كذا أو موضع كذا ولا يقال آل الخياط بل يضاف إلى الأشرف الأفضل يقال آل الله، وآل السلطان، والأهل يضاف إلى الكل، يقال أهل الله وأهل الخياط كما يقال أهل زمن كذا وبلد كذا. انتهى.

قوله (بالسنين ونقص من الثمرات) الباء في لفظ السنين لتعدية فعل الأخذ، ولفظ السنين يستعمل لما هو مجدب مقحط، بينما لفظ العام يستعمل لما هو خير وبركات، وأراد بها الإشارة إلى الجدب وانقطاع المطر، الذي سبب هلاك الشجر وقلة الثمر، والواو للعطف لدخول المعطوف ضمن فعل الأخذ، والنقص الخسران في النصيب والحظ، وتنكيره لتكثيره، و(من) للابتداء، والثمرات جمع ثمرة وهي اسم لكل ما يتطعم من أعمال الشجر، وقد تقال لكل نفع يصدر عن شيء ثمرته. ذكره الراغب. انتهى.

قوله (لعلهم يذكرون) أي: لكي يتذكروا، والإخبار عن قوم فرعون، لأن ألوان العذاب لهم دلالة على رجاء اهتدائهم وهو رجاء الإخبار عن الراجي، لا المتكلم.

قوله تعالى ﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾

قوله (فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه) كان قوم فرعون من القبطيين إذا نزل بهم المطر وأينعت الأرض وأخصبت ادّعوا ذلك لهم على أساس رضا السماء عنهم، وإذا أقلعت السماء عن غيثها وأجدبت أرضهم نسبوا ذلك إلى موسى تشاؤما به وطيرة منه.

والفاء المقترن بـ (إذا) الشرطية للترتيب الكلامي، ومجيء الحسنة مجاز لنزول البركات على قوم فرعون، واللام في (لنا) بمعنى: لأجلنا، ولفظ الإشارة للتنويه بالحسنة، والحسنة كناية عن غيث السماء وخصوبة الأرض، واستعمال إذا مع الحسنة وتعريفها بأل لأنهم يعتقدون خصوصيتها بهم اغترارا منهم بالنعمة، فكأن وفور النعمة عندهم أصل ينسون به المحن على عادة طبع الإنسان.

قوله (وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه) الواو للعطف، و(إن) للشرط، وجزم فعل الإصابة لأنه فعل الشرط، والسيئة كناية عن الجدب

والقحط ونزول الشدائد واستعمال إن مع السيئة وتنكيرها لأنها نادرة في الاتفاق.

وأصل (يطيروا): يتطيروا، أدغم التاء بالطاء للتخفيف، وجزم الفعل لوقوعه في الجزاء، والتطير أصله من التشاؤم ببعض الطيور كالغراب، والباء في (بموسى) للتعدية، و(من) اسم موصول، أشير به إلى هارون.

وتشاؤم قوم فرعون بموسى يذكر بتشاؤم اليهود بالنبي ﷺ بالمدينة فقالوا: غلت أسعارنا وقلت أمطارنا منذ أتانا.

قوله (ألا إنما طائرهم عند الله) استعمال الأداة (ألا) في الابتداء لغرض التنبيه لما سيأتي بعده، وسمى العذاب بالطائر، أي: إن الشر الذي يتشاءمون منه سينالهم بعذاب من الله بسبب أعمالهم.

قوله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) الاستدراك لتأكيد جهل قوم فرعون لأنهم لا يعلمون أن أعمالهم محفوظة لهم عند الله وسيحاسبون عليها.

قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٣٢ ﴾

قوله (وقالوا مهما تأتنا به من آية) قول القبطيين من قوم فرعون تحد لموسى عليه السلام، وإصرار منهم على الكفر، والإتيان بأسلوب الشرط لبيان جوابه، و(مهما) اسم شرط بمعنى: أي شيء، وفعل الإيتاء مجاز في

إحضار موسى للمعجزة من ربه، والباء في (به) للتعدية، والهاء عائد إلى لفظ الشيء في معنى (مهما)، و(من) زائدة للتأكيد، والآية العلامة، وتنكيرها لإفادة العموم.

قوله (لتسحرنا بها) جملة تعليل لمعنى الآية، استخفافا منهم بالمعجزة لأنهم أنزلوها منزلة السحر، والهاء في (بها) راجع إلى لفظ الآية.

قوله (فما نحن لك بمؤمنين) الفاء واقعة في جواب (مهما)، وجملة الجزاء اسمية لتأكيد معنى إصرارهم على الإنكار وثبات أنفسهم عليه، وتقديم الظرف المتعلق على عامله للأهمية، والباء المقترن بلفظ المؤمنين زائدة للتأكيد، وتعديته باللام في (لك) لإفادة معنى التصديق.

قوله تعالى ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ١٣٣ ﴾

قوله (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم) الفاء للترتيب الذكري، والإرسال من الله بمعنى التسليط والتمكن، استعارة لما يمسك ثم يطلق، مبالغة في تصوير كثرة الماء الذي أحاط بقوم فرعون، وذكر أنه أغرق أراضيهم وبيوتهم من دون أن يدخل بيوت بني إسرائيل. والطوفان كل حادثة تحيط بالإنسان، وصار متعارفا في الماء المتناهي في الكثرة. ذكره الراغب. انتهى.

وكانت تلك البلايا لآل فرعون من أخذ الله لهم بالسنين نتيجة لاستكبارهم، ففي كل موسم وسنة كانوا يبتلون بلون منها مرة بعد مرة، بغرق أرضهم وبيوتهم، وبكثرة الجراد وإهلاك مزروعاتهم، وبالقمل وهو صغار الجراد أو الدبى، أو كبار القردان، وأخرى بالضفادع، وأخرى بالدم بدلا من الماء، وكان موسى يعلمهم بذلك وهم يهرعون إليه متوسلين ويشترط عليهم برفعه عنهم الإيمان به وإطلاق بني إسرائيل، وهم في كل مرة يعدون ثم ينكثون العهد، وكان ذلك العذاب يصيبهم خاصة من دون بني إسرائيل.

قوله (آيات مفصلات) أي: علامات واضحات لآل فرعون كي يزدجروا، فقد كان العذاب يأتيهم متقطعا غير مجتمع دفعة واحدة كي يراجعوا أنفسهم كنوع إمهال لهم.

قوله (فاستكبروا) الفاء للترتيب الكلامي، والاستكبار الاستعلاء، والسين والتاء في فعل الكبر مبالغة في خيلائهم وتماديهم.

قوله (وكانوا قوما مجرمين) الواو للعطف على (فاستكبروا)، والمجرم فاعل الإجرام، وهو الآثم المشتمل لأنواع المعاصي.

قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

قوله (ولما وقع عليهم الرجز) الواو لعطف جملة على أخرى، وفعل الوقوع استعارة للثبات من سقوط الشيء المعلق كون العذاب نزل بغضب من الله، وحرف الجر في (عليهم) للاستعلاء المجازي، وضمير جمع الغائبين عائد إلى آل فرعون.

ولفظ الرجز جامع لكل ألوان العذاب، وأصله الميل عن الحق، قال في التبيان: الرجز رعدة في رجل الناقة لداء يلحقها تعدل به عن حق سيرها، والرجز: ضرب من الشعر، أخذ من رجز الناقة، لأنه متحرك وساكن، ثم متحرك وساكن، في كل أجزائه، فهو كالرعدة في رجل الناقة، يتحرك بها ثم يسكن، ثم يستمر على ذلك. انتهى.

قوله (قالوا يا موسى ادع لنا ربك) أي: آل فرعون يهرعون إلى موسى لسؤال ربه رفع العذاب عنهم.

قوله (بما عهد عندك) أي بمعنى: بحق ما آتاك الله من النبوة، أقسموا على موسى متوسلين بالعهد المعهود له من الله أن يرفع عنهم العذاب.

قوله (لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك) قسم وشرط لتأكيد الكلام، وفعل الكشف أصله كشف الثوب عن الوجه ونحوه، فاستعمل على سبيل الاستعارة للإزالة والرفع، واللام المقترن بفعل الإيمان واقعة في جواب القسم، وتعدية الفعل باللام لإفادة معنى التصديق.

قوله (ولنرسلن معك بني إسرائيل) العطف لدخول الكلام في معنى جواب الشرط. والإرسال الإطلاق، وهو من مطالب النبي موسى.

والأيمان المشددة في فعلي الإيمان والإرسال بلام القسم ونون التوكيد لبيان ما فيه آل فرعون من ضيق وأذى شديد يحملهم على التشديد على أنفسهم بتلبية مطالب موسى بالإيمان به وإرسال بني إسرائيل معه.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾

قوله (فلما كشفنا عنهم الرجز) الفاء للتعقيب، والكشف الرفع والإزالة لعذاب الرجز عن قوم فرعون.

قوله (إلى أجل هم بالغوه) أي: إلى موعد مضروب لهم، وهذا يدل على أن موسى عليه السلام كان يعلمهم بموعد رفع العذاب عنهم وآل فرعون يعدون بالتلبية ثم ينكثون ما وعدوا في كل مرة. والأجل المدة، والبلوغ الوصول.

قوله (إذا هم ينكثون) تفيد (إذا) الفجاءة، وضمير الفصل راجع إلى قوم فرعون، والنكث نقض العهد، ودلالة لمضارع استمرار الفعل منهم.

قوله تعالى ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾

قوله (فانتقمنا منهم) الفاء لترتيب الكلام، والانتقام مجاز لإنزال العذاب، و(من) في (منهم) ابتدائية.

قوله (فأغرقناهم في اليم) الفاء للتعقيب، والإغراق القتل بالماء، و(في) للظرفية الزمانية، واليم البحر العظيم، والكلام تفسير للانتقام، قال الفراء في المعاني بأن الله: وعد موسى أن يغرق فرعون فسار موسى من مصر ليلا وبلغ ذلك فرعون فأتبعه ـ يقال في ألف ألف ومائة ألف سوى كتيبته التي هو فيها ومجنبتيه ـ فأدركهم هو وأصحابه مع طلوع الشمس فضرب موسى البحر بعصاه فانفرج له اثنا عشر طريقا فلما خرجوا تبعه فرعون وأصحابه في طريقه، فلما كان أولهم يهُم بالخروج وآخرهم في البحر أطبقه الله تبارك وتعالى عليهم فغرّقهم. انتهى.

قوله (بأنهم كذبوا بآياتنا) الباء المقترن بحرف النسخ بمعنى: لأنهم، تعليل لإغراق فرعون وقومه، بسبب تكذيبهم بالبراهين التي جاءهم بها موسى، وإسناد الآيات إلى الجلالة بضمير التكلم يراد به تعظيمها.

قوله (وكانوا عنها غافلين) العطف لإفادة العلة الثانية لإغراق آل فرعون، وهي غفلتهم أو عملهم عمل الغافل عن آيات الله باعتبار تجاهلهم لها وإعراضهم عنها.

قوله تعالى ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ

إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا
كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ١٣٧ ﴾

قوله (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) فعل الإرث استعارة بالكناية عن التمكين والتصرف بأن جعل بني إسرائيل خلفاء فرعون وقومه بعد إغراقهم وإهلاكهم فكأنهم ورثوا منه، وجملة الموصول تفسير للفظ القوم وتبيين لكمال قدرة الله في نصرة المؤمنين المستضعفين، وقد كان بنو إسرائيل في أثناء هذه المدة مطيعين لنبيهم مخلصين.

قوله (مشارق الأرض ومغاربها) استقصاء في ذكر ملك فرعون من أدناه إلى أقصاه، وتعريف الأرض للعهد.

قوله (التي باركنا فيها) جملة الموصول تقييد للفظ الأرض بأنها الأرض المقدسة التي هي نواحي فلسطين التي تضم بيت المقدس، فقد ذكرت بالبركة كما وصفت الكعبة المباركة بذلك، والبركة النماء وزيادة الخير.

قوله (وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل) الإتمام التوفية بالشيء بتمامه، وكلمة الله مجاز في وعد الله لموسى بالنصر وإهلاك فرعون، والخطاب في (ربك) للتشريف والعناية، ووصف الكلمة بالحسنى مبالغة في حسنها وطيب نتائجها إشارة إلى قوله تعالى (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) [القصص ٥].

و(على) حرف استعلاء مجازي لتمكن نعمة إتمام الكلمة من بني إسرائيل واستقرارها فيهم بإهلاك عدوهم واستخلافهم محلهم، متعلق بفعل التمام لتضمن الفعل معنى الإنعام، قال الطباطبائي: وتمام الكلمة يكون بخروجها من مرحلة القوة إلى مرحلة الفعلية. انتهى.

والكلام إشارة إلى وعد موسى لبني إسرائيل تعزية لهم في قوله تعالى (عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض).

قوله (بما صبروا) الباء بمعنى التعليل، و(ما) مصدرية، أي: بسبب صبرهم، على سبيل مبدأ العمل بالمجازاة على صبرهم.

قوله (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه) فعل التدمير إشارة إلى إهلاك فرعون وقومه، وجملة الموصول لبيان قدرة الله في إفناء الطغاة.

قوله (وما كانوا يعرشون) العطف لدخول الكلام المعطوف على فعل التدمير، والتعريش إشارة إلى قصورهم المرتفعة، التي كانوا يسقفونها بالأشجار والعنب والكرم.

قوله تعالى ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ ﴾

قوله (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر) الواو للعطف في ذكر أحوال موسى مع قومه بعد ذكر أحوال موسى مع فرعون وقومه.

وأصل المجاوزة الإخراج عن الحد، والتجاوز التعدية، وتعديته بالباء للمفعول الثاني في (ببني إسرائيل) لإفادة معنى تيسير العبور والمجاوزة.

والمراد الإخبار عن إنقاذ بني إسرائيل من الغرق بأن جعل لهم في البحر طرقا يابسة ليعبروا بها، بينما أغرق فرعون وقومه.

قوله (فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم) الفاء للترتيب الكلامي، وفعل الإتيان بمعنى: مروا، لذلك عداه بحرف الجر (على)، وتنكير لفظ القوم لعدم معرفة بني إسرائيل لهم، وكانوا من لخم قرب الرقة، وقيل من الكنعانيين وكانوا يعبدون البقر.

والعكف المواظبة على الشيء والاجتماع حوله باهتمام وعناية، قال الراغب: العكوف الإقبال على الشيء وملازمته على سبيل التعظيم. انتهى. ولتضمن الفعل معنى الإقبال تعدى بـ (على).

وتنكير لفظ الأصنام للتقليل من شأنها، فهو إخبار من الله تعالى عن جحود بني إسرائيل لنعم الله عليهم لأنهم طلبوا بعد الإنقاذ الوثنية، كانت تلك الأصنام تماثيل بقر، وكان ذلك أول شأن العجل.

قوله (قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) أي: طلب قوم موسى إلها يعبدونه يشبه تماثيل البقر التي رأوها، بعد كل تلك الآيات الباهرة التي

شهدوها والمعجزات القريبة كإنقاذهم من الغرق، وأوردوه بصيغة الجعل، جهلا منهم وغرابة في إمكان أن يكون المجعول إلها، وتصويرا لأنفسهم الميالة إلى الحس والمادة بعيدا عن الإيمان بالغيب.

والآية مما احتج بها الإمام علي (عليه السلام) في حجاجه اليهود، فقد ذكر في نهج البلاغة أنه: قال له بعض اليهود: ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه، فقال (عليه السلام) له: إنما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ما جفت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون). انتهى.

قوله (قال إنكم قوم تجهلون) الإخبار حكاية عن جواب موسى لهم، أورد بالجملة الإسمية لثبوت جهلهم بعظمة الله وعدم معرفتهم بصنيعه سبحانه لهم من نعم منزلة عليهم.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ ﴾

قوله (إن هؤلاء متبر ما هم فيه) الفصل لأنه تعليل لإخباره السابق في جهلهم بإخبار ثان أكد فيه بطلان عبادة هؤلاء القوم العاكفين على عبادة الأصنام الهالكة، ولفظ الإشارة بالقريب لتمييز القوم العاكفين واحتقار شأنهم، والتتبير التدمير والهلاك، وجملة الموصول لتأكيد إهلاك طريقتهم في عبادة الأصنام.

قوله (وباطل ما كانوا يصنعون) والإخبار عن بطلان عبادتهم لأنها عبادة لا أثر لها ولا قيمة، كبطلان البناء بالهدم.

قوله تعالى ﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾

قوله (قال أغير الله أبغيكم إلها) قول موسى لقومه على سبيل توبيخهم، والاستفهام في قول موسى على نحو استبعاد أن يطلب لهم إلها غير الله، وتقديم المفعول للاهتمام، والتصريح بلفظ الله لتعليل الإنكار لأن اسم الله وحده دليل كمال واستحقاق للألوهية.

قوله (وهو فضلكم على العالمين) الواو للحال بمعنى: تبغون إلها غير الله في حال أن الله فضلكم على العالمين، وفعل التفضيل ليس على نحو الإطلاق من غير تقييد بل يكون في حال طاعتهم، وهو تفضيل على عالمي زمانهم.

وأراد موسى بقوله هذا إفهامهم بأن أي إله يصنعه لهم ليس بإله، ولأنهم لا يعرفون معنى الألوهية والعبادة إلا بالحسّ لارتباط تنشئتهم بعالم المادة والوثنية قرّبه لأفهامهم بأن يعبدوه بصفة تفضيله لهم وإنعامه عليهم بالآيات الباهرات التي رأوها بأعينهم وشهدوها، وبهذا المعنى يصلح الإخبار تعليلا للإنكار لأن إنعام الله على بني إسرائيل أثر من آثار توحيده تعالى.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ﴾

قوله (وإذ أنجيناكم من آل فرعون) أي: واذكروا وقت إنجاء الله لكم من بطش فرعون وقومه، والخطاب لقوم موسى على سبيل التعجيب من سرعة تنكرهم لنعم الله، و(من) للابتداء.

قوله (يسومونكم سوء العذاب) السوم من سام السلعة إذا طلبها، والمعنى: يولونكم ويحملونكم مكرهين أنواع العذاب، والإتيان بفعل الحضور لتواصل قوم فرعون إذلال بني إسرائيل، وإضافة لفظ السوء إلى العذاب من باب إضافة الصفة إلى موصوفها للمبالغة.

قوله (يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم) جملة تفسير لإجمال فعل السوم بطريقة المقابلة، وفعل التقتيل مبالغة في تكثير سفك دماء بني إسرائيل، وذكر الأبناء لأن فرعون استهدف تقتيل الذكور منهم، وفعل الاستحياء مبالغة في استبقاء النساء أحياء للخدمة والإذلال.

قوله (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) الواو للعطف، ولفظ الإشارة بالبعيد لتهويل ما سبق ذكره من تقتيل للرجال واستحياء للنساء، والبلاء الاختبار، وتنكيره لتعظيمه وصفته بالعظم لشدته، وتأخرت الصفة لإظهار الاهتمام

بالظرف، و(من) ابتدائية، وإضافة الرب إلى كاف جمع بني إسرائيل لإظهار منن الله عليهم في إنجائهم من البلايا.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾

قوله (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) أي: وعد الله موسى بميقاته في جبل الطور بأربعين ليلة، وأخلف فيها اخاه هارون على قومه وأوصاه بالإصلاح فيهم ونهاه عن الاستماع للمفسدين من قومه، والمواعدة كالموعد يستعمل مصدرا واسما.

وذكر أنه بعد غرق فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمر بالصوم ثلاثين يوما وزيد عليها عشرا، وفيها أنزلت التوراة عليه وكلمه الله تعالى.

قوله (وأتممناها بعشر) أي: زاد الله الثلاثين ليلة عشرة أخرى.

قوله (فتم ميقات ربه أربعين ليلة) الفاء للتعقيب، والميقات الوقت والفرق بينهما فرق خصوص وعموم، فالميقات وقت فيه عمل كمواقيت الحج، أما الوقت فهو أعم لكل أجل وقدر، وإنما ذكر لفظ الأربعين تأكيدا لمجموع الثلاثين مع العشر، حتى لا يتوهم متوهم أن مجموعها مع الإتمام ثلاثين،

وفي سورة البقرة ذكر مجموع المواعدتين فقال (وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة) [البقرة ٥١].

وخصوصية ذكر الليل من دون الأيام ـ مع أن احتساب الأزمنة يتم بالأيام وليس بالليالي ـ لأن فيها يكون التأمل أشد والمناجاة أصدق لاجتماع الحواس بغرض عبادي واحد وعدم تشتتها بالانشغال وقت النهار.

قوله (وقال موسى لأخيه هارون) الواو للعطف بعد تعيين الميقات لتوصية موسى أخيه هارون في رعاية شؤون قومه.

قوله (اخلفني في قومي وأصلح) طلب موسى من أخيه هارون أن يقوم مقامه في قومه، وأن يصلح من حالهم لو أفسدوا، والخلافة النيابة، و(في) للظرفية المجازية، وإضافة القوم إلى ياء المتكلم للرعاية، وحذف متعلق فعل الإصلاح للإطلاق.

قوله (ولا تتبع سبيل المفسدين) نهي بعد أمرين، في ألاّ يتبع طريقة الفاسدين من قومه فقد يزين الفاسد كلامه بعنوان النصح والرأي، وتدل وصايا موسى لأخيه على علمه بأحوال المنحرفين من قومه ونزوعهم عن طريق الهداية الإلهية.

قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ

مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ
صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

قوله (ولما جاء موسى لميقاتنا) الواو لعطف قصة على أخرى، وميقات الله، أوان موعد لقاء موسى بربه، واللام المقترن بلفظ الميقات للغاية.

قوله (وكلمه ربه) الواو للعطف على فعل المجيء، والتكليم يكون بإظهار الكلام بإصدار الصوت لإدراكه بحاسة السمع، وتكليم الله إظهار الكلام بإيصال المعاني إلى موسى بكيفية لا تنافي الربوبية، والرب تعني المالك وإسناده بالضمير العائد على موسى عناية من الله بنبيه.

قوله (قال رب أرني أنظر إليك) طلب موسى من ربه الرؤية على نحو الفضول والاستزادة، بعد تشرفه بالتكليم طمعا في الاستزادة من فيض الله، فهو طلب التمكين من الله بدلالة فعل الإراءة، والرؤية فرع من النظر، ولا ريب في أن موسى لم يطلب الرؤية البصرية لاستحالة ذلك على الله تعالى، وإنما المقصود بها حصول العلم الضروري في القلب سمي بها مبالغة في الظهور، كما يقول الإنسان: رأيت نفسي، وأراني يريد رؤية علم ووجدان من دون احتجاب حاجب تختلف عن الرؤية الحسية، وهي رؤية تتطلب استعدادا وإمكانا لا يتاح لمن هو في عالم النشأة بسبب متطلبات البدن وعلائقه بسبل الحياة الدنيا التي قد تشغله عن مثل هذا اليقين الحضوري لله تعالى، ولذا مثل هذا العلم لن يكون إلا في حال الانتقال من عالم التكليف

إلى عالم النقاء حيث لا شغل للإنسان إلا بربه، ومن هنا طلب موسى نوع تمكين في الإراءة لا يمكن أن تتاح له وهو في الدنيا، وهذا العلم اليقيني الذي سمته الآيات رؤية وفرع نظر من ابتكارات الكتاب العزيز، قال السيد الطباطبائي: والقرآن الكريم أول كاشف عن هذه الحقيقة على هذا الوجه البديع ، فالكتب السماوية السابقة على ما بأيدينا ساكتة عن إثبات هذا النوع من العلم بالله وتخلو عنه الأبحاث المأثورة عن الفلاسفة الباحثين عن هذه المسائل فإن العلم الحضوري عندهم كان منحصرا في علم الشئ بنفسه حتى كشف عنه في الاسلام فللقرآن المنة في تنقيح المعارف الإلهية. انتهى.

وموسى عليه السلام طلب إلى ربه نوع تجل لهذه الإراءة، لا يمكن له لذلك إلا في عالم الآخرة، حيث يشعر بوجود ربه شعورا كليا لا يغيب عنه بحال من أحوال الإنسان.

ومن هذا العلم اليقيني قوله عليه السلام في نهج البلاغة وقد سأله ذعلب اليماني فقال: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: أفأعبد ما لا أرى؟ فقال: وكيف تراه؟ فقال: لا تراه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان. انتهى.

قوله (قال لن تراني) وجاء الرد من رب العزة بالنفي التأبيدي لإمكان الإراءة، لأن حصول هذا العلم يحتاج معه انقطاع المرء عن عالمه الدنيوي تماما كما في حالة الموت.

قوله (ولكن انظر إلى الجبل) الاستدراك على النفي لإفادة تأكيد الالتفات إلى رؤية جديدة من زاوية نظر جديدة لمعنى رؤية الله، والإحالة على الجبل باعتبار ضخامته وثباته، وتعريفه بلام العهد لأنه أمام موسى ينظر إليه وهو جبل سيناء.

قوله (فإن استقر مكانه فسوف تراني) الفاء للترتيب الكلامي، واستقرار الجبل بقاؤه مكانه، والاشتراط في حال التجلي يراد به التعجيز وبيان المحال.

قوله (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) الفاء للتعقيب، وفعل التجلي في أصله الظهور، ويكون تارة بالظهور، وبالدلالة تارة ثانية. والدك أشد الدق وتحوله إلى تراب مسوى بالأرض حتى ذكر إن الجبل ساخ في الأرض حتى فني أو أصبح ذرات ترابية، والكلام تصوير حقيقي باستحالة أن يكون المصنوع أهلا لمقام التجلي والظهور للصانع، وفي الكلام عدول من ضمير التكلم إلى الغيب لإفادة تعظيم الإخبار.

قوله (وخر موسى صعقا) الواو للعطف التعقيبي، وفعل الخرور هو الانكباب على الوجه، والصعق صيغة مبالغة لمعنى الغشية بجمود الحواس وبطلان إدراكها، ويبدو أن صعقة موسى ليس لدك الجبل وحده بل لهول ما رام أن يشاهد من مقام التجلي ولم يشاهده، ونصب اللفظ على الحال.

قوله (فلما أفاق قال سبحانك) الفاء تعقيب بعد تعقيب، والإفاقة تعني رجوع الوعي وإدراك الحواس، وهو دليل على أن موسى لم يمت بل غشيته غشية

مؤقتة أفقدته التصرف بحواسه، وصيغة سبحان بمعنى التنزيه وتقديرها: أسبحك سبحانا. وقول موسى تنزيه لله تعالى عن إمكان رؤية ما سأل عنه.

قوله (تبت إليك) الإخبار بالماضي للمبالغة في عقد التوبة، وهي الرجوع إلى الله تعالى، وأسند التوبة إلى نفسه إشارة إلى اعترافه بجهل سؤاله في النظر إليه، وهو جهل لم يخرج موسى عن عصمته، بل طلب زيادة في القرب.

قوله (وأنا أول المؤمنين) إخبار ثان بتأكيد إيمانه تثبيتا لمعناه في قلبه واستبعادا عن أن يكون سؤاله شكا في استحالة رؤيته سبحانه رؤية عيان، ولفظ الأول مجاز في سرعة المبادرة.

قوله تعالى ﴿ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ١٤٤ ﴾

قوله (قال يا موسى) نداء من رب العزة شرف به نبيه موسى عليه السلام.

قوله (إني اصطفيتك على الناس) إخبار مؤكد باختياره سبحانه من دون الناس نبيا، والطاء في الفعل تكثير لمعنى الاختيار والاصطفاء، وحرف الجر (على) مجاز استعلائي، وتعريف الناس للعموم في زمانه.

قوله (برسالاتي وبكلامي) تفصيل للاصطفاء عظّمه بجمع الرسالة التي أراد بها ما حمل من الأوامر والنواهي الإلهية من المعارف والحكم

والشرائع، وشرّفه بالتكليم ميزة انفرد به موسى عن سائر أنبياء الله، وهو نوع من الارتباط الخاص بينه وبين ربه في إيصال المعاني.

قوله (فخذ ما آتيتك) الفاء للتفريع على الاصطفاء، وأمر الأخذ يريد التمسك بقوة وحزم الإخلاص فيه، و(ما) اسم وصول، وفعل الإتيان معناه الإعطاء، والجملة إشارة إلى العلوم المنزلة عليه في صحائف التوراة.

قوله (وكن من الشاكرين) أمر بعد أمر لموسى، و(من) للتبيين، والشكر لاصطفاء الله لموسى وتمييزه بالقرب منه تعالى وتكليمه.

قوله تعالى ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾

قوله (وكتبنا له في الألواح) فعل الكتابة يراد بها التثبيت في بيان العلم، وإيراده هنا بفعل الكتابة على سبيل المجاز للتعظيم، واللام في (له) بمعنى: لأجل موسى، و(في) للظرفية المجازية، والألواح جمع لوح ويراد بها الصحائف المعدة للكتابة، لأنها تلوح بما فيه الخط.

قوله (من كل شيء موعظة) الحرف (من) متعلق بفعل الكتابة، ويفيد التبعيض إشارة لجمعها للعلوم المختلفة من كل طرف، والموعظة ما ينتفع به من قول ترغيبا أو ترهيبا، وتنكيرها للتعظيم.

قوله (وتفصيلا لكل شيء) الواو للعطف على لفظ الموعظة لذلك انتصب لفظ التفصيل، والتفصيل التبيين لعموم كل شيء.

قال الطباطبائي في معنى التفصيل والتبعيض: ويؤول المعنى إلى مثل قولنا: وكتبنا لموسى في الألواح وهي التوراة النازلة مختارات من كل شيء ونعني بذلك أنا كتبنا له موعظة وتفصيلا ما وتشريحا ما لكل شيء حسب ما يحتاج إليها قومه في الاعتقاد والعمل، ففي الكلام دلالة على أن التوراة لم تستكمل جميع ما تمس به حاجة البشر من المعارف والشرائع. انتهى.

ولهذا جعل الله القرآن مكملا لشريعة التوراة والإنجيل ومهيمنا عليهما قال تعالى: (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) [المائدة ٤٨].

قوله (فخذها بقوة) الفاء تفريع على الإخبار، وأمر الأخذ كناية عن قوة الحزم والجد في التمسك بالشريعة الإلهية المكتوبة في الصحف، والهاء في فعل الأخذ راجع إلى الألواح المكتوبة، والباء للتعدية، والقوة الشدة، والظرف موقعه الحال.

قوله (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) أي: وأمر بني إسرائيل، وجزم فعل الأخذ لوقوعه جوابا للأمر، وهو كناية عن الحزم والجد، ويراد به الأمر بالعمل، والباء في (بأحسنها) للتعدية، وضمير الهاء عائد إلى الشريعة في قوله (من كل شيء) وكنى به عن ملازمة الحسن في الأمور واتباعه

واختياره، والمعنى: أمر لقومه بالأخذ بتعاليم التوراة لاجتناب السيئات والأخذ بالحسنات.

قوله (سأريكم دار الفاسقين) الإخبار بالإراءة متضمن معنى التهديد في حال نفي العمل بما تقدم، ودار الفاسقين مستقرهم في جهنم، وقيل: دار فرعون وقومه، أو دار عاد وثمود، والآيات التالية تفسير لها.

قوله تعالى ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾

قوله (سأصرف عن آياتي) السين تحيل الإخبار إلى المستقبل، والصرف التحويل، ودلالته المجاوزة لذلك تعدى بـ (عن)، وآيات الله دلائله على توحيده سبحانه، وإضافتها إلى ياء الجلالة لتعظيمها، وتقدم الظرف للأهمية.

قوله (الذين يتكبرون في الأرض) اسم الموصول فاعل فعل الصرف، والمراد صرف قلوب المتكبرين عن الهداية والإيمان بحجج الله وبراهينه، فيبصروا الحق باطلا والباطل حقا مبالغة في تركهم لأنفسهم وأنانيتهم، فيصبح عندهم سبيل الغي سبيلا للرشد فيتبعوه، والمتكبر المستعلي.

قوله (بغير الحق) تقييد للمتكبرين، أريد بهم بيان المتكبرين المستعلين على عباد الله والمستذلين لهم، أما التكبر بالحق فهو نحو التكبر على المتكبر، أو التكبر على أعداء الله.

قوله (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) الواو من باب عطف التفسير لمعنى فعل الصرف عن آيات الله، فهو يقتضي حجب أفهامهم عن سبل الإيمان بأي برهان من براهين توحيد الله، وفعل الرؤية للنظر أو رؤية العلم، ولفظ الكل بمعنى عموم العلامات الدالة على التوحيد، وتنكير لفظ الآية للعموم، ونفي الإيمان بها بمعنى نفي التصديق.

قوله (وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا) عطف تفسير ثان، لغلق الأفهام على المستكبرين، وهو ضياع التمييز، فلا يؤثر بهم الرشد ولا تعمل فيهم دعوة العقل فيتبعوهما.

قوله (وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا) جملة مقابلة لبيان ضلال المصروف عنهم فهم آيات الله، فيدعون اتباع سبيل الهدى ويتبعون طرق الغي والضلالة، لأنهم يعتنون بمخالفة أهل الرشد دائما.

قوله (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا) اسم الإشارة لتمييز حال المتكبرين في ضياع مقاييس التمييز بين الرشد والغي وبين الحق والباطل، وأنه بسبب جحودهم آيات الله وتكذيبهم بها بإنكارها والإعراض عنها.

قوله (وكانوا عنها غافلين) العطف لأنه تعليل ثان، وهو تعمدهم للتعرض لأسباب الغفلة عن الآيات.

قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤٧ ﴾

قوله (والذين كذبوا بآياتنا) الواو للعطف على قوله تعالى (سأصرف عن آياتي). والمكذبون بآيات الله الكافرون بها المعرضون عنها.

قوله (ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم) العطف بمعنى: وكذبوا بلقاء الآخرة، أي المنكرون للمعاد والبعث والنشور بعد الموت، والحبوط السقوط، مجاز في فقدان الكافرين لأثر أعمالهم في الدينا يوم الآخرة، لأن عباداتهم لغير الله عناء بلا نفع.

قوله (هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) الاستفهام يراد به إنكار جزائهم بغير عملهم، وهو خبر ضمني مشتمل على معنى التهديد.

والآية معترضة بمناسبة ذكر صرف الله آياته عن المتكبرين للتعريض بمنكري براهين التوحيد والمعاد ويدخل فيه مشركو مكة.

قوله تعالى ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ١٤٨ ﴾

قوله (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا) الواو لرجوع الكلام إلى ذكر قصة موسى عطفا على قوله تعالى (وواعدنا موسى)، واتخاذ العجل بمعنى اختصاص بني إسرائيل بصنع إله لهم بهيأة عجل، وأسند فعل الاتخاذ للجميع رغم أن ذلك من فعل السامري ـ كما ذكر تفصيل ذلك في سورة طه ـ لأنهم رضوا بذلك وأعانوه على فعله، قال في المجمع: إن السامري كان عندهم مهيبا مطاعا فأرجف أن موسى عليه السلام قد مات لما لم يرجع على رأس الثلاثين فدعاهم إلى عبادة العجل فأطاعوه ولم يطيعوا هارون. انتهى.

ولم يصرح بلفظ الإله لأنه ذكر في طلبهم السابق من موسى في قوله تعالى (واجعل لنا إلها كما لهم آلهة)، وكان صنمهم بمثل صورة ما طلبوا من تمثال البقر.

والظرف (من بعده) بمعنى: من بعد ميقات موسى، و(من) ابتدائية، والحلي جمع حلية وهي المصوغات الذهبية ونحوها، وكان قوم موسى أخذوها من فرعون وأصحابه بعد غرقهم وإخراجهم من البحر، والعجل ولد البقرة، ونصبه لأنه مفعول فعل الاتخاذ تأخر للعناية بتقديم الظروف. وتنكيره للتحقير.

قوله (جسدا له خوار) لفظ الجسد وصف للعجل بأنه شكل بلا روح، للاحتراز من توهم الحياة فيه، والخوار صوت البقرة، وإنما كان له خوار لأن صائغه السامري جعله بإزاء الريح ليخرج منه الهواء ويصدر صوتا

من فمه يشبه صوت خوار البقر، وجملة (له خوار) محلها صفة ثانية للعجل.

قوله (ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) الاستفهام الإنكاري للتوبيخ، ويراد به الاحتجاج عليهم، وخص الكلام والهداية بالذكر، لأنهما من أوضح ما يراد من المربوب: الكلام بلسان الرسل ثم هداية الناس إلى ما ينفعهم من سعادة وصلاح، وكلا الأمرين لا وجود لهما فيما صنعوا.

قوله (اتخذوه وكانوا ظالمين) كأنه إجابة على من سأل: فلم اتخذوه إلها وأمره بذاك الوضوح؟ فقيل: (اتخذوه وكانوا ظالمين)، ووصفهم بالظلم إشارة إلى شركهم.

قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ١٤٩ ﴾

قوله (ولما سقط في أيديهم) الواو لعطف أحوال بني إسرائيل على بعض، والكلام كناية عن التحير والندم، قال الطبرسي في معناه: وقع البلاء في أيديهم أي: وجدوه وجدان من يده فيه يقال ذلك للنادم عند ما يجده مما كان خفي عليه، ويقال: سقط في يده، وأسقط في يده وبغير ألف أفصح، وقيل معناه صار الذي يضر به ملقى في يده. انتهى. وضمير جمع الغائبين عائد على قوم موسى عليه السلام.

قوله (ورأوا أنهم قد ضلوا) أي: وأيقن متخذو العجل من قوم موسى بضلال ما فعلوا، وفعل الرؤية مستعمل هنا لليقين.

قوله (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا) الكلام اعتراف من قوم موسى بشنيع ذنبهم، فسألوا ربهم الرحمة والمغفرة.

قوله (لنكونن من الخاسرين) اللام واقعة في جواب القسم، والنون لتأكيد معنى فعل الكون، و(من) للتبيين، ولفظ الخاسرين المضيعون لأجرهم استعارة من ضياع رأس المال.

قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾

قوله (ولما رجع موسى إلى قومه) الواو عاطفة، وفعل الرجوع بمعنى عودة موسى إلى قومه من ميقات ربه بعد الأربعين ليلة.

قوله (غضبان أسفا) حال نفسه مما رأى من قومه، تركهم مؤمنين ورجع إليهم كافرين، واختلاف اللفظين للتأكيد إذ معناهما متقارب.

قوله (قال بئسما خلفتموني من بعدي) تفصيل لغضبه وأسفه، بدأه بذمهم على ما صنعوا من بعده من اتخاذهم العجل.

قوله (أعجلتم أمر ربكم) الكلام تفسير لذمهم، والاستفهام للإنكار والتوبيخ، والعجلة طلب الشيء قبل أوانه، أي استعجلتم تبديل شريعة التوراة قبل أن تعلموها وتحافظوا عليها.

قوله (وألقى الألواح) أي: وأفلت موسى صحائف التوراة من يده وطرحها غضبا من فعلهم، قال الفراء: وذكر أنهما كانا لوحين وجاز أن يقال الألواح للاثنين كما قال (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) [التحريم ٤]، وهما قلبان. انتهى.

والألواح هي الصحف التي كتبت فيها الشريعة والمعارف الإلهية في التوراة، ألقاها موسى من يده مع أن الله أخبره بفتنة قومه، وروي في التبيان عن النبي ﷺ قوله: يرحم الله أخي موسى عليه السلام، ليس المخبر كالمعاين، لقد أخبره الله بفتنة قومه، وقد عرف أن ما أخبره ربه حق، وأنه على ذلك لمتمسك بما في يديه، فرجع إلى قومه ورآهم، فغضب وألقى الألواح. انتهى.

قوله (وأخذ برأس أخيه يجره إليه) أي: وأمسك موسى برأس أخيه هارون يسحبه إليه مستعظما فعل قومه ولائما، وفعل الجر بمعنى الجذب، وجملته موقعها الحال.

قوله (قال ابن أم) خاطب هارون أخاه موسى بما يرقق قلبه فذكر ما يجمع بينهما من رحم الأمومة مع أنهما شقيقان من أب وأم واحد، لتهدأ فورته ويسكن غضبه، وليس أدعى لتهييج عاطفة النفس من ذكر الرابط الفطري والنسبي بين الأخوين وهو الأم.

قوله (إن القوم استضعفوني) الابتداء بحرف النسخ لتأكيد كلامه، وتعريف القوم للعهد الحضوري، والاستضعاف مبالغة في الضعف.

قوله (وكادوا يقتلونني) أي: وقارب متخذو العجل أن يزهقوا روحي، وفي الكلام دلالة شدة محاولات هارون وعزمه على ثني قومه عن عبادة غير الله، وقول هارون تعليل لتبرئة نفسه، أورده بطريق الإخبار المؤكد.

قوله (فلا تشمت بي الأعداء) الفاء لتفريع النهي على الإخبار، وأراد به النصح لموسى من شماتة الأعداء من قومه الذين كان حذر منهم من قبل في قوله موصيا (ولا تتبع سبيل المفسدين)، والشماتة إظهار الفرح ببلية الخصم، والأعداء جمع عدو وهو من يرغب بإنزال المكروه والأذى بك.

قوله (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) العطف للنهي الثاني لموسى في أن يحتسب أخاه على الظالمين المشركين من قومه.

قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾

قوله (قال رب اغفر لي ولأخي) استجاب له موسى وهدأ روعه وسكنت نفسه من الغضب، فدعا ربه بالمغفرة وأشرك معه أخاه دلالة على قبوله العذر من أخيه واستدراكا لغضبه، والمغفرة ستر الذنوب ويراد بها المجاوزة والصفح.

قوله (وأدخلنا في رحمتك) الدعاء بأمر الدخول وإفادة الظرفية بحرف الجر (في) استعارة للتلبس والامتزاج برحمة الله.

قوله (وأنت أرحم الراحمين) جملة تذييل لما سبق، وإخبار يراد به استعطاف رحمة الله واستدرار عطفه تعالى.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ١٥٢ ﴾

قوله (إن الذين اتخذوا العجل) استئناف ابتدائي مؤكد لإفادة أهمية الإخبار وهو إيعاد متخذي العجل إلها.

قوله (سينالهم غضب من ربهم) السين المقترن بفعل النيل حرف استقبال لما سيحل ببقوم موسى من عقاب يوم القيامة، وفعل النيل بمعنى إصابة مرتكبي إثم الشرك دون غيرهم، ولفظ الغضب أصله كما قال الراغب: فوران دم لقلب لإرادة الانتقام. ويستعمل مع الجلالة على سبيل المجاز من عقابه تعالى، وتنكير اللفظ لتهويله، وحرف الجر (من) للابتداء، وإضافة الرب إلى ضمير جمعهم لإفادة مربوبيتهم وخيانتهم لمالكهم.

قوله (وذلة في الحياة الدنيا) ايعاد من الله بالعقاب الثاني وهو الإذلال في عالم الدنيا، وتنكير لفظ الذلة لتهويلها.

قوله (وكذلك نجزي المفترين) أي: بذلك المثال من الجزاء يكون جزاء الكاذبين على الله بادعاء شركة الأصنام معه تعالى، وفي الكلام تعريض باليهود زمن النبي ﷺ.

قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٥٣ ﴾

قوله (والذين عملوا السيئات) الواو لعطف جملة على أخرى، عن بيان أحوال قوم موسى، وهؤلاء صنف آخر من المسيئين أخف من صنف المكذبين المشركين المتخذين العجل، وعدهم الله بالتوبة في حال الإنابة والإيمان.

والسيئات صفة لموصوف محذوف تقديره: عملوا الأعمال السيئات، والسيئة شاملة لكل معصية، وتعريفها للعموم.

قوله (ثم تابوا وآمنوا) تفيد (ثم) العطف الترتيبي، أي: استدركوا حالهم بالتوبة والإيمان بعد اقتراف السيئات.

قوله (إن ربك من بعدها لغفور رحيم) إخبار متضمن معنى عفو الله وتجاوزه عن أصحاب السيئات، والخطاب للنبي ﷺ على سبيل الإدماج بين العناية بتلقيه ﷺ لأخبار الغيب، وحكاية الحال الماضية.

والجملة الإسمية المؤكدة بحرف النسخ ولام الخبر تقوم مقام الخبر لاسم الموصول.

قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾

قوله (ولما سكت عن موسى الغضب) أراد بالفعل (سكت) الاستعارة التشخيصية التي أنسنت الغضب فصورته بإنسان مهتاج مغتاظ ثم حذف المشبه به وأشير إليه من لوازمه وهو السكوت على سبيل الاستعارة المكنية، وتعدية فعل السكوت بـ (عن) لتضمنه معنى زال.

قوله (أخذ الألواح) جملة الأخذ جواب (لما)، والأخذ تناول الشيء باليد، أي: أمسك موسى الألواح وتناولها من الأرض، وتعريف الألواح للعهد.

قوله (وفي نسختها هدى ورحمة) أي: فيما نسخ فيها وكتب، وتنكير لفظ الهدى والرحمة لإرادة خصوصيتها.

قوله (للذين هم لربهم يرهبون) اللام للاستحقاق، وضمير الفصل للتأكيد، وتقديم الظرف للاهتمام، وفعل الرهبة خوف مع تحرز، ومضارعه للاستمرار، وجملة الموصول قيد للهدى والرحمة.

قوله تعالى ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥ ﴾

قوله (واختار موسى قومه سبعين رجلا) تنتظم الآية وما بعدها في ذكر أحوال قوم موسى، والواو في (واختار) لعطف أحوال قوم موسى على بعض، والذي يبدو من ظاهر سياق الإخبار أنه ميقات آخر غير الميقات الأول لموسى، طلب فيه قومه لقاء الله، فاختار سبعين رجلا منهم، لأنهم علقوا إيمانهم على رؤية الله جهرة، فأخذتهم الرجفة فهلكوا ثم أحياهم الله بشفاعة موسى ودعائه، والظاهر أنها بعد اتخاذ عبادة العجل، وفعل الاختيار تمييز الأفضل، ونصب لفظ القوم على نزع الخافض بحذف حرف الجر (من)، وقوله (سبعين رجلا) بدل من قوم بدل بعض من كل، ونصب لفظ الرجل على التمييز.

قوله (لميقاتنا) اللام للعلة، والميقات وقت اللقاء.

قوله (فلما أخذتهم الرجفة) الفاء للترتيب الكلامي، وفعل الأخذ مستعمل كثيرا في إنزال العذاب كأنهم يمسك بهم فلا يفلت منهم أحد، ولام الرجفة للعهد، وهي نوع عذاب فيه صيحة واضطراب وخسف ونار صاعقة شديدة.

قوله (قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي) جملة فعل القول جواب (لما)، أورد موسى دعاءه بصيغة الإخبار استعطافا لرأفة الله وتهييجا لرحمته على غضبه، والمعنى: لو شئت أمتّنا جميعا قبل هذا الموعد، كأنه يضمر في الخبر معنى أن موتهم الآن يفرق جمع قومه ويفشل رسالته فيهم ويتهم بقتلهم لأن هؤلاء السبعين رؤوس قبيله في قومه، وذكر نفس موسى بالهلاك بضمير النصب لإفادة التمييز بين الإهلاكين، إهلاك قومه لسفاهتهم، وإهلاك نفسه بسبب إهلاكهم.

قوله (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) الاستفهام يراد به إنكار أن يأخذ الله الآخرين بفعل السفهاء منهم، والسفيه خفيف العقل ناقصه، والباء في (بما) للسبب، و(ما) مصدرية بمعنى: بفعل، وتعريف السفهاء للعهد، وحرف الجر (من) للتبعيض، أي: من بعض قومنا.

وإنما قال ذلك موسى استعطافا واستدراجا لرحمة الله في العفو عنهم وإعادة الحياة إليهم.

قوله (إن هي إلا فتنتك) الفصل للاستئناف بتقرير معنى الابتلاء، والنفي والاستثناء لإفادة قصر الفتنة على فعل السفهاء، والفتنة الاغترار بإمضاء الفعل.

قوله (تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء) جملة حالية، وفعل الإضلال بمعنى إضاعة سبيل الصواب، وإسناد الفعل إلى الله على سبيل المجازاة والاستحقاق لا الابتداء، والباء في (بها) للسبب، وضمير الهاء راجع إلى لفظ الفتنة، ومشيئة الله اقتضت إقامة قانون العلية والأسباب والمسببات فأقامت مبدأ الثواب على الإحسان والعقاب على الإساءة.

قوله (أنت ولينا) إخبار يراد به إثبات معنى عبوديتهم لله على أساس حبهم وانقيادهم وتبعيتهم، وفي كله إضمار وتمهيد في الدعاء بأسلوب الاستعطاف، وإنما أفرد هنا بضمير الفصل المخاطب بينما الأخبار السابقة في الجمل لأنه في مقام الدعاء والمناجاة التي لا يصح معها الجمع، وهكذا في كل أدعية الأنبياء.

قوله (فاغفر لنا وارحمنا) الفاء لتفريع الأمر على الإخبار، وهو أمر يراد به الدعاء، متضمن معنى مغفرة الله لهم بإحيائهم، ولم يصرح موسى بطلبه فأورده بطريقة الغفران، تذللا واستحياء من الله لجرم ما اقترفه قومه من طلبهم الجريء على مقام الألوهية.

قوله (وأنت خير الغافرين) تذييل لتثبيت معنى المغفرة بأسلوب الإخبار بالجملة الإسمية.

وفي حكاية القرآن عن دعاء موسى أدب رفيع تميز به الدعاء النبوي عامة ودعاء موسى خاصة، فهو يظهر عمق معرفة بالله، فقد توخى لطلبه مختلف أشكال التضرع لله، ممهدا بأتمّ ما يكون من أساليب الإخبار والإنشاء، ومؤجّلا طلبه، مُضمّنا إياه في آخر ما قيل على استحياء وخفاء.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ﴾

قوله (واكتب لنا) الواو للعطف على سبقها، وفعل الكتابة مجاز للتوثيق وتأكيد القضاء والفصل، وتعدية الفعل باللام لإفادة معنى الإعطاء، وقد يتعدى الفعل بـ (على) فيفيد معنى الفرض.

قوله (في هذه الدنيا حسنة) حرف الجر (في) للظرفية المجازية، ولفظ الإشارة لتقليل شأن الدنيا، والحسنة يراد بها السعادة المتحققة بفعل التوفيق لطاعة الله، وتنكيرها لتعظيمها.

قوله (وفي الآخرة) العطف بمعنى: واكتب لنا في الآخرة حسنة، فلفظ الحسنة حذفت للإيجاز بدلالة ما قبلها، وحسنة الآخرة عفو الله ورضاه والفوز بالجنة.

قوله (إنا هدنا إليك) الفصل للتعليل، والإخبار بجملة (إن) لتحقيق معنى التوبة، والمعنى: إنا عدنا إليك بعد التوبة والإنابة.

قوله (قال عذابي أصيب به من أشاء) فاعل (قال) عائد إلى الجلالة استجابة لدعاء موسى، وإنما جاء الإسناد إلى ضمير التكلم في لفظ العذاب والرحمة بالإفراد وليس الجمع فلم يقل: عذابنا نصيب به، أو رحمتنا، لخصوصية العناية باستجابة الدعاء لنبيه، فكأنه يوحي بإقباله سبحانه عليه وحده دون غيره، قال الطباطبائي: فإن التكلم بلفظ المتكلم مع الغير لإظهار العظمة لمكان أن العظماء يتكلمون عنهم وعن أتباعهم فإذا أريد إظهار عناية خاصة بالمخاطب أو بالخطاب تكلم بلفظ المتكلم وحده. انتهى.

قوله (ورحمتي وسعت كل شيء) الواو للعطف، وسعة رحمة الله لكل شيء مؤذن باستجابة دعاء موسى بالإحياء لقومه السبعين، وفي الكلام خصوص وعموم، معنى العذاب خاص بالعاصين يصيبهم به في الآجلة، ومعنى الرحمة عام يشمل به الكافر والمؤمن في العاجلة، ومخصوص بالمؤمنين في الآخرة.

قوله (فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) الفاء لتفريع الوعد بالإثابة على فعل التقوى والإنفاق في سبيل الله.

والسين حرف استقبال وفعل الكتابة استعارة من الايجاب والاقتضاء لأنها أكثر قوة في الحكم والتوثيق، والهاء فيها ضمير عائد على لفظ الرحمة التي طلبها موسى، فأجابه رب العزة بالقبول، ولكن بتقييد للمتقين المنفقين

المؤمنين بحجج الله، بمعنى: أن الرحمة التي سأل لمن عادوا إلى الله وتابوا مقيدة بهذه الصفات لهم وللمؤمنين بالنبي محمد ﷺ كما سيأتي في الآية اللاحقة، ففي الكلام إدماج أريد به تمهيد الكلام عن الغرض وهو ذكر النبي الأمي وعالمية رسالته والمؤمنين به من اليهود والنصارى، لذلك سيتخصص الكلام من عموم قوله (بآياتنا يؤمنون) بالتفات بديعي يراد به إيجاد صلة بينهما، كما إن في الآية انتقالا في الكلام من خطاب التكلم (عذابي، فسأكتبها) إلى خطاب الجمع (بآياتنا) لهذه النكتة البلاغية.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

الآية والتي تليها انتقال بالكلام إلى ذكر النبي محمد ﷺ، وهذه الآية تفريع من قوله السابق (فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون)، وهو استخراج بيان من بيان أراد بها تثبيت مصداق للمؤمنين بآيات الله من قوم موسى، تقرر في كتابة الرحمة، فكان ذكر نبينا المثال

الأعلى الذي استخرج من واسع المعنى السابق، لبيان حقيقة الدعوة المحمدية ولزوم الإجابة لها، قال السيد في الميزان: ولذلك في القرآن الكريم نظائر من حيث التضييق والتوسعة في البيان كما قال تعالى حاكيا عن إبليس: (فبعزتك لأغوينهم أجمعين) [ص:٨٢]، ثم قال في موضع آخر حاكيا عنه: (لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا لأضلنهم ولأمنينهم ولآمُرنّهم فليبتكن آذان الانعام ولآمُرنّهم فليغيرن خلق الله) [النساء ١١٩]، فإن القول الثاني المحكي عن إبليس مستخرج من عموم قوله المحكي أولا: (لأغوينهم أجمعين). انتهى.

قوله (الذين يتبعون الرسول النبيّ الأميّ) الجملة بدل من (والذين هم بآياتنا يؤمنون)، وتفريع لإخبار الله بكتابة الرحمة لليهود المتبعين للنبي محمد ﷺ، ولفظ الاتباع كناية عن الإيمان برسالة النبي ﷺ، وتعريف الرسول للعهد الحضوري المعروف بصفاته في التوراة والإنجيل، والكلام عد خمس صفات له، والنبي أصله النبيء المخبر عن الغيب وفرق الرسالة عن النبوة فرق خصوص وعموم، فالرسول من له شريعة مأمور بتبليغها، بينما النبي ليس مطلوبا منه التبليغ بشريعة، لذا كل نبي رسول نبي وليس كل رسول نبيا.

وصفة الأمي نسبه إلى أم القرى مكة فهو أمي، وليس بمعنى أنه لا يقرأ ولا يكتب، وجمع لمحمد ﷺ ثلاث صفات معا زيادة في التعريف، ولم تذكر هذه الصفات الثلاثة مجموعة له ﷺ إلا في هذه الآية والتي تليها لغاية

خفية أراد بها القرآن التنبيه على أنها مذكورة بالخصوص في التوراة والإنجيل.

قوله (الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل) صفة تعريفية ثانية تؤكد أن صفاته الثلاثة (الرسالة والنبوة والأمية) مكتوبة في التوراة والإنجيل، وقوله: (يجدونه) أي: يجدون صفته ونبوته موثقة في الكتابين، وذُكِرتْ في التبيان وغيره أقوالٌ من التوراة والإنجيل تؤكد ذلك مثل: مكتوب في التوراة في السفر الخامس: (إني سأقيم لهم نبيا من إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فيه فيقول لهم كل ما أوصيه به) وفيها أيضا مكتوب: وأما ابن الأمة فقد باركت عليه جدا جدا، وسيلد اثني عشر عظيما وأؤخره لأمة عظيمة، وفيها أيضا: أتانا الله من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران، وفي الإنجيل بشارة بالفارقليط [معناها بالسريانية أحمد ومحمد] في مواضع منها: نعطيكم فارقليط آخر يكون معكم آخر الدهر كله، وفيه أيضا قول المسيح للحواريين: أنا أذهب وسيأتيكم الفارقليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه، إنه نذيركم بجميع الحق، ويخبركم بالأمور المزمعة، ويمدحني ويشهد لي، وفيه أيضا: إنه إذا جاء فند أهل العالم. انتهى.

وروي في الخصال وغيره قوله ﷺ: أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بن مريم. انتهى. وهو قوله تعالى (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد) [الصف ٦].

قوله (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) والظاهر أنها مما وصف به النبي ﷺ في التوراة والإنجيل، وهي من أظهر أمارات النبوة التي أوصلها في شريعته حد الجهاد في سبيل الله، نحو قوله المأثور: أفضل الجهاد كلمة حق أمام سلطان جائر، وقد كان من صفاته المعروفة ﷺ في ذلك جهاده في إقامة المعروف والنهي عن المنكر.

والأمر بالمعروف بمعنى الأمر بعمل المعروف، وكذا النهي عن المنكر بمعنى النهي عن عمل المنكر، وبين الجملتين تقابل بديعي.

قوله (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) بين جملتي التحليل والتحريم مقابلة بديعية، وأحل له بمعنى أباحه، وحرم عليه بمعنى منعه، والطيبات عموم الطعام الحلال، والخبائث عموم ما حرم الله من ميتة وخنزير ونحوها وسميت خبائث لأن النفس تعافه وتكرهه.

وقد نسخت الشريعة المحمدية ما وضعه الرهبان والأحبار من تحريم لما أحله الله وما أحلوا مما حرمه الله بشكل ينافي الواقع وتطور الحياة، ولا ريب في أن الرسالة المحمدية من أكثر الشرائع مساسا بالواقع واحتواء لمتطلبات الإنسان كونها جاءت خاتمة للشرائع السابقة ومكملة لها.

قوله (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) الواو للعطف، لأن المعطوف من صفات النبي الأمي، وفعل الوضع وتعديته بحرف التجاوز يفيد معنى الإزالة والكشف، وضمائر جمع الغائبين في الآية عائدة إلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

والإصر عقد الشيء وحبسه بقهره، والأغلال جمع غل وهي القيود، وقيل المراد بالإصر الثقل، قال في المجمع: شبه ما كان على بني إسرائيل من التكليف الشديد بالثقل، وذلك أن الله سبحانه جعل توبتهم أن يقتل بعضهم بعضا، وجعل توبة هذه الأمة الندم بالقلب، حرمة للنبي ﷺ. انتهى.

وكلا اللفظين من الاستعارات شبهت بها العهود التي كانت في ذمتهم كتحريم السبت وتحريم العروق والشحوم وقتل النفس للتوبة، والمراد أي: يضع النبي ﷺ عنهم ما يثبطهم عن فعل الخيرات والوصول إلى الثوابات، فقد كان رهبانهم وأحبارهم تكلفوا مشاقا من ابتداعاتهم.

قوله (فالذين آمنوا به) الفاء لتفريع الإخبار على التوصيفات السابقة، والهاء في (به) راجع إلى النبي ﷺ.

قوله (وعزروه ونصروه) التعزير أصله الرد والمنع ويراد به التعظيم، ولفظ النصرة التأييد بالقول والفعل.

قوله (واتبعوا النور الذي أنزل معه) أي: وأطاعوا القرآن الذي أيده الله به، ولفظ النور استعارة للكتاب العزيز بجامع اهتداء الطريق، والظرف معه أي: مع النبي، وإشراك فعل الإنزال مع النبي مجاز في تبليغه بالنبوة.

ويمكن أن يكون قوله (أنزل معه) وليس: أنزل عليه أو أنزل إليه، للدلالة على شدة اللزوم والمصاحبة، وللإشارة إلى أنه شاهد مزيد على الصفات المذكورة للنبي فيما سبق، والظرف في كلا الحالين حال من نائب الفاعل في فعل الإنزال.

قوله (أولئك هم المفلحون) لفظ الإشارة للتنويه بالمخبر عنهم، وضمير الفصل للقصر، ولام التعريف في لفظ المفلحين قصر ثان، والجملة الإسمية محلها الخبر للابتداء في قوله (فالذين آمنوا به)، والفلاح الظفر.

قوله تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾

قوله (قل) خطاب مولوي لمحمد ﷺ، وهو التفات من ضمير التكلم إلى خطاب الحاضر.

قوله (يا أيها الناس) خطاب لعموم الناس ولكل الأديان، والنداء بهذا التركيب لإرادة الإخبار المؤكد بعموم الرسالة المحمدية وشموليتها، كونها ناسخة لجميع الرسالات المتقدمة ومكملة لجميع الشرائع.

قوله (إني رسول الله) إخبار مؤكد بالجملة الإسمية لإثبات معنى عالمية الرسالة، والرسول الحامل للرسالة، وإضافته إلى اسم الجلالة لتعظيمه.

قوله (إليكم جميعا) حرف الغاية وكاف خطاب عموم الناس لإبانة غاية التبليغ وهي إنها شاملة عامة كونها رحمة للعالمين، ولفظ الجميع للتأكيد ونصبه على الحال.

قوله (الذي له ملك السماوات والأرض) جملة الموصول محلها الصفة للفظ الجلالة، وصلتها لبيان كمال قدرته تعالى بذكر استقصاء مملكته الواسعة من السموات والأرض.

قوله (لا إله إلا هو) تأكيد وحدانية الله تعليل لملكه تعالى، لأن الإله الواحد يخلق ذلك ولا ينازعه فيه أحد.

قوله (يحيي ويميت) جملة الموصول وجملة القصر وصف للفظ الجلالة، تقعان في معنى تقوية الإخبار بعالمية الرسالة المحمدية، فهي منبثقة من مالك الملك المحيي المميت، قال في الميزان: وهي بمجموعها [يعني الآية] بمنزلة تعليل يبين بها إمكان الرسالة من الله في نفسها أولا وإمكان عمومها لجميع الناس ثانيا فيرتفع به استيحاش بني إسرائيل أن يرسل إليهم من غير شعبهم وخاصة من الأميين وهم شعب الله ومن مزاعمهم أنه ليس عليهم في الأميين سبيل، وهم خاصة الله وأبناؤه وأحباؤه، وبه يزول استبعاد غير العرب من جهة العصبية القومية أن يرسل إليهم رسول عربي. انتهى.

قوله (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي) الفاء لتفريع الأمر بالإيمان بالله ورسوله على الإخبار بعموم الرسالة، ويراد به التعليل للأمر، وعطف الإيمان بالرسالة على الإيمان بالله لغاية التعظيم لها والتشريف، والتقييد بتكرار النبي الأمي لتبيانه وتمييزه لأنها من أكثر النعوت ورودا في كتب اليهود والنصارى، فكأنه أريد بيان ما أضمر من معنى: أني ذلك الرسول الذي بشر به في كتبكم.

قوله (الذي يؤمن بالله وكلماته) جملة الموصول محلها الصفة للنبي، والكلام تأكيد من النبي بإيمانه، فهو لم يأمر بالإيمان حتى آمن بالله هو أولا، وبالكتب السماوية السابقة التي كنى عنها بلفظ الكلمات.

قوله (واتبعوه) عطف على الأمر، مشعر بأن الإيمان لا يكفي من دون اتباع الرسول والالتزام بجوهر رسالته.

قوله (لعلكم تهتدون) لعل: تفيد رجاء الهداية لهم، أو تفيد معنى التعليل بمعنى لكي تهتدوا إلى الجنة التي هي نتيجة الإيمان وهي تحاذي قوله تعالى في نتيجة الاتباع في الآية السابقة (أولئك هم المفلحون).

قوله تعالى ﴿ وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ١٥٩ ﴾

اتساقا مع نظم الآيات السابقة يتضح أن الخطاب في الآية للنبي ﷺ وليس لموسى عليه السلام.

قوله (ومن قوم موسى أمة) الإخبار دليل على أن الخطاب في الآية السابقة للنبي ﷺ وليس لموسى عليه السلام، ويفيد حرف الجر (من) التبعيض، والأمة الطائفة من الناس.

قوله (يهدون بالحق) وصف لهذا التبعيض من اليهود، وإنصاف من الله تعالى بفرزهم وحفظ حقهم بتمييزهم عن أهل الباطل وهم الأكثرية من قوم موسى.

قوله (به يعدلون) أي به يميلون عن طريق الباطل إلى سبيل الحق، ويمكن أن يراد بهم الأنبياء والأئمة من بعد موسى وأشير إليهم في قوله تعالى (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) [السجدة ٢٤].

قوله تعالى ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾

قوله (وقطّعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما) الواو للعطف لرجوع الكلام إلى بني إسرائيل بعد عذاب الرجفة، وفيه تعداد لنعم الله عليهم، وفعل التقطيع مجاز لتفريق بني إسرائيل المشار إليهم بضمير جمع الغائبين في الفعل، وجيء بصيغة العدد على التأنيث لأن السبط مأخوذ فيه معنى الأمة.

ولفظ السبط معناه ولد الولد وولد البنت، والأسباط في بني إسحاق بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل، ونصبها على الحال، والأمم الطوائف والقبائل، ونصبها على البدل من الأسباط.

والمعنى: أن الله تعالى فرق بني إسرائيل إلى اثنتي عشرة جماعة، وذلك لاختلافهم فيما بينهم، بعدد أسباط يعقوب من أحفاده فقد كانوا يحتفظون بأنسابهم إليه، وقيل جعلوا أمما ليتميزوا في مشربهم ومطعمهم حتى لا يقع تباغض بينهم، وليرجع كل أمة منهم إلى رئيسه تخفيفا على موسى، فهو تفريق لأجل التنظيم لا لأجل العقاب.

قوله (وأوحينا إلى موسى) فعل الوحي مجاز في إلهام موسى أو بأمره بالوحي من الله، والكلام حين أمرهم الله بالتوجه إلى دخول الأرض المقدسة عابرين صحراء سيناء.

قوله (إذ استسقاه قومه) أي: حين طلب إليه قومه أن يسأل الله السقيا لهم، أي طلب شرب الماء بعد أن مسهم ظمأ شديد في الصحراء.

قوله (أن اضرب بعصاك الحجر) تفيد (أن) التفسير لجملة الإيحاء، والضرب الحجر بالعصا الطرق عليها، وتقدم الظرف للأهمية، وتعريف الحجر للعهد.

قوله (فانبجست منه اثنتا عشرة عينا) الفاء للتعقيب، لأن خروج الماء تلا الضرب على الحجر، والمعنى: أن الصخرة تفجرت بعد الضرب بالعصا عيونا من الماء عدها اثنتي عشرة عينا بعدد الأسباط.

ولفظ الانبجاس للقلة من الماء والانفجار للكثرة منه، وإنما وصف هنا بالقلة من دون الكثرة في الانفجار في سورة البقرة (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) [البقرة ٦٠]، لأنه أراد الإشارة إلى مبدأ خروج الماء من الصخرة يكون قليلا ثم يتسع إلى الكثرة. والعين مجاز من خروج الماء، ونصبها على التمييز.

قوله (قد علم كل أناس مشربهم) الفصل لتعليل انبجاس الصخرة اثنتي عشرة عينا، لكي يتيسر لهم شرب الماء من العيون المعدودة، لأنهم كانوا كثيرين، والكلام تذكير بمنن الله على بني إسرائيل.

قوله (وظللنا عليهم الغمام) الواو للعطف على قوله تعالى (وأوحينا) لأنه في بيان تعداد النعم على قوم موسى، والتظليل حجب حرارة الشمس بالأعيان، وقد قيض الله تعالى لهم الغيوم تظلهم من الشمس في صحراء التيه، وحرف الاستعلاء في (عليهم) مجاز من تمكن الظل منهم، وتعريف الغمام للجنس.

قوله (وأنزلنا عليهم المن والسلوى) الواو لعطف ذكر النعم، وفعل الإنزال مجاز في إطعامهم المن والسلوى، وقيل: إنهما من أكل الجنة، وتعريفهما للخصوصية.

قوله (كلوا من طيبات ما رزقناكم) الأمر بالأكل أمر بإباحته لهم، و(من) للابتداء، وجملة الموصول لتفسير الطيبات وتعظيمه بأنه من رزق الله الحلال.

قوله (وما ظلمونا) أي: وما أنقصوا منا شيئا بعصيانهم، والكلام لإتمام منة الله عليهم وتجاوزه سبحانه لعصيانهم، والظلم أصله النقص.

قوله (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) الاستدراك على النفي بتأكيده على أنفسهم، والمعنى أنهم: ما أنقصونا شيئا ولكن أنقصوا أنفسهم، وتقديم المعمول (أنفسهم) للأهمية ورعاية الوقوف على ساكن الفاصلة.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٦١ ﴾

قوله (وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية) الواو لعطف حالة على أخرى من أحوال بني إسرائيل، وتفيد (إذ) الظرفية بمعنى وقت قيل لهم، وإضمار فاعل (قيل) على تقدير الأمر من موسى بوحي من الله تعالى.

والقرية المشار إليها بلفظ القريب كناية عن الأرض المقدسة في نواحي فلسطين التي أمروا بدخولها وقتال أهلها من العمالقة الذين كانوا يعبدون غير الله لإخراجهم منها فلم يطيعوا موسى فعوقبوا بالتيه في الصحراء كما مر في سورة المائدة.

قوله (وكلوا منها حيث شئتم) الأمر بالأكل إباحة لهم من أي مكان رغبوا فيها.

قوله (وقولوا حطة) وأمرهم بالسجود على باب بيت المقدس في الأرض المقدسة قائلين: حط عنا خطايانا، أي: طلب المغفرة من الله.

قوله (وادخلوا الباب سجدا) تأكيد لدعاء الحط، وتعريف الباب للعهد، واللفظ مجاز لباب البلدة ومدخلها، وقيل هي قصد بها جهة أريحا.

قوله (نغفر لكم خطيئاتكم) جزم فعل الغفران لأنه جواب الأمر (وادخلوا)، وغفران الله لخطيئاتهم بمعنى تجاوزه تعالى عنهم، لأن المغفرة أصلها الستر.

وقوله (سنزيد المحسنين) الفصل للكلام كأنه بسبب تقدير وقوعه جوابا لسؤال لمن قال: ثم ماذا؟ بعد قوله: نغفر لكم خطاياكم. فأجيب: سنزيد المحسنين، وزيادة المحسنين مجاز في مجازاتهم على فعل الإحسان بدخول الجنة والفوز برضوانه، والإحسان عمل الزيادة على أداء الواجب.

قوله تعالى ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾

قوله (فبدل الذين ظلموا منهم) الفاء للترتيب الكلامي، والتبديل التغيير، وضمير الجمع في اسم الموصول عائد إلى بعض بني إسرائيل ووصفهم بالظلم لعصيانهم، لأنهم بدلا من طاعة الأوامر قلبوا ليا بألسنتهم لفظ (حطة) إلى لفظة (حنطة) استهزاء واستخفافا، وحرف الجر (من) في (منهم) للتبعيض.

قوله (قولا غير الذي قيل لهم) تنكير لفظ القول لإنكاره منهم وأريد به قولهم استهزاء (حنطة)، وأما القول الذي قيل لهم أي: أمرهم الله به فهو قوله الله تعالى (وقولوا حطة).

قوله (فأرسلنا عليهم رجزا من السماء) الفاء للترتيب الكلامي، وفعل الإرسال استعارة من البعث الكثير، والرجز إشارة إلى إنزال العذاب عليهم، وتنكيره لتبشيعه، و(من) للابتداء، ولفظ السماء باعتبار نزوله من علو.

قوله (بما كانوا يظلمون) الباء بمعني السببية، ويراد بها جزاء بما أشركوا ونكثوا.

قوله تعالى ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾

قوله (واسألهم عن القرية) الواو لعطف قصة على أخرى، والخطاب في الأمر للنبي ﷺ، والسؤال يراد به توبيخ اليهود زمن النبي ﷺ على سبيل الإدماج لأن أخلافهم على نفس خط أسلافهم.

قوله (التي كانت حاضرة البحر) جملة الموصول صفة للقرية، لتحديد موقعها، أي: قريبة من البحر مشرفة عليه، ولفظ الحضور استعارة عن القرب تشبيها لها بمن يحضر ويشهد.

قوله (إذ يعدون في السبت) يعدو من العدوان، أي: يتجاوزون حدود ما أمر الله به في تعظيم حرمة الصيد في يوم سبتهم.

قوله (إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا) جملة تعليل لعدوانهم، ويراد بالحيتان الأسماك، و(يوم سبتهم) أي: يوم سكونهم في بيوتهم، والشرع جمع شرع، ومعناه الظهور، ونصبه على الحال، وكان من ابتلاء الله لهم لفسقهم أن الأسماك تملأ البحر في السبت.

قوله (ويوم لا يسبتون لا تأتيهم) أي: وفي اليوم الذي يخرجون إلى العمل لا يجدون الحيتان، وقد كان ذلك من ابتلاء الله لهم، فكانوا يحتالون لصيدها، كأن يلقوا الشبكة في الماء يوم السبت، ليقع فيها السمك، ثم كانوا لا يخرجون الشبكة من الماء إلى يوم الأحد، وهذا تسبب محظور، أو يتخذون الحياض، فيسوقون الحيتان إليها، فلا يمكنها الخروج منها، فيأخذونها يوم الأحد.

قوله (كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) أي: بمثل ذلك البلاء نختبرهم جزاء بفسقهم وعصيانهم.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾

قوله (وإذ قالت أمة منهم) الواو للعطف، و(إذ) للظرفية الزمانية، والأمة الجماعة، وحرف الجر (من) في (منهم) للتبعيض، وضمير جمع الغائبين راجع إلى أصحاب السبت، وفي الكلام حذف تقديره: وإذ قالت أمة منهم لائمة لأمة أخرى واعظة، فالآية تصور تخبر عن ثلاث جماعات واعظة ولائمة وعاصية.

قوله (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا) الاستفهام مجاز للتيئيس، أي: لا جدوى من وعظ قوم قضى الله بإهلاكهم أو تعذيبهم، والوعظ محض النصح بالقول، وتنكير لفظ القوم لإفادة وصفه بما بعده، فتكون الصفة علة للإنكار، واستعمال اسم فاعل الإهلاك للإشارة إلى انقضاء الأمر.

ونصب لفظ العذاب مفعول مطلق يراد به النوعية، وصفته بالشدة لتهويله، وظاهر السياق: أن المتكلمين من هذه الجماعة أهل تقوى تركوا العمل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قوله (قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون) القول للجماعة الواعظة المتقية للجماعة اللائمة، أجابوهم معللين وعظهم بعذرين: الأول: الإعذار إلى الله في أداء واجب التبليغ والنصح، ولفظ المعذرة مصدر ميمي بمعنى العذر،

ونصبه لأنه مفعول لأجله، وحرف الجر لانتهاء الغاية، وإضافة لفظ الرب إلى ضمير جمع المخاطبين اللائمين للإشعار بأن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشملهم أيضا لأنهم مربوبون مثل طائفة الوعظ، يحتم عليهم العمل به لا اللوم والتيئيس.

قوله (ولعلهم يتقون) وهو العذر الثاني أي: ورجاء رشدهم بالعمل بتقوى الله والإقلاع عن الصيد في السبت.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾

قوله (فلما نسوا ما ذكروا به) الفاء للترتيب الكلامي، وفعل النسيان كناية عن الترك لأنه ملزومه، والكلام إشارة إلى إعراض الفئة العاصية عن النصح وترك أثر تأثيرها في النفس استخفافا منهم، وبين جملتي فعل النسيان والتذكير تقابل بديعي لافت.

قوله (أنجينا الذين ينهون عن السوء) أي: أنجى الله تعالى الجماعة الواعظة من العذاب، فخص بذكر التنجية فئة الواعظين الناهين عن المنكر، وسكت عن مصير الفئة اللائمة، فلم تذكر.

قوله (وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس) فعل الأخذ كناية عن القوة بحزم في إهلاكهم، ولفظ البئيس مبالغة في شدة البؤس، وجملة الموصول بذكر

الظلم تعليل للأخذ، والباء في (بعذاب) لتعدية فعل الأخذ، ووصفه بالبئيس مبالغة في بؤسه، وشدة حزنه.

قوله (بما كانوا يفسقون) أي: جزاء لفسقهم وخروجهم عن الطاعة.

والآية عرضت صورتين متقابلتين صورة الجماعة الواعظة الناهية عن فعل المعاصي وهي التي أنجاها الله، والثانية صورة الجماعة الظالمة التي أخذها الله بعذاب بئيس، وأغمضت الحديث عن مصير الجماعة اللائمة المؤمنة الساكتة عن فعل أهل المعاصي إشارة إلى شمولها بالعذاب، لأنهم بسكوتهم كانوا مشاركين لهم في أعمال أهل العصيان، فلم يأخذوا أثرهم في الوعظ أو المقاطعة.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾

قوله (فلما عتوا عما نهوا عنه) الفاء للترتيب الذكري، وفعل العتو بمعنى النبوّ إشارة إلى شدة التمرد والمبالغة في انتهاك حرمة الصيد في اليوم الممنوع عليهم.

قوله (قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) فعل أمر الكون أمر إعجازي ذكره الله لأنه لا يمتنع عليه شيء حتى ولو بتحويل جنسهم الآدمي إلى قردة مبعدين.

وفي ذلك منتهى عذاب الإذلال والخروج من شرف تكريم الآدمية، وذكر أهل التفسير أن القصة زمن النبي داوود (ع)، إذ قاطع الناهون العاصين في مساكنتهم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب، ولعنهم داود عليه السلام، فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد، فقالوا: إن للناس شأنا، فَعَلَوا الجدار فنظروا فإذا هم قردة، ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود أنسباءهم من الإنس، والإنس لا يعرفون أنسباءهم من القرود، فجعل القرد يأتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي، فيقول ألم ننهك؟ فيقول برأسه بلى. ذكر في التبيان. انتهى. وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير. ذكره الكشاف. انتهى.

وروي أن ابن عباس كان عندما يقرأ هذه الآية يبكي ويقول: نجا الناهون وهلك الفاعلون، ولا أدري ما صنع بالساكتين. ذكره الطبري في الجامع، والطبرسي في المجمع على تغيير طفيف، والسيوطي في الدر. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾

قوله (وإذ تأذن ربك) الواو لعطف جملة على أخرى، و(إذ) للظرفية المجازية عاملها بمعنى: واذكر إذ، وفعل الإذن كناية عن العزم، لأن من يعزم يحدث نفسه به ويؤذنها بفعله، والخطاب للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للعناية والتشريف.

قوله (ليبعثن عليهم يوم القيامة) اللام مؤذنة بالقسم، ونون الفعل لتأكيده، والبعث الإطلاق والتخلية، و(على) في (عليهم) للاستعلاء والتمكين، والكلام تأكيد لإيعاد الله لهم بالعذاب يوم القيامة بعد ذكر عذاب المسخ في الدنيا، وفيه تشديد بتسليط الله على هؤلاء الظالمين من يسومهم سوء العذاب ما دامت الدنيا.

قوله (من يسومهم سوء العذاب) اسم الموصول (من) مفعول فعل البعث، ولفظ السوم للبيع واستعير للعذاب، وإضافة لفظ السوء إلى موصوفه للمبالغة، إشارة عن أشد العذاب وأخزاه فيما يسوؤهم ويفضحهم.

قوله (إن ربك لسريع العقاب) الفصل لتعليل العقاب، والإخبار المؤكد بـ (إن) ولام الخبر للتشديد والتثبيت بتعجيل العقوبة في الدنيا لمستحقيها.

قوله (وإنه لغفور رحيم) الكلام يقابل ما سبقه في المعنى والأداء، لتبيان عدالة الله في إحقاق العقاب المعجل الذي لا يخرجه عن كونه ـ سبحانه ـ رحيما غفورا.

قوله تعالى ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُم بِٱلْحَسَنَاتِ وَٱلسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾

قوله (وقطعناهم في الأرض أمما) الواو لعطف حالة على حالة، وفعل التقطيع مجاز في شدة التفرقة والتشتيت في عموم الأرض، والضمير (هم)

راجع إلى بني إسرائيل، و(في) للظرفية المجازية، ولام الأرض للجنس، والأمم الطوائف، ونصبها على الحال.

قوله (منهم الصالحون ومنهم دون ذلك) تقسيم أريد به حصر بني إسرائيل المقطعين بين فئتين صالحة وأخرى سيئة، والحديث قبل أن يبعث فيهم عيسى عليه السلام.

قوله (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) الابتلاء والبلوى من الاختبار والفتنة، والحسنات كناية عن النعم، ولفظ السيئات كناية عن النقم.

قوله (لعلهم يرجعون) أي: لكي يكون ذلك سببا في توبتهم وإنابتهم إلى الله.

قوله تعالى ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦٩ ﴾

قوله (فخلف من بعدهم خلف) الفاء للترتيب الذكري، والكلام كناية عن ذرياتهم من أعقابهم لأنهم يخلفون آباءهم وأسلافهم، وتنكير لفظ الخلف يراد به نوع من علماء اليهود المنحرفين وأحبارهم، سمي بهم قومهم من اليهود لأنهم سبب الإضلال.

قوله (ورثوا الكتاب) جملة الإرث صفة للخلف. وفعل الميراث استعارة لما يبقى من القوم الراحلين، وضمير الواو فيه عائد على الخلف، ولام العهد في لفظ الكتاب لمعرفته وحضوره وهو كناية عن التوراة.

قوله (يأخذون عرض هذا الأدنى) الجملة مقامها الحال، كناية عن التمسك بظاهر الأمور دون جوهرها. والعرض الشيء الزائل الخارج عن الأصل، ولفظ الإشارة للتحقير، والأدنى نقيض الأعلى، والصيغة كناية عن الحياة الدنيا، تهوينا من شأنها.

قوله (ويقولون سيغفر لنا) أي: يقول علماء اليهود ذلك على سبيل تزكية نفوسهم فيوردونه بسبيل الإخبار منهم كمسلمات مزعومة منهم على أساس أنهم شعب الله وأن معاصيهم مغفورة.

قوله (وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه) سمى تكرارهم للمعاصي بالعرض، إشارة إلى استمرارهم في اقتراف السيئات بحجة أنهم مغفور لهم كما يزعمون.

قوله (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) الاستفهام للنفي والتقرير، وفعل الأخذ وتعديته بحرف الاستعلاء لإفادة معنى الفرض والقسم، و(ميثاق الكتاب) استعارة بالكناية عن العهود التي أقسموا عليها على طاعة الله، وإضافة لفظ الميثاق إلى الكتاب للمبالغة.

قوله (أن لا يقولوا على الله إلا الحق) جملة تفسير لميثاق الكتاب، وقولهم إشارة إلى الافتراء على الله بأنهم أحباؤه وأن النار لا تمسهم، واستثناء الحق لإفادة الصدق.

قوله (ودرسوا ما فيه) الواو عاطف على قوله (ورثوا)، والمعنى أي: قرؤا ما في الكتاب، إشارة إلى ما في التوراة من علم. وذكر الطبرسي: أن أصل الجملة: ورثوا الكتاب ودرسوا ما فيه، وما بينهما اعتراض كله. انتهى.

قوله (والدار الآخرة خير للذين يتقون) الإخبار يراد به تثبيت معنى أفضلية الاستقرار في الجنة للمتقين، والدار توحي بالاستقرار، ودار الآخرة كناية عن الجنة واللام في اسم الموصول للاستحقاق، وجملة الموصول تعليل للفظ الخير.

قوله (أفلا تعقلون) الفاء للتفريع، والاستفهام إنكاري يراد به توبيخهم في نفي إعمال عقولهم في الاهتداء إلى الطريق الموصل للجنة، ولا تخلو الآية من الإشارة إلى اليهود زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٧٠ ﴾

قوله (والذين يمسكون بالكتاب) صورة مقابلة في المعنى لما تقدم في الآية السابقة من الآخذين بعرض الدنيا، ولفظ الكتاب ـ بحسب سياقها ـ كناية عن

التوراة أو الإنجيل، والتضعيف في الفعل (يمسكون) يراد به معنى تكثير الاستمساك والاعتصام بكتاب الله والأخذ بشرائعه.

قوله (وأقاموا الصلاة) خص الصلاة بالذكر لشرفها وعظيم منزلتها مع أنها من جملة ما يشتمل عليه التمسك بالكتاب.

قوله (إنا لا نضيع أجر المصلحين) أقام الجملة من الابتداء وخبره مقام الإخبار للمبتدأ في قوله في بداية الآية (والذين يمسكون)، والكلام تهييج على عمل الإصلاح، ونفي تضييع الأجر يراد به ملزومه وهو حفظ أجرهم يوم القيامة ومجازاتهم عليه.

والآية في معناها تربط ربطا وثيقا بين التمسك بكتاب الله والعمل به منهاج حياة وبين الإصلاح الواسع المعنى المقابل لمعاني الإفساد.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾

قوله (وإذ نتقنا الجبل فوقهم) الواو للعطف لعود الكلام عن قوم موسى، ومعنى الظرفية: أخبر، واذكر، وفعل النتق القلع من الأصل والرفع، وتعريف الجبل للعهد قيل إنه طور سيناء.

والكلام يراد به معجزة رفع الجبل فوق رؤوس بني إسرائيل بسبب غضب الله لكثرة نكثهم العهود، ومر ذكرها في سورتي البقرة والنساء.

قوله (كأنه ظلة) صورة تشبيهية، مثّله بالغمام التي لها ظل في الأرض، يراد بها قرب الجبل من رؤوسهم.

قوله (وظنوا أنه واقع بهم) أي: وعلموا وأيقنوا أن الجبل واقع عليهم بمقدار عسكرهم فرسخا في فرسخ، رفعه الله فوق جميعهم كأنه غمامة، وذلك لأنهم أبوا قبول أحكام التوراة وقالوا فيها مشقة وغلظة.

قال في الكشاف: وقيل لهم إن قبلتموها بما فيها وإلا ليقعن عليكم، فلما نظروا إلى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقا من سقوطه، فلذلك لا ترى يهوديا يسجد إلا على حاجبه الأيسر ويقولون: هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة، ولما نشر موسى الألواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز، فلذلك لا ترى يهوديا تقرأ عليه التوراة إلا اهتز وأنغض لها رأسه. انتهى.

قوله (خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه) عدول بالكلام من خطاب الغائب إلى خطاب الحضور، بسبب الأوامر الإنشائية لفعلي الأخذ والذكر.

وفعل الأخذ كناية عن المسك بجد وحزم بالتزام أحكام الله، وما آتاهم الله مجاز في إعطائهم إرث علوم التوراة، والباء متعلق بفعل الأخذ والقوة الجد والحزم، والظرف موقعه الحال من واو الجماعة في (خذوا).

والأمر في فعل الذكر لإرادة الحضور الذهني لحفظ العهود والمواثيق الموجودة في التوراة.

قوله (لعلكم تتقون) أي: رجاء أن تتقوا معاصي الله ومخالفة أوامره.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾

قوله (وإذ أخذ ربك من بني آدم) الواو للانتقال من التذكير بعبر قصة موسى إلى تذكير الإنسان بالميثاق على الربوبية، وتقديم بني آدم العهد على عبوديتهم لله.

قوله (من ظهورهم ذريتهم) بدل من بني آدم، كناية عن أصلابهم، ويراد به استمرار نوع المأخوذ، والمقصود بها الذرية وما يعقبون حتى يأتي على آخرهم لأخذ الحجة على جميع الآدميين، ولذا لم يقل: من آدم، أو من ظهره، أو ذريته.

وقوله (وأشهدهم على أنفسهم) تدل هذه الشهادة على رفع الحجب بين الله وعباده في عالم نقي لم يلوث بعد بأدران الدنيا لأن المحاورة والشهادة رؤية يقينية منهم لربهم تشبه رؤيتهم لربهم يوم الحساب وهي رؤية القلب والعقل لا رؤية البصر المحدود ذكر الطباطبائي: أن هذه النشأة الانسانية الدنيوية مسبوقة بنشأة أخرى إنسانية هي هي بعينها غير أن الآحاد موجودون فيها غير محجوبين عن ربهم، يشاهدون فيها وحدانيته تعالى في

الربوبية بمشاهدة أنفسهم لا من طريق الاستدلال بل لأنهم لا ينقطعون عنه ولا يفقدونه، ويعترفون به وبكل حق من قبله. انتهى.

قوله (ألست بربكم) خطاب حقيقي، والاستفهام يراد به تقرير المعنى، وهو بيان ما أشهد عليه بنو آدم.

قوله (قالوا بلى شهدنا) إقرار منهم واعتراف بوقوع الشهادة، وذكر: أن الله عرفهم بحاجاتهم في الدنيا إلى ربهم ومربوبيتهم إليه فشهدوا له بذلك، والكلام كله يدخل في باب أخذ الحجة على الخلق من بني آدم.

قوله (أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) تعليل يراد به إبطال حجتين، ما ذكرت في خاتمة هذه الآية، وما افتتحت في صدر الآية اللاحقة، والمعنى: لئلا تقولوا: إنا كنا عن هذا غافلين عن عبادة الله الواحد، ولفظ الإشارة يراد به الميثاق في الإشهاد على ربوبية الله.

قوله تعالى ﴿ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ١٧٣ ﴾

قوله (أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) الترديد بمعنى: ولئلا تقولوا، والكلام منهم إعذار آخر مستنكر، والمراد: إلقاء إثم الشرك عن أنفسهم إلى آبائهم الذين سنوا لهم سنة عبادة غير الله وهم ذرية ضعاف، وعلى تقدير صاحب المجمع: إنا لا نهلككم بشرك آبائكم، وإنما نهلككم بفعلكم أنتم وتقليدكم الأعمى لآبائكم. انتهى.

قوله (أفتهلكنا بما فعل المبطلون) استفهام منهم ينكرون به الأخذ بجريرة آبائهم، وهو لا ريب تصوير لمغالطتهم من غير أن يكونوا معفوين من إثمهم بالشرك بالله، ولفظ المبطلين إشارة إلى آبائهم، ويراد به محو الميثاق المأخوذ من آبائهم بالوحدانية، والباء في (بما) للسبب، و(ما) مصدرية بمعنى: بسبب فعل.

قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ ﴾

قوله (وكذلك نفصل الآيات) التشبيه ولفظ الإشارة بمعنى: وكذلك التفصيل نفصل الآيات، وتفصيل الآيات يريد به تقطيعها لتمييزها وتبيينها وإيضاحها.

قوله (ولعلهم يرجعون) أي: رجاء بعودتهم وإنابتهم إلى خالقهم.

قوله تعالى ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾

سياق الآيات في التحذير من الغفلة، وفيها أمر الله نبيه ﷺ أن يتلو خبر عالم من علماء بني إسرائيل أوتي علم بعض كتب الله، فانسلخ منها ونبذها وكفر بها، قيل: إن اسمه بلعم بن باعوراء من بني هاب بن لوط، وقيل غير ذلك.

قوله (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا) الأمر في فعل التلاوة لنبيه محمد ﷺ بمعنى: اقرأ على الناس، وقص عليهم، ولفظ النبأ الخبر المشتمل على الحدث المهم، وفعل الإتيان بمعنى إعطاء ما به انكشاف البصيرة على آيات الله، أي: إتيانه الآيات العظيمة الكرامات الخاصة التي وهبه الله إياها، والمعارف الإلهية.

قوله (فانسلخ منها) الفاء للترتيب الكلامي، وفعل الانسلاخ استعارة بالكناية عن الخروج من تلبس شيء ما، فقد شبه الآيات التي وهبها صاحب النبأ بالجلد ثم حذف المستعار له وأشار إلى شيء مما يخصه وهو الفعل انسلخ بجامع اللزوم والتلبس، والمراد تصوير إعراض الرجل عن آيات الله.

قوله (فأتبعه الشيطان) الفاء للتعقيب، وفعل الاتباع بمعنى: أدركه الشيطان فصار قرينا له، أو فأتبعه خطواته، وذلك بأن خلى الله بينه وبين الشيطان.

قوله (فكان من الغاوين) الفاء للرتيب الذكري، وكل فاءات الآية عاطفة تفيد التعقيب الذكري في قص الخبر، والغواية والإضلال واحد في المعنى.

قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾

قوله (ولو شئنا لرفعناه بها) المعنى: لو شئنا لرفعنا درجته عندنا ومنزلته لدينا وحلنا بينه وبين ما اختار من المعصية، كناية عن كمال قدرة الله تعالى، فالمشيئة هي علم الله باستعداده لقبول فيضه وهي لا تعني انتفاء الاختيار الإنساني، بل المجازاة بقدر الاستعداد، والهاء في (بها) عائد على الآيات.

قوله (ولكنه أخلد إلى الأرض) استدراك على الرفع، وتعليل لخفضه وسفالته إلى الأرض، وهو ركونه إلى الدنيا وملذاتها.

قوله (واتبع هواه) كناية عن الانقياد إلى الأهواء واختيار العاجلة على الآجلة، ولفظ الهوى رغبات القلب.

قوله (فمثله كمثل الكلب) الفاء للترتيب الكلامي، والمثل الشبه، يراد به تشبيه حالة بحال، وتعريف الكلب للجنس.

قوله (إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) وهذا من أدب الأمثال القرآنية من التشبيه التمثيلي وصورته: حال كونه عالما كحال كونه جاهلا، فطبعه واحد لا أثر للعلم فيه، كمثل الكلب يلهث في كل حال، فيخرج لسانه في طرده والحمل عليه كما يخرجه إذا ترك، وإنما جيء بالكلب مثالا لأن سائر الحيوان يلهث في حال الإعياء والكلال إلا الكلب فهو يلهث في كل حال. ووجه الشبه الإيضاح والتحقير، والكلام مقامه الحال، وتعدية فعل الحمل بـ (على) لتضمنه معنى الهجوم، كما يقال: هجم عليه، واللهث

واللهاث سرعة التنفس كناية عن شدة التعب، إلا في حال الكلب فإنه من تعب ومن دونه لأنه سجية خلقية فيه.

قوله (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) أي بذلك المثال المصور والمحقر لشأنهم مثل القوم المستمرين بتكذيب آياتنا، ولا تخلو الفاصلة من تعريض بيهود المدينة.

قوله (فاقصص القصص) الفاء للتفريع، والأمر التفات بالعود إلى خطاب النبي ﷺ بتأكيد تلاوة خبرهم، والقص تتابع قراءة الخبر.

قوله (لعلهم يتفكرون) أي: لكي يتدبروا أمرهم ويتأملوا حالهم فيهتدوا.

قوله تعالى ﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ١٧٧ ﴾

قوله (ساء مثلا) في الكلام حذف تقديره: ساء مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا، ويراد به الدعاء عليهم بالذم، فقد جمعوا صفتين ذميمتين: خسة المثل بالكلب، وظلم النفس، والدعاء من الله يراد إحلال غضبه وعقابه بالعاصين، ونصب لفظ المثل على التمييز.

قوله (القوم الذين كذبوا بآياتنا) فاعل فعل السوء، وجملة الموصول وصلته لبيان علة التمثيل، وتكذيب الآيات جحودها وإنكارها، وإضافتها إلى نون العظمة لتعظيمها.

قوله (وأنفسهم كانوا يظلمون) قصر بأسلوب التقديم لإفادة الاختصاص، بمعنى: لا يظلمون إلا أنفسهم، والآية إخبار في معنى التهديد بتكذيب آيات الله وحججه.

قوله تعالى ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾

قوله (من يهد الله فهو المهتدي) أي من يهده الله، والمعنى: إن الهداية الحقيقية هي هداية الله التي تتحقق بها السعادة الأبدية في ظله، لا مجرد التمسك بظاهر الإيمان، مثلما إن الإضلال الحقيقي هو إضلاله سبحانه وذلك بترك العبد لنفسه وشيطانه.

قوله (ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون) العطف بمعنى: أن الإضلال الذي ليس بعده هو بترك العبد لنفسه وتخليته مع شيطانه، وإسناده إليه تعالى مجاز على سبيل المجازاة، والفاء المقترن بلفظ الإشارة واقعة في جواب (من) الشرطية، وإقامة الإخبار بالجملة الإسمية مقام الجزاء على الأسلوب القرآني، لإرادة ثبوت معنى الخسران الحقيقي، وضمير الفصل للقصر، وتعريف الخاسرين قصر ثان، واللفظ استعارة، أريد بها تشبيه النفس ببيعها بثمن بخس لأجل دنيا فانية.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ١٧٩ ﴾

قوله (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس) عطف وقسم وتحقيق لتأكيد الكلام وأهمية الإخبار، أي: وخلقنا لجهنم، والمراد به مآلهم جزاء أفعالهم، وليس خلق الخلق أصلا ليكونوا في جهنم على نحو سلب الاختيار، وإنما بالاستدراج والإملاء، واللام المقترن بلفظ جهنم للعاقبة والصيرورة لا للتعليل، وجهنم قعر النار، و(من) للتبيين، والجن الشياطين، والإنس الكافرون.

قوله (لهم قلوب لا يفقهون بها) اللام في (لهم) لملك، وضمير جمع الغائبين راجع إلى المشركين، وينسب التعبير القرآني العقل والإدراك النفسي إلى القلوب على عادة العرب في استعمال لغتهم، والفقه العلم.

قوله (ولهم أعين لا يبصرون بها) أي: ويملكون أعينا لا يرون بها أبعد من البصر العياني من دلائل التوحيد.

قوله (ولهم آذان لا يسمعون بها) وأعطاهم الله آلة السمع ولا يتعظون بما يسمعون.

والقلوب أي: العقول والإدراكات الباطنية، والأعين والآذان هي نوافذ العلم والإدراك التي تميز العاقل من غير العاقل، فهم ملكوها ولكن لم يُعملوها فيتدبروا بحواسها ويتفكروا بها الآثار الدالة على توحيد الله، فكانوا ومن عدمها سواء.

قوله (أولئك كالأنعام) الفصل والتشبيه تعليل لجمل النفي، لأن حالهم يشبه حال الحيوان من النعم في الأكل والسفاد لا غير.

قوله (بل هم أضل) بل تفيد الإضراب الانتقالي عن تشبيههم بالأنعام لأنهم أضل منها فهم منحوا نعمة العقل والنعم لم تمنح، والمراد بالضلال نفي اهتداء الطريق الموصل للسعادة والرضا.

قوله (أولئك هم الغافلون) الإخبار بالجملة الإسمية لإرادة معنى ثبوت غفلتهم، وهي نتيجة الطبع على قلوبهم وأبصارهم وأسماعهم، والكلام في أشد تأكيداته، بضمير الفصل وتعريف الغافلين.

قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٨٠ ﴾

قوله (ولله الأسماء الحسنى) التقديم للفظ الجلالة يفيد اختصاص ملك الله للأسماء الحسنى، وإيراد لفظ الأسماء بالتعريف للدلالة على العموم، ووصفها بالحسنى على أساس المعنى الوصفي لها، فالاسم إما يدل على

معنى أو يدل على ذات، وعلى هذا فالمعنى: إن كان لكل اسم حسن فلله أحسنها، وذلك لكماله وجماله سبحانه.

قوله (فادعوه بها) الفاء فاء التفريع، وفعل أمر الدعوة للمسلمين بمعنى التسمية نحو: يا زيد، أو بمعنى النداء نحو: يا رحمن يا رحيم، أو بمعنى العبادة، ويمكن أن يتحد المعنيان الأخيران، والهاء في (بها) عائد إلى الأسماء.

قوله (وذروا الذين يلحدون في أسمائه) الواو للعطف، ومعنى (ذر) الترك بتجاهل، والخطاب لعموم المسلمين، واللحد الميل عن الوسط إلى جانب، ومنه لحد القبر لكونه في جانبه بخلاف الضريح الذي في الوسط، والمراد التطرف والميل، والإلحاد الجدال غير المفضي إلى حقيقة، و(في) للظرفية المجازية بمعنى التعليل، والمعنى: أن الله أمر المؤمنين بتجاهل المشركين الذين يلمزون ويحرفون دليل التوحيد فقد كانوا إذا أطلقت صفة الرحمن على الله تعالى فصلوها عن ذاته المقدسة وحرفوها عن معناها مدعين أنه قول بتعدد الآلهة.

قوله (سيجزون ما كانوا يعملون) الفصل لأنه تعليل للأمر (وذروا)، والإحالة بسين المستقبل دالة على ما ينتظر الملحدين من عقاب في الدنيا وفي الآخرة.

قوله تعالى ﴿ وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ١٨١ ﴾

قوله (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق) الكلام حصر لخلق الله من الإنس بصنفين ذكر في الآية الصنف الأول وفي الآية اللاحقة الصنف الثاني.

أما الأول فهم المهتدون حقا الذين لا يعدلون بالله أحدا، وهم مصداق قوله تعالى فيما مر (من يهد الله فهو المهتدي).

و(ممن) مكونة من حرف التبعيض (من) واسم الموصول (من) الذي يفيد العاقل، والخلق الإيجاد والتدبير، والأمة الطائفة من الناس، وجملة الهدى محلها الصفة للأمة، والباء المقترن بلفظ الحق للملابسة، والحق الصدق، والظرف محله الحال من (يهدون).

قوله (وبه يعدلون) العطف صفة ثانية للفظ الأمة، أي: وبالله يميلون إلى الحق عن الباطل، وتقديم الظرف (به) للاهتمام، والباء للتعدية والهاء راجع إلى الله تعالى المشار إليه في (خلقنا)، ومر نظيرها في الآية (١٥٩) من السورة.

قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ ﴾

قوله (والذين كذبوا بآياتنا) العطف على قوله تعالى (وممن خلقنا) لأنه أريد به تبيان الصنف الثاني ممن خلق الله، وهم المكذبون الكافرون بآيات الله ومعجزاته الدالة على توحيده.

قوله (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) السين حرف استقبال، وأصل الاستدراج من الدرجة وهو الأخذ بمهل نحو الهلاك، فما يباغت، ولذلك تقيد بنفي العلم كما يرتقي الراقي السلم درجة درجة ليصل إلى علو، والمراد: تصوير إمهال الكافرين وإملاء النعم عليهم مستلذين، حتى ينسوا بها ربهم، موهمين أنفسهم بأنها من رضاه سبحانه عليهم، ومقام الإخبار المتضمن معنى أشد التهديد خبر للابتداء في اسم الموصول.

قوله تعالى ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ ﴾

قوله (وأملي لهم) الواو للعطف لاتصال الكلام، والإملاء الإمداد والإمهال، وفاعله الله تعالى، واللام في (لهم) بمعنى: لأجلهم، والمعنى: أن الله تعالى يغرقهم بالنعم الكثيرة لإمهالهم واستدراجهم.

قوله (إن كيدي متين) تعليل لفعل الإملاء، ولا كيد له سبحانه، وإنما هو مجاز يراد به استدراجهم بتركهم وتخليتهم مع شياطينهم وملذاتهم مقتربين بذلك إلى هلاكهم وعقابهم الأبدي.

وفي الكلام التفات من خطاب الغائب إلى خطاب المتكلم لتضمنه معنى التهديد بالهلكة الدالة على غضبه تعالى، ووصف الكيد بالمتين استعارة لإرادة غلظته وتمكنه وشدته.

قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾﴾

قوله (أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة) الخطاب لمشركي مكة، والاستفهام للإنكار والتوبيخ. والتفكر التدبر بأحوال الأمور وتعقلها، وجملة التفكر تامة، وما بعدها أي قوله (ما بصاحبهم من جنة) جملة نافية مستأنفة، وأصلها: ليس جنة بصاحبهم. فـ (ما) حرف نفي، و(من) زائدة لتقوية عموم النفي، والجنة الجنون، وتقديم الظرف للاهتمام، والباء المقترن بلفظ الصاحب للملابسة، والصاحب كناية عن النبي ﷺ لأنه ملازم لأهل مكة في المواطنة والسكن.

والمراد: توبيخ مشركي مكة على اتهامهم النبي ﷺ بالجنون، وهم الذين صحبوه وعرفوه من أقواله وأفعاله ما به جنة من قبل.

قوله (إن هو إلا نذير مبين) تأكيد بتعريف النبي ﷺ بحصره بالإنذار لأن المقام مقام تهديد للمشركين، وإن كان في الإنذار معنى التبشير، لأن في معانيه النهي عن الكفر للأمر بالإيمان.

قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

قوله (أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض) الواو للعطف، والاستفهام للتوبيخ، لنفي إعمال عقلهم في التفكر والتأمل في سعة مملكة الله الدالة على توحيده سبحانه. ولفظ الملكوت مبالغة في الملك ويريد به نظام الكون العجيب الصنع، وفيه معنى عميق لإرادة بيان الوجه الملكوتي للأشياء التي خلقها الله ووبخهم على إعراضهم عن النظر إليها.

قوله (وما خلق الله من شيء) العطف بمعنى: ألم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وأي شيء آخر خلقه الله، فـ (ما) موصولة، و(من) زائدة لتقوية العموم الأشياء مما توصل إلى معرفتها الإنسان ومما لا يعرفه.

قوله (وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) العطف بمعنى: أو لم ينظروا في أنه عسى أن يكون قد اقترب أجلهم، قال في الميزان: فإن النظر في هذا الاحتمال ربما صرفهم عن التمادي على ضلالهم. انتهى.

قوله (فبأي حديث بعده يؤمنون) الفاء للتفريع، وأي اسم استفهام يفيد الإنكار، ولفظ الحديث مجاز لكلمات الله تعالى في القرآن، والضمير في ظرف البعدية عائد إلى القرآن، وفعل الإيمان بمعنى التصديق، وإتيانه بالمضارع لاستحضار الحالة، والكلام يفيد اليأس من حال المشركين.

قوله تعالى ﴿ مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٨٦ ﴾

قوله (ومن يضلل الله فلا هادي له) إضلال الله بمعنى اقتضاء مشيئته تعالى بترك العبد لنفسه ناسيا ربه اقتضاء لا يكون معها هاديا أبدا، ويكون ذلك على سبيل المجازاة على العمل وليس على سبيل الابتداء، ولذلك الإضلال بهذه الحال لا يكون معه اهتداء، ومن هنا استعمل النفي المستغرق لجنس الهدي.

قوله (ويذرهم في طغيانهم يعمهون) الواو للعطف، والمعطوف نتيجة لتخلية الله بين عبده وشياطينه، فيتوهم طغيانه رضى من الله وتنعمه استحقاق، وفعل الذر الترك، والعمه الحيرة والتردد وموطنه القلب كالعمى موطنه العين، ولم تذكر الآية مقابل الضلال الهداية لأن الكلام عن منكري الإيمان بحديث القرآن، فكأنها تعليل لما سبق.

قوله تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾

بعد ذكر ما اختص الله تعالى به من الأسماء الحسنى شرعت الآية والتي بعدها في بيان اختصاصه سبحانه بالغيب كعلمه بالساعة.

قوله (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) الخطاب التفات إلى العناية بالنبي ﷺ لجدارته بتلقي الخطاب، والسؤال استفهام حقيقي من المشركين عن تحديد توقيت يوم القيامة، ومضارع السؤال دال على إلحاحهم وتكراره منهم للنبي ﷺ، والساعة كناية عن يوم القيامة، سميت بذلك لأنه تكون ببرهة من الزمن، وتعريفها للعهد، واسم الاستفهام (أيان) يسأل به عن الزمان خاصة وأصلها: أي آن، وأدمجت، ولفظ المرسى استعارة من السفينة لحصول الساعة ووقوعها ومستقرها.

قوله (قل إنما علمها عند ربي) الأمر بفعل أمر القول تلقين وعناية من الله بنبيه، وفي الإجابة عن السؤال استفاضة لخصوصية المسؤول عنه وأهميته في كونه من مختصات الله وحده، لذلك سترد أغلب معانيها بأسلوب التوكيد بالحصر، لأنها مما اختص به سبحانه ولم يطلع عليها أحدا من أنبيائه.

ولفظ العندية بمعنى التمليك المختص به الله وحده أو العلم، والإضافة في (ربي) مشعرة بالمعرفة الحقة بمقام الربوبية التي لا ترى مصلحة في معرفة العباد بتوقيت الساعة.

قوله (لا يجليها لوقتها إلا هو) الفصل لتعليل اختصاص الله بعلم الساعة، والتجلية الظهور، أي: لا يظهرها في موعدها إلا هو سبحانه.

قوله (ثقلت في السماوات والأرض) فعل الثقل استعارة لوزن معنى الساعة، لأن بها مرتبط نظام الكون كله من السموات والأرض الذي يحكمه

الله تعالى ويدبره، وظهورها يعني فناؤه، لذلك كانت الساعة ثقيلة في معناها وصفتها.

قوله (لا تأتيكم إلا بغتة) تعليل لثقل وزن الساعة، والقصر يراد به بيان صفتها المفاجئة في إتيانها وظهورها، فالساعة لا يظهر وصف من أوصافها ولا جزء من أجزائها قبل ظهورها التام، وإنما تظهر بغتة لجميع الأشياء.

قوله (يسألونك كأنك حفي عنها) إعادة فعل السؤال لتعليل إلحاح الملحين على النبي ﷺ بالسؤال عن موعد الساعة، والحفي العالم بالشيء، وكأنهم فهموا من قوله الأول (إنما علمها عند ربي) إحالة الرجوع إلى ربه لإخباره فألحوا عليه وكرروا، فجاء قوله صريحا بأن (علمها عند الله) ليقطع بذلك الأمر، وهي تذكر بقضية تكرار سؤالهم عن جوهر الروح فقال (يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي)، لأن الروح من مختصات علم الله وحده أيضا، وصيغت الآيات كلها بأسلوب الفصل لأن بعضها يؤكد بعضا في المعنى.

قوله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) الاستدراك للانتقال إلى تأكيد جهل الناس، إذ ليس كل ما يوصف لهم يسعهم العلم به.

قوله تعالى ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨ ﴾

قوله (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله) الأمر للنبي ﷺ، والمراد تبيين عبوديته لله بالتبري من دعواه بعلم الغيب، وأن ليس له شيء من دون مشيئته سبحانه، والآية في مقام التعليل لعدم علم النبي ﷺ بتوقيت الساعة التي هي من الغيب الذي لم يطلع الله عليه أحدا.

قوله (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) افتراض لإفادة قصور علم النبي ﷺ عن إدراك غيب الله مع جلال رسالته، وبتأكيد كونه عبدا لله ليس له إلا ما علمه الله تعالى، وفعل الاستكثار طلب الكثرة.

قوله (وما مسني السوء) العطف بمعنى: ولو كنت أعلم الغيب لما مسني أي سوء، ولفظ السوء معناه الضر وتعريفه للعموم، والكلام لا ينافي منزلة النبوة بل يؤكد عبوديته لله تعالى بتأكيده التزامه بما يوحى إليه، لذلك يأتي بمصاديق لنفي الغيب عن نفسه، بأسلوب الافتراض بـ (لو) أداة الامتناع لامتناع.

قوله (إن أنا إلا نذير وبشير) فصل الكلام لأنه تعليل لجملة نفي علم الغيب، وذلك بكونه ﷺ بشر بعث برسالة الله لإنذار الكافرين، وتبشير المؤمنين، وتقديم التنذير لوروده في سياق المكذبين، ولأنه أدعى إلى الردع والزجر

لفطرة الإنسان في دفع الضرر عن نفسه، بينما الترغيب فيه معنى تخيير، فله أن يأخذ به وله أن يدعه.

قوله (لقوم يؤمنون) اللام بمعنى الغاية، وخص القوم المؤمنين لأنهم الأقدر على الانتفاع بالموعظة في الإنذار والتبشير، لذلك جعله في محل تنازع بين الإنذار والتبشير، وجعل التبشير أقرب لأن فيه بشارة للمؤمنين.

قوله تعالى ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ﴾

قوله (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) ضمير الفصل للقصر، ولام اسم الموصول قصر ثان، والخطاب لعموم بني آدم، والنفس الواحدة كناية عن آدم عليه السلام، لأنه أصل النوع الإنساني.

قوله (وجعل منها زوجها) أي خلق الزوجة من نفس نوع زوجها، امتنانا منه سبحانه لأن النفس تميل إلى أشباهها بالطبع، ولفظ الزوج يطلق على الرجل والمرأة.

قوله (ليسكن إليها) اللام للتعليل، والسكن هو الطمأنينة والسكينة، والضمير في (إليها) عائد على الزوج التي هي امرأته.

قوله (فلما تغشاها حملت حملا خفيفا) الفاء للترتيب الكلامي، وفعل الغشيان: كناية عن تلاقي الزوجين، وهي من الكنايات القرآنية الكثيرة التي تراعي حياء الإنسان، وإيراد الفعل بالتضعيف (تغشاها) للإيحاء بقوة التمكن من ذلك لأن التكلف يقتضي الرغبة. ذكره ابن عاشور. انتهى. والمقصود بالحمل الخفيف أول حملها بالنطفة فلا تشعر به.

قوله (فمرت به) الفاء للتعقيب الذكري، والمعنى: فاستمرت بحملها تروح وتجيء غير شاعرة به حتى تدرج الجنين في الرحم، وفي الكلام إطناب يراد به التذكير بأطوار خلق الإنسان تذكيرا بكمال قدرة الله تعالى.

قوله (فلما أثقلت دعوا الله) الفاء للتعقيب، وأثقلت: أي المرأة أصبحت ذات ثقل، وهو كناية عن قرب وضعها لجنينها، لأن عندها الأم تشعر بثقل وزنه، تثنية فعل الدعوة للوالدين يدعوان ربهما معاهدين له سبحانه.

قوله (لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين) الفصل لأنه مقول فعل الدعوة، والقسم والشرط لتأكيد دعائهما بطلب الذرية السوية الصالحة للعيش الخالية من العاهات التي تقصر بقاءها في الحياة وتثقل الآباء. وفعل الإيتاء معناه الإعطاء، ولفظ الصالح صفة لموصوف تقديره: ولدا صالحا بارا بوالديه، واللام المقترن بفعل الكون واقع في جواب القسم، و(من) للتبيين، والشاكر فاعل الشكر.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠ ﴾

قوله (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) الفاء للترتيب الكلامي، فلما استجاب لهما الله فأعطاهما ما سألا من الولد الصالح جعلا لله شركاء بدلا من الإخلاص لعبادته، ولفظ الشركاء مجاز من اشتغال الوالدين بولديهما إلى حد نسيان الله أنه المنعم عليهما لشدة تسمكهما بالولد، أو يحتمل بلفظ الشركاء ما كان يصنعه الجاهليون ومشركو مكة من جعل أولادهم سدنة للأصنام.

وعلى أي حال: يجتهد الوالدان في الدعوة إلى الله بأن يهبهما الولد الصالح فإذا ما أعطاهما ما سألا جعلا له صنما معبودا شريكا يدعيانه إلها له من دون الله الذي كانا سألاه وأعطاهما، وفي الكلام عموم لأن فيه خطابا للمشركين بدأه من أول الآية.

قوله (فتعالى الله عما يشركون) الفاء للتفريع، وفعل العلو تنزيه لله عن فعل الشرك، وهو من البديع الموزون اتفاقا بوزن الرمل من الشعر.

قوله تعالى ﴿ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١ ﴾

قوله (أيشركون ما لا يخلق شيئا) الاستفهام الإنكاري يراد به توبيخهم وتقريعهم، و(ما) اسم موصول لغير العاقل، وصلته لتعليل الإنكار، والمراد: إنكار شركة الأصنام في الألوهية لكونها جامدة لا تخلق شيئا.

قوله (وهم يخلقون) جملة مقامها الحال، أي: يجعلون الأصنام شركاء والحال أنها نفسها مخلوقة من الله، وضمير الفصل (هم) عائد إلى الأصنام على سبيل تغليب ما يعقل على ما لا يعقل، ويجوز أنه حكى عما في نفوسهم من تصوير أصنامهم بصورة من يعقل.

قوله تعالى ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾

قوله (ولا يستطيعون لهم نصرا) أي: الأصنام لا تنصرهم ولا تنتصر لنفسها، فهي جامدة لا حياة فيها، والاستطاعة القدرة، واللام في (لهم) بمعنى الغاية، وضمير الغيبة راجع إلى المشركين.

قوله (ولا أنفسهم ينصرون) أي: ولا الأصنام تنتصر لأنفسها فتدفع عنها النار، وتقديم المفعول للأهمية، وبين فعل النصر ومصدره تفنن بديعي من نوع التجنيس الاشتقاقي.

قوله تعالى ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ ﴾

قوله (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم) بمعنى: إن دعوتم الأصنام التي عبدوها إلى الهدى فإنها لا تقبل الهدى، والخطاب للمشركين على سبيل التحدي لإثارة انتباههم، والضمير في (تدعوهم) عائد على الأصنام، ولفظ الهدى كناية عن كل ما ينتفع به، ولفظ الاتباع كناية عن الطاعة ولزوم الإيمان.

قوله (سواء عليكم) أي: يتساوى عندكم، والخطاب للنبي ﷺ والمؤمنين.

قوله (أدعوتموهم أم أنتم صامتون) الاستفهام للإنكار، وتفيد (أم) المعادلة، والكلام تصوير للحال الواحدة من الضلال للمشركين، فوعظهم وعدم وعظهم واحد عندهم لأن قلوبهم مطبوعة على الكفر والجهل، والتغاير بين جملة فعل الدعوة والجملة الإسمية (أم أنتم لها صامتون) فلم يقل مقابلها: أم صمتُّم، لإرادة شمولهم بعدم انتفاع الوعظ في الماضي والحاضر.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤ ﴾

قوله (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) الفصل للاستئناف، وفعل الدعوة بمعنى العبادة، والظرف (من دون الله) وصف للأصنام المقدرة في الفعل (تدعون)، والإخبار عنها في جملة العباد وأنها تشبههم باعتبار أنها مملوكة لله مربوبة له.

قوله (فادعوهم فليستجيبوا لكم) الفاء للتفريع، والأمر مجازي يراد به التعجيز، بمعنى: اطلبوا أصنامكم واستصرخوهم، والفاء الثانية للتعقيب، والأمر في الاستجابة للاستهزاء، واللام في (لكم) بمعنى الأجل.

قوله (إن كنتم صادقين) أي: إن كنتم صادقين في أنها تنفعكم وتثيبكم.

قوله تعالى ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ ﴾

قوله (ألهم أرجل يمشون بها) الكلام استدلالات منطقية في عبثية اتخاذ الأصنام آلهة، لأنها لا حراك بها ولا حياة، وكل ما ذكر من جوارح للمشي أو البطش أو البصر أو السمع تفصيل لمعنى جمودها وعدمها، والترقي في ترتيب الجوارح بيّن واضح، والاستفهام للإنكار، وضمير الجمع في الآية باعتبار الحكاية عن المشركين في تنزيل الأصنام منزلة من يعقل.

قوله (أم لهم أيد يبطشون بها) تفيد (أم) تضمين السؤال الإنكاري أن تكون للأصنام أيد تفتك بها.

قوله (أم لهم أعين يبصرون بها) وكذا إنكار ملكها لآلة البصر.

قوله (أم لهم آذان يسمعون بها) وكذا إنكار آلة السمع للأصنام، وذكر استقصاء الجوارح لتوبيخ المشركين في تغييب عقولهم باتخاذ الجوامد معبودات.

قوله (قل ادعوا شركاءكم) الأمر بدعوة الأصنام للتعجيز لأنها جامدة لا تستجيب، ونسب الشركة إلى أنفسهم لأنهم من أطلقوا عليها ذلك افتراء من عند أنفسهم.

قوله (ثم كيدون) تفيد (ثم) العطف الترتيبي في الكلام، والأمر بالكيد يراد به التهكم بهم وبآلهتهم، لتبيان بطلان عبادة الأوثان وإثبات وحدانية الله تعالى.

قوله (فلا تنظرون) الفاء للتفريع، والنهي عن الإمهال بمعنى التعجيل بالعذاب، والكلام استهزاء من النبي ﷺ بالمشركين وبأصنامهم غايته إيقاظ عقولهم.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦ ﴾

قوله (إن وليي الله) الاستئناف يراد به تعليل إنكار عبادة الأصنام، فلا عقل لمن يترك عبادة الحي القيوم ويعبد أصناما جامدة ميتة، لذلك وقع العدول بالكلام من خطاب الغير إلى خطاب التكلم، والولي هو الناصر المالك، وإضافته إلى ياء تكلم النبي ﷺ والتصريح بلفظ الله للتشريف والتعظيم.

قوله (الذي نزل الكتاب) محل جملة الموصول الصفة للفظ الجلالة، بمقام العلة لاختصاص النبي بولاية الله، وفعل التنزيل مجاز في نزول القرآن نزولا دفعيا، ولام الكتاب للعهد يراد به القرآن العظيم.

قوله (وهو يتولى الصالحين) الواو للعطف، وضمير الفصل للقصر بمعنى وحده لا غيره، وتولي الصالحين بدلالة مضارع الفعل بمعنى استمرار نصره تعالى لهم وتأييده لهم، والكلام مشار به إلى نفس النبي ﷺ لأنه سيد الصالحين.

قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧ ﴾

قوله (والذين تدعون من دونه) الواو للعطف على قوله (إن وليي الله) لبيان إتمام الفائدة في الكلام، والخطاب في فعل الدعوة للمشركين، بمعنى تعبدون لأن العبادة أصلها الدعاء، و(من) للابتداء، و(دون) أصله أسفل ومعناه دال واضح في اتخاذ كل معبود من غير الله، وضمير الغائب فيه راجع إلى الله، والظرف مشار به إلى الأصنام.

قوله (لا يستطيعون نصركم) جملة النفي محلها الخبر للابتداء في اسم الموصول، أي: لا يملك الأصنام دفع الضر عنكم أيها المشركون.

قوله (ولا أنفسهم ينصرون) تصوير لعجز الأصنام، وتقديم المفعول في (أنفسهم) زيادة في بيان اختصاص عجز الأصنام.

قوله تعالى ﴿ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ١٩٨ ﴾

قوله (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا) أي: وإن تدعوا الأصنام إلى ما ينفعها لا يسمعوا، ولفظ الهدى كناية عن كل ما ينفع.

قوله (وتراهم ينظرون إليك) الخطاب لكل مشرك، أي: وترى الأصنام بعينك كأنها تنظر إليك، والكلام من التشبيه البليغ، وإنما شبههم بذلك لأن المشركين كانوا ينحتون الأصنام ولها حدق كأنها تنظر للرائي.

قوله (وهم لا يبصرون) جملة حال والمراد بها تصوير هذه المفارقة فهم نحتوا لأصنامهم عيونا وهم في الحقيقة لا يبصرون ثم يتخذونها آلهة.

قوله تعالى ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾

قوله (خذ العفو) الأمر من الله للنبي ﷺ، ولفظ العفو الزيادة على الأصل، أي: خذ ما فضل من مالهم، وعلى نحو الاتساع في المعنى: اقبل ما تيسر من أخلاقهم، إشارة إلى أمره تعالى بالتساهل في الواجبات وترك الاستقصاء في القضاء والاقتضاء.

قوله (وأمر بالعرف) أي: أمره تعالى بالعمل على كل معروف ينطبق عليه الوصف عند العقلاء.

قوله (وأعرض عن الجاهلين) أمرٌ بعدم مقابلة السفه بالسفه، لأن فيه حطا من القدر وضعة من المنزلة، لذلك تجاهله أولى.

والآية جامعة لمكارم الأخلاق لأنها متضمنة لمعاني التسامح والإغضاء والأمر بالمعروف، وروي في الكشاف قول الإمام الصادق عليه السلام: أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها. انتهى. فهي صالحة لأن يبين بعضها بعضا، فإن الأمر بأخذ العفو يتقيد بوجوب الأمر بالعرف، وذلك في كل ما لا يقبل العفو والمسامحة من الحقوق، وكذلك الأمر بالعرف يتقيد بأخذ العفو وذلك بأن يدعو الناس إلى الخير برفق ولين.

قوله تعالى ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠ ﴾

قوله (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ) تفيد الأداة (إما) الشرط، وفعل النزغ مؤكد بالنون ومعناه الغرز وهو دخول في أمر لإفساده، وهو من الشيطان في أدنى الوسوسة، ويستعار لها تشبيها بنزغ الإبرة بجامع التأثير الخفي، أو: تشبه به مماسة الجاهل ومقابلة جهله بمثله بنزغ الشيطان ومداخلة خفية منه لإثارة غضبه، والكلام خوطب به النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويراد به إرشاد الأمة، و(من) بمعنى السبب، وتكرار النزغ لإفادة نوعيته.

قوله (فاستعذ بالله) الفاء واقعة في جواب (إما) الشرطية، وفعل الاستعاذة بمعنى الالتجاء إلى الله تعالى.

قوله (إنه سميع عليم) قطع الكلام لأنه علة لأمر الاستعاذة، والإخبار المؤكد بالجملة الإسمية لإفادة ثبوت صفات الإحاطة والعلم لله تعالى، والسميع العليم مبالغة في سمع ما يسمع والعلم بما يخفى.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾

قوله (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان) استئناف بياني لأهمية الإخبار عن المتقين، والمس يكون بوضع اليد على الجسم، واستعير لوسوسة الشيطان بجامع لطف الإصابة، والطائف من الشيطان كونه يحوم حول قلب الإنسان لوسوسته، و(من) للابتداء.

قوله (تذكروا) أي: تذكروا الله تعالى واستعاذوا به من مس الشيطان.

قوله (فإذا هم مبصرون) الفاء للتعقيب، و(إذا) حرف فجاءة، وضمير الفصل للتأكيد عائد إلى المتقين، ولفظ المبصرين كناية عن الاهتداء، لأن البصر لازم لمعرفة الطريق الموصل للنجاة، ولا تخلو الآية من معنى التعليل لأمر الاستعاذة السابق.

قوله تعالى ﴿ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾

قوله (وإخوانهم) أي: الشياطين إخوان المشركين، بدلالة السياق، والأخ يراد به القرين وكل ما يمت لك بصلة من النسب أو القومية أو المساكنة أو العقيدة.

قوله (يمدونهم في الغي) أي: الشياطين يمدون المشركين، والإمداد استعارة لما ينفع على سبيل التهكم بهم، والمراد تصوير إعانة الشياطين لإخوانهم المشركين على الضلالة والغواية.

قوله (ثم لا يقصرون) تفيد (ثم) العطف التعقيبي، أي: لا يكفون ولا ينتهون.

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾

قوله (وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها) أي: إذا نزلت آية كذبوا بها وإذا أبطأت في النول عليه قال المشركون مستهزئين للنبي ﷺ: لو أتيت بما تسميه آية وجمعتها من هنا وهناك، وفعل الإتيان مجاز في تنزيل الآية من الله بالوحي، وتنكير لفظ الآية للعموم، وفاعل فعل القول راجع إلى المشركين، والأداة (لولا) تفيد العرض بمعنى: هلا، والاجتباء الجمع على نحو الاصطفاء.

وقوله (قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي) الأمر بـ (قل) تلقين من الله لنبيه وعناية به وللرد على استخفاف المشركين، على نحو التأكيد المشدد بأن الإتيان بالاية والمعجزة ليس من شأن الرسول إذ ليس له من الأمر شيء في ذلك، وإنما الأمر محصور بالتبليغ والرسالة من الله بوحي يوحى، والاتباع الانقياد والطاعة، و(من) للابتداء، وإضافة الرب إلى ياء تكلم النبي للتشريف.

قوله (هذا بصائر من ربكم) الكلام من تمام التلقين للرسول، ولفظ الإشارة لتعظيم القرآن، والإخبار عنه بلفظ البصائر استعارة من تجلي الحق ووضوحه، و(من) ابتدائية، وكاف جمع المخاطبين في (ربكم) عائد إلى المشركين لتذكيرهم بعبوديتهم لله تعالى تسخيرا وأن ليس من حقهم على الله الاقتراح أو عبادة غيره سبحانه، ولإثبات صدق صدور القرآن من الغيب لأن المشركين اتهموا النبي بافترائه على الله.

قوله (وهدى ورحمة) الواو للعطف، ولفظ الهدى والرحمة استعارات تصريحية للهداية والانتفاع في الوصول إلى السعادة في الدنيا والآخرة، والرحمة للجزاء بالجنة التي أسندها للمؤمنين.

قوله (لقوم يؤمنون) اللام للتعليل لأن المؤمنين أجدر بالانتفاع من القرآن، والإتيان بلفظ القوم وتعقيبه بفعل الإيمان لإثبات صفة الإيمان المستمرة لهم.

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾

قوله (وإذا قرئ القرآن) الواو للعطف على قوله (هذا بصائر)، وقراءة القرآن تلاوته بحيث يسمع، ولفظ القرآن اسم علم لكتاب الله يراد به المقروء.

قوله (فاستمعوا له) الفاء لوقوع الكلام في الجزاء، والأمر بالاستماع إلى المؤمنين، وفيه فضل من زيادة السمع، وهو ما تريده الآية في تكلف النفس وحملها على الإصغاء إلى قراءة القرآن الكريم، وتعدية فعل السمع باللام للتأكيد والمبالغة.

قوله (وأنصتوا) زيادة في تأكيد الإصغاء إلى آيات الله، لأن الإنصات سكوت مع سماع، فيكون المعنى: استمعوا للقرآن واسكتوا.

قوله (لعلكم ترحمون) خطاب للمؤمنين تعليل للإنصات بمعنى: رجاء أن يرحمكم ربكم.

قوله تعالى ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾

قوله (واذكر ربك في نفسك) الواو للعطف، والأمر بكر الله مجاز في عبادته تعالى. والخطاب إلى النبي ﷺ والمراد به أمته، وتقييد الذكر في النفس لإفادة صدق العبادة في حال الخلوات وإبعاد النفس عما يشغلها من أحوال الدنيا.

قوله (تضرعا وخيفة) انتصب اللفظان على الحال، ولفظ التضرع والخيفة يقابله العلن والإسرار، وهو مما ورد في ذكر الدعاء في أكثر من موضع في القرآن، ويراد به ذكر الله عن اعتقاد راسخ وتذلل وتخشع من القلب إلى الجوارح.

قوله (ودون الجهر من القول) العطف بمعنى: واذكر ربك دون الجهر من القول، كناية عن التوسط في القول دون رفع الصوت، ومنه ما ورد أن النبي ﷺ سار بأصحابه في بعض غزواته فدخلوا واديا موحشا والليل داج فكان ينادي بعض أصحابه بالتكبير فنهاه النبي ﷺ وقال: إنكم لا تدعون غائبا بعيدا.

قوله (بالغدو والآصال) الظرف مرتبط بأمر القول دون الجهر صفة له، والغدو هي الغداة وبداية منتصف كل يوم، والآصال جمع أصيل وهو نهاية اليوم وقت غروب الشمس. والمراد دعوة الله في كل وقت.

قوله (ولا تكن من الغافلين) أي: ولا تكن من الناسين الموصوفين بالغفلة عن ذكر الله ودعائه، والخطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ٢٠٦ ﴾

قوله (إن الذين عند ربك) الكلام في مقام التعليل لأمر الذكر، بمعنى: اذكر ربك في كل حال لتكون من عباد الله الذين عند ربك لا تخرج من زمرتهم، والعندية مجاز للقرب من الله وأريد بهم مطلق المقربين من الله ومنهم الملائكة وجعلوا مصداق الذكر فكأنهم جبلوا على دوام الذكر والتسبيح.

قوله (لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه) وجملة نفي الاستكبار وصف للضمير في اسم الموصول، والاستكبار مبالغة في الاستعلاء، وتعديته بحرف التجاوز لتضمن الفعل معنى الاستنكاف، وجملة التسبيح بمعنى: وينزهون الله تنزيها.

قوله (وله يسجدون) أي: ولله وحده يعبدون، وذكر السجود مجاز أخص من العبادة، ومضارع الفعل للاستمرار. والله العالم.

سورة الأنفال

مدنية، وهي خمس وسبعون آية

نزلت السورة بعد وقعة بدر التي انتصر فيها المسلمون، فهي تحكي بعض أخبارهم في بدر، وفيها ذكر للجهاد والمغانم.

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١ ﴾

افتتحت السورة بقوله (يسألونك عن الأنفال) والخطاب للنبي ﷺ والذين يسألون هم المسلمون، والفعل المضارع متجدد الزمن يوحي بتكرار السؤال، وتكراره لأنه جاء عن مخاصمة وتنازع حول طلب الزيادة في غنائم بدر فراجعوا النبي في ذلك مؤكدين ومكررين، والسؤال طلب إذا عدي بـ (عن) فيراد به طلب المعرفة، وإذا تعدى بنفسه فيراد به العطية، وهنا يراد به معرفة الحكم، والأنفال جمع نفل ومنه النافلة، وكل ما يزيد على الواجب فهو نفل، فهو في الحرب زيادة على قسمة الغنيمة وهو في العبادات زيادة على الواجبات.

قوله (قل الأنفال لله والرسول) الأمر ومقول القول جواب قاطع للنزاع وحكم فاصل للجدل، فهي ملك لله معطوف عليه الرسول لأنه مشترك معه

في الحكم، وأورد خبرا بالجملة الإسمية لثبوت حكمه ودوامه وتحقيقه، ويشير التصريح دون الإضمار إلى الحكم العام لموضوع الأنفال فخصوصية المورد لا تعني خصوصية الحكم فهو لم يقل: قل هي لله ورسوله، بل كررها صريحة لإرادة عموم الحكم. فالألف واللام في سؤالهم عن الأنفال للعهد أي خاصة بأنفال بدر، بينما في الجواب للجنس والعموم، أي كل أنفال.

قوله (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) الفاء لتفريع الإخبار على الأمر، والتقوى من الوقاية وهي معنى شامل في تجنب المعاصي والوقوع في شبهاتها، والأوامر بالتقوى والإصلاح خطابية صريحة في معانيها توحي بما تضمر من معاني التخاصم والتنازع.

قوله (ذات البين) كناية عن التنازع والفرقة والجفوة، والمعنى: أصلحوا ما بينكم من مخاصمة وعالجوا أسبابه، و(ذات) بمعنى صاحب وتأتي مضافا دائما وتستعمل للتذكير (ذو) وللتأنيث (ذات) وللجمع (ذوات) وللمثنى (ذواتا).

قوله (وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) والعطف بين الطاعتين لتبيان منزلة الرسول وقطع الخصومة، والاشتراط يراد تأكيد تعلق الإيمان بطاعة الله ورسوله.

قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾

الآية تبيان وتفصيل لمعنى المؤمنين في قوله (إن كنتم مؤمنين)، بدأ بأسلوب القصر ب(إنما) وقصر عليهم صفات الخشوع والإيمان والتوكل.

قوله (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) جملة الموصول تفسير لمعنى المؤمنين، ولفظ الذكر معنى لكل ما يذكر به اسم الله وآياته وصفاته، والوجل خوف بفزع، أسنده إلى القلوب وأراد بها الإدراك العقلي وقرارة الإحساس على سبيل المجاز العقلي.

وإنما يوجل المؤمنون لأنهم يتذكرون عظمة الخالق فيشفقون من أنفسهم على تقصيرهم في عبادته وطاعته أو تتشوق نفوسهم إلى تمام رضاه عنهم لمعرفتهم الحقة به سبحانه.

قوله (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) الواو للعطف لتبيان معنى المؤمنين، ولفظ التلاوة قراءة باستظهار لما حفظ منها، والآيات سميت بذلك لعجز العرب عن الإتيان بمثلها.

والمعنى: إذا استمع المؤمنون إلى آيات القرآن زادتهم يقينا في يقين، فالزيادة المقصودة كيفية نوعية وليست كمية حسية، ونسبة الزيادة إلى الآيات، مجاز عقلي، مبالغة في تصوير تأثيرها في المؤمن، وهي سبب في

ذلك، لأن فاعله غير معروف فهو انجذاب نفسي ومطاوعة لها في الوصول إلى التأثير اليقيني، والله تعالى هو الذي يزيد في إيمانهم.

قوله (وعلى ربهم يتوكلون) الواو للعطف لأنها من ضمن صفات المؤمنين، وتقديم الظرف للقصر، أي: على الله لا على غير يتوكل المؤمنون، والتوكيل التفويض والتسليم.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ ﴾

قوله (الذين يقيمون الصلاة) الكلام قيد للمؤمنين الكُمّل في تعداد صفاتهم، فهم مصلون محافظون عليها بدلالة فعل الإقامة، ودلالة مضارع فعل الإقامة الاستمرار لفعل الصلاة، وخصوصية إفرادها بالذكر لأنها أشرف المظاهر العبادية للمؤمن.

قوله (ومما رزقناهم ينفقون) عطف الإنفاق على الصلاة مظهر ملازم للمؤمنين يترجم الاعتقاد بالعمل، فهم منفقون مزكون لمالهم وعلمهم، والظرف (مما) مكون من حرف الجر (من) ويفيد الابتداء، و(ما) مصدرية بمعنى: رزقنا لهم، والتعبير بإسناد الرزق إلى ضمير التكلم التفات يراد به الامتنان عليهم، وأصل فعل الإنفاق للمال وبكثرة الاستعمال أخذ لمطلق الإنفاق من إطعام وكسوة.

وبهذا اكتملت خمس صفات للمؤمنين اختيرت لأنها مظان لكل الصفات الحسنة التي يكتمل بها الإيمان صدقا وحقا، وروعي في ذكرها الترتيب،

فالصفات الثلاث الأول منها تخص أعمال القلوب، والأخيرتان من أعمال الجوارح، وأي إخلال بواحد من هذه الصفات الخمسة التي حددتها الآيات للمؤمن الكامل الإيمان يخرجه من كماليته ولا يخرجه من أصل الإيمان.

قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾

قوله (أولئك هم المؤمنون حقا) الكلام تقرير لما سبقه، ولفظ الإشارة بالبعيد لتعظيم منزلة المؤمنين، والضمير (هم) ضمير شأن للتأكيد، والحق الصدق ونصبه لأنه مفعول مطلق صفة للإيمان، أي: المؤمنون ايمانا حقا، لتأكيد أحقية صفة الإيمان الكامل للمتصفين بتلك الصفات التي ذكرتها الآيات السابقة، وأخبرت عنهم بالجملة الإسمية لثبوت المعنى فيهم.

قوله (لهم درجات عند ربهم) اللام في (لهم) لام الاستحقاق، ولفظ الدرجات استعارة لشرف القرب والمنزلة المجازية من الله، وتنكيرها يراد به التعظيم لمراتب القرب، والعندية الظرفية عندية القرب والكرامة لا المكان، والكلام خبر ثان للفظ الإشارة.

قوله (ومغفرة ورزق كريم) أي: وستر للذنوب وتجاوز وصفح عنها، ووصف الرزق بالكريم مبالغة على سبيل المجاز العقلي يراد به الرزق الوفير.

قوله تعالى ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥ ﴾

قوله (كما أخرجك من بيتك) متعلق بما يدل عليه قوله (قل الأنفال لله ولرسوله) أي: إن حكم الله بهذا الحق لصالحكم مع كراهتهم كما إن خروجك بالحق للحرب لصالحكم مع كراهة فريق منهم، وفعل الخروج من البيت بمعنى أمر الله للنبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالخروج من المدينة إلى النفرة ومواجهة المشركين في بدر.

قوله (بالحق) أي: بالصدق والعدل، والباء للملابسة أو المصاحبة، ولفظ الحق بمعنى ثبات العدل والصدق، والظرف موقعه الحال.

قوله (وإن فريقا من المؤمنين لكارهون) جملة حالية من فعل الإخراج، والفريق المجموعة، و(من) للتبيين، ولفظ المؤمنين للصفة الاصطلاحية، واللام المقترن بلفظ الكارهين للتأكيد واقعة في خبر (إن)، والكره ما يعافه المرء طبعا أو شرعا لما فيه من مشقة ولهذا ينبغي اعتبار الكراهة بناء على معرفة الحال، لا على رغبة الكره أو الحب.

قوله تعالى ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٦ ﴾

قوله (يجادلونك في الحق) الكلام محله الحال من (فريقا)، ولفظ الجدل أصله الفتل، والمجادلة استعارة للمفاوضة بالغلبة، فكأن المتجادلين يريد كل واحد منهما إسقاط صاحبه على الأرض، و(في) للظرفية المجازية، ولفظ الحق إشارة إلى أمر الله لنبيه بالخروج إلى الحرب، وقد كان وصفها الله تعالى بالحق في الآية السابقة.

قوله (بعدما تبين) أي: بعد تبيين الحق لهم بتأييدهم بنصر الله، والكلام لوم للكارهين، لأن الرسول ﷺ رجح النفير على اختيارهم العير، وفي ترجيحه إشارة إلى وعد الله بالنصر والتأييد.

قوله (كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) الجملة موقعها الحال من فعل المجادلة، وهي تمثيل لمشهد من يخرج للحرب على كراهة بحال من يساق كرها إلى الموت وهو ناظر إليه، فعندها يكون الهلع أشد مما لو سيق إلى هلاك لا يراه بطبع الحس، والسوق أصله قيادة الراعي للماشية من الخلف، واستعمل مجازا للإخراج والجمع بإكراه، وحرف الجر (إلى) لانتهاء الغاية، والموت زهق النفس وقبض الروح، وجملة (وهم ينظرون) جملة حالية للسوق، والنظر للعيان.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ ﴾

قوله (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين) الواو للعطف على ما تقدم لاتصال الكلام عن تفصيل وقعة بدر، و(إذ) تستعمل للظرف بمعنى: وقت، والعامل فيها مقدر بمعنى: واذكر، ووعد الله إشارة إلى تأييده لنبيه والمؤمنين، و: (إحدى) مؤنث أحد، وموقعها النصب لأنه مفعول ثان لفعل الوعد، وإضافتها إلى لفظ الطائفتين يراد بها الكناية عن أمرين وعد بهما النبي ﷺ للمسلمين هما: العير أي القافلة التجارية لمكة التي كان يقودها أبو سفيان، والثانية: النفير أي الخروج للحرب، والطائفة هي الجماعة من الناس.

قوله (أنها لكم) أي تظفرون بها. والجملة بدل من لفظ الطائفتين، واللام في (لكم) للملك، والخطاب للمؤمنين.

قوله (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) الجملة في موقع الحال، أي: وترغبون بغنيمة من دون حرب، ولا تريدون النفير، وفعل المودة بمعنى الرغبة القلبية الشديدة، وصيغة ذات الشوكة كناية عن الحرب، وغيرها بمعنى الغنيمة من دون أذى، ولفظ الشوك استعارة للحرب.

والمسلمون أرادوا الاستيلاء على قافلة قريش القادمة من الشام، لأن فيها تجارتهم وأموالهم وهي أقل عددا وعدة منهم، والناس بطبعها تميل إلى ما يحفظ أبدانها فتكره الحرب لأن فيه الموت.

قوله (ويريد الله أن يحق الحق بكلماته) الجملة محلها الحال، وإرادة الله مجاز لمشيئته سبحانه، وتحقيق الحق جناس اشتقاقي ومعناه إظهار الحق

ويكون باستئصال معاديه ومعانديه، والباء المقترن بلفظ الكلمات للملابسة، وكلمات الله مجاز في وعده تعالى لأنبيائه بالنصر والظفر على الأعداء نحو قوله تعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون) [الصافات ١٧٣]، وقال تعالى: (يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) [الصف ٩].

قوله (ويقطع دابر المشركين) الواو للعطف، وفعل القطع بمعنى فصل الشيء عن الشيء، والدابر ما يأتي بعد كل شيء، والكلام كناية عن استئصال الكافرين فلا يبقي على آثارهم.

قوله تعالى ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ ﴾

قوله (ليحق الحق ويبطل الباطل) التعليل لقوله تعالى (وإذ يعدكم)، لذلك هو ليس تكرارا لقوله (ويريد الله أن يحق الحق).

وإحقاق الحق وإبطال الباطل يكون بإظهار آثارهما المترتبة على ذلك، والجناس الاشتقاقي فيهما والمقابلة بينهما أسبغا على الآية تنغيما لافتا للأسماع وتناقضا مثيرا للانتباه، لأن بإحقاق الحق إبطال للباطل وبإبطال الباطل إحقاق للحق، وهو ما يبتغيه هذا الفن البديعي.

قوله (ولو كره المجرمون) أي: ولو كان المجرمون المشركون يكرهون إحقاق الحق وإبطال الباطل.

قوله تعالى ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ٩ ﴾

قوله (إذ تستغيثون ربكم) يمكن أن يكون الظرف (إذ) متعلق بفعل الإبطال في قوله (ويبطل الباطل) ويمكن أن يكون مستأنفا بتقدير محذوف أي: واذكروا إذ، ولفظ الاستغاثة يعني طلب الغوث والنصرة، والخطاب في (ربكم) للمسلمين.

قوله (فاستجاب لكم) الفاء للتفريع، أي: حقق الله إجابة دعائكم وتلبية استغاثتكم. وقد كان فعل الإجابة بنفس تأكيد الإغاثة، أي بحرفي الزيادة السين والتاء ويعني شدة العناية بتحقيق فعلها.

قوله (أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) تسمى أن بالتفسيرية ولذلك فصلت الجملة، ويمكن أن تكون بمعنى (بأني). والمدد الزيادة من الشيء النافع، وإيرادها باسم الفاعل لإرادة تحقيقها ومضيها. ولفظ المردفين انتصب على الحال من الملائكة، أي: ضعفا، لأن المردف يكون خلف المقدم، فيكون المعنى: أن الله أمدهم بألفين من الملائكة لتكثير سواد المسلمين لإلهاب حماسهم لأن عددهم كان قليلا، ولإلقاء الذعر في قلوب الكافرين، لأن عددهم كان أكثر بكثير من المسلمين.

وفائدة الإمداد لأن الإنسان يميل إلى المحسوس ويتأثر به كثيرا، فالملائكة ـ على ما قيل ـ لم تقاتل نيابة عن المسلمين بل كثّرت قلتهم في أعينهم وفي أعين المشركين، وقيل: ذكر الألف هنا من الملائكة للإمداد، وفي سورة آل عمران ذكر ثلاثة آلاف للبشارة، وتعدية فعل الإمداد بالباء لتضمنه معنى الزيادة، و(من) تبيينية، والملائكة مخلوقات نورانية محضها الله للخير.

قوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾

قوله (وما جعله الله إلا بشرى) أي وما جعل استجابة الدعاء وإمدادكم بالملائكة إلا تبشير بالظفر والنصر، وصيغة (بشرى) من صيغ المبالغة لأن ذلك أوسع في معنى البشارة كون بدر أول حرب دخلها المسلمون، وتفيد التعليل للإمداد المشار إليه في هاء فعل الجعل، وأورد لفظ البشارة مطلقا غير مقيد لأن الآية ضمن السورة في مقام العتب على المسلمين فهم خرجوا مكرهين، بينما جاءت مقيدة بـ (لكم) في سورة آل عمران في قوله تعالى (وما جعله الله إلا بشرى لكم) [الآية: ١٢٦] لأنها سيقت مساق الامتنان والتذكير بالنصر.

قوله (ولتطمئن به قلوبكم) الواو للعطف لأن الكلام تعليل ثان لاستجابة الدعاء، أي لكي تطمئن قلوبكم بالإمداد لا بغيره، ووقع بأسلوب الاختصاص بتقديم المتعلق (به) للتعريض لأن المسلمين كانوا وجلين من

ذات الشوكة ومقتنعين بعرض زائل من الغنم دون استئصال الكافرين وإبطال كفرهم، بينما في آية البشرى في سورة آل عمران تأخر المتعلق في قوله تعالى (ولتطمئن قلوبكم به) لأن المقام الذي سيقت فيه الآية مختلف.

قوله (وما النصر إلا من عند الله) تأكيد لتثبيت قلوب المسلمين، بتثبيت معنى النصر بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء، ويراد به الظفر الذي لا يكون من أحد إلا بمشيئة الله وقد قضت بالنصر لهم ببشارة إمدادهم، و(من) ابتدائية، والعندية بمعنى الملك والتصريح بلفظ الجلالة لتعظيم النصر.

قوله (إن الله عزيز حكيم) الفصل لتعليل اختصاص الله بنصر أوليائه، والإخبار بالجملة الإسمية المؤكدة لأنها أنزلتهم منزلة المترددين في قبول الحكم والخبر بعزة الله في تنفيذ وعده وفي حكمته الموجبة للفهم البعيد، بينما في مثيلتها من آل عمران أوقعته صفة في قوله (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم)، وإظهار لفظ الله في موضع الإضمار للتعظيم، والعزيز مبالغة في عزته التي لا يقهرها قاهر يعز بها أولياءه ويذل بها أعداءه، ولفظ الحكيم العليم بعواقب الأمور.

قوله تعالى ﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ١١ ﴾

قوله (إذ يغشيكم النعاس أمنة منه) تفيد (إذ) الظرفية معنى وقت أو حين، وهي من ابتكارات التعبير القرآني في التنقل في تعداد نعم الله على المسلمين في الظفر بالنصر، وفعل الغشيان استعارة للنوم شبهه به بجامع التغطية والستر، والنعاس أول النوم كالسنة، والمراد به تصوير ما منّ الله على المسلمين من إلباسهم لباس الأمن وقت الفزع والخوف في لقاء العدو، لأن النوم نتيجة الأمن من الخوف، ونصب لفظ الأمنة للحال، وحرف الجر (من) في (منه) ابتدائية، والهاء راجعة إلى الله.

قوله (وينزل عليكم من السماء ماء) العطف على الظرفية لأنه منة أخرى من الله على المسلمين، وفعل التنزيل إشارة إلى كثرة الماء النازل من السماء على المسلمين وقت سيرهم للحرب، و(من) ابتدائية، وأريد بتعريف السماء للعهد وهي سحبه الحاملة للماء، وتنكير لفظ الماء للكثرة.

قوله (ليطهركم به) جملة تعليل لإنزال المطر، وهو تطهير المسلمين به من أدران النجس.

في قوله (ويذهب به عنكم رجز الشيطان) العطف تعليل ثان لإنزال المطر، وهو إزالة قذارة الشيطان عن المسلمين من جنابة أو نحوه، والإذهاب الإزالة لذلك تعدى الفعل بحرف التجاوز (عن)، والباء في (به) للتعدية والهاء عائدة إلى الماء، والجز القاذورات وإضافته إلى الشيطان لإفادة مسه، وذكر أن الله أنزل الماء ليلبد كثيب أرض المسلمين فيصلوا إلى آبار بدر قبل المشركين الذين أوحلت أرضهم بالمطر، وليتطهر به المسلمون

مغتسلين من أدران النجس الذي يمنعهم من الصلاة، كالجنابة والحدث، وعبر عنه برجز الشيطان لإفادة وسوسته للمسلمين وحديثه الخفي لأنفسهم بأن موتهم في المعركة سيكون على نجاسة الجنابة والحدث إذ لا ماء لهم يتطهرون به، فكذبه الله بأن أنزل عليهم المطر.

قوله (وليربط على قلوبكم) العطف على الظرفية (إذ يغشيكم) لإفادة التعليل الثالث، واللام المقترن بفعل الربط للغاية، والربط الشد، ويراد به الكناية عن ثبات الجأش للقلب ومنع اضطرابه، ويفيد استعمال حرف الجر (على) دلالة التمكن.

قوله (ويثبت به الأقدام) تفيد الواو على ما تقدم معنى التعليل الرابع، وتثبيت الأقدام كناية عن الثبات في المزالق، والهاء في (به) للماء.

قوله تعالى ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾

قوله (إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم) الجملة محلها الحال، والإخبار لإظهار الامتنان على المسلمين، وفعل الوحي بمعنى المر من الله، وخص النبي بالخطاب بإضافة الرب إلى ضميره عناية به ﷺ لأن يعلمه الله بهذا الخبر، والإخبار المؤكد في قوله (أني معكم) يفيد المعية المجازية أي: ملازمة تأييد الله للملائكة.

قوله (فثبتوا الذين آمنوا) الفاء لتفريع الأمر على الإخبار، وأمر التثبيت مجاز يراد به تشجيع المسلمين للوقوف بوجه الأعداء بتكثير سوادهم ومنع اضطرابهم، لأن ذلك مستلزم من الأمر.

قوله (سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) السين حرف استقبال، وفعل الإلقاء استعارة لما يطرح ويرمى، و(في) للظرفية المجازية، ولفظ القلوب مجاز للإدراكات الباطنية، والإتيان بجملة الموصول لتعليل فعل الإلقاء، ولفظ الرعب بمعنى أشد الخوف مما يكره، واسند إلقاء الرعب إلى ضمير التكلم ولم يسند إلى الملائكة لتعظيم هوله وشدته.

وفي الكلام اختصاص بالتقديم المتعلق (في قلوب) لمراعاة معنى المتقدم.

قوله (فاضربوا فوق الأعناق) الفاء للتعقيب الذكري، والأمر بالضرب نتيجة الأمر بالثبات، وخص الرؤوس بالضرب وكنى عنها في قوله (فوق الأعناق) لإتلاف أجساد المشركين.

قوله (واضربوا منهم كل بنان) الواو للعطف الترتيبي، وخص بالذكر بنان الأصابع مجازا لإفادة الأيدي لأنها محل القبض على السلاح، وحرف الجر (من) في (منهم) للتبعيض، وضمير جمع الغائبين للإشارة إلى المشركين، وتقديم الظرف للأهمية. ولفظ الكل للعموم، والبنان رؤوس الأصابع.

قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ﴾

قوله (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) الفصل لتعليل الأمر بالضرب، لأنهم حاربوا الله ورسوله، ولفظ الإشارة لإحضار الأمر بالضرب، والباء في (بأنهم) بمعنى: لأنهم، والمشاقة شدة المخالفة والمحاربة، وعطف الرسالة على الألوهية لتعظيم مخالفة الرسول.

قوله (ومن يشاقق الله ورسوله) العطف وأسلوب الشرط تفريع على ما ورد من تعليل، لبيان تعظيم الجزاء.

قوله (فإن الله شديد العقاب) الفاء واقعة في جواب (من) الشرطية، والإتيان بالجملة الإسمية في مقام الجزاء لإفادة تثبيت المعنى المتضمن شدة التهديد والوعيد من الله، وهو أسلوب قرآني في إقامة الأخبار المؤكد مقام الجزاء.

قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾

قوله (ذلكم فذوقوه) الخطاب من المسلمين للمشركين حال قتلهم، ولفظ الإشارة بالبعيد لتهويل شأن العقاب بضرب الأعناق، وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره: ذلكم العقاب، والفاء للتفريع، وفعل التذوق استعارة سمي بها كل مكروه، وهي هنا استعمال على سبيل الإهانة لهم بتحقيق الوعيد.

قوله (وأن للكافرين عذاب النار) الواو للعطف على الجملة المقدرة للفظ الإشارة، تأكيد بالتشديد في عذاب الآجلة زيادة على عقاب الآجلة.

قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا) النداء العام بصفة المؤمنين له ما بعده، ففي الغالب يراد به إشعارهم بأهمية هذه الصفة عند الله، وهي هنا بمنزلة التوطئة لما سيلقى عليهم من أمر تعظيم الجهاد.

قوله (إذا لقيتم الذين كفروا زحفا) أسلوب الشرط لتبيان جوابه، والكلام في النهي عن الهزيمة وقت مواجهة الكافرين في المعركة، وفعل اللقاء يعني المواجهة الأمامية التي تلتقي فيها الوجوه بإزاء بعض، والزحف كناية عن المشي لقتال الأعداء، سماه كذلك باعتبار مشيهم البطيء المحترس كأنهم يزحفون، ونصب اللفظ على الحال.

قوله (فلا تولوهم الأدبار) جواب الشرط، كناية عن النهي عن الهزيمة في المعركة، والتولية للأدبار جعلهم يلونها، ويبدو أن الخطاب عام وليس مخصوصا ببدر.

قوله تعالى ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾

قوله (ومن يولهم يومئذ دبره) العطف على قوله (فلا تولوهم الأدبار)، أي: ومن ينهزم وقت الزحف، وبناء (يومئذ) من يوم والظرفية (إذ) وتفيد يوم الزحف ولقاء العدو، وذكر الأدبار في كناية الهزيمة لإفادة بعث الأنفة عما يكره إبانته عند الإنسان.

قوله (إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة) استثناء ممن ينهزم لأجل المراوغة في القتال، أو الالتحاق بجماعته لطلب معونة أو مؤونة، ولفظ التحرف من الحرف وهو الطرف، والمراد الابتعاد عن الوسط إلى طرفه، والاستثناء تعليل لفعل الانهزام.

قوله (فقد باء بغضب من الله) جواب الشرط، و(باء) رجع، والمعنى: من فر من القتال فقد عاد بغضب من الله، كناية عن تعجيل العقاب في الدنيا.

قوله (ومأواه جهنم وبئس المصير) الواو للعطف لإفادة معنى عقاب الآخرة على ذكر عقاب العاجلة، والمأوى المنقلب ويراد به المستقر، وجهنم اسم لقعر النار، والإخبار عنها بفعل البؤس لذم هذا المصير.

قوله تعالى ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾

قوله (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) الفاء للترتيب الذكري، والنفي والاستدراك للإشارة إلى معجزة الله في تأييد المؤمنين بالنصر في بدر وإهلاك المشركين، بإمدادهم بالملائكة وغشيانهم بالنعاس وطمأنة قلوبهم، ولذلك تقدم لفظ الجلالة وصرح باسمه.

قوله (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) الجملة تقرير لمعنى ما تقدمها، والخطاب في فعل الرمي للنبي ﷺ، وهو فعل حقيقي في ضرب الأعداء، ولكن نسبة الرمي الثاني لله تعالى لما حصل فيه من أمر خارق للعادة، إذ روي في التبيان أن النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام: ناولني كفا من حصى وناوله ورمى به في وجوه قريش وقال: شاهت الوجوه، فما بقي أحد إلا امتلأت عيناه من الحصى، فشملهم المسلمون قتلا وأسرا. انتهى. والاستدراك بـ (لكن) على نفي الرمي لإفادة تأكيد المعجزة.

قوله (وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا) الواو لعطف التعليل على الإخبار، وفعل الإبلاء أصله الاختيار، ويعني الإصابة المؤثرة، وتميز في الخير فقيل: أبليته إبلاء، وفي الشر فقيل: بلوته، والبلاء الحسن مفعول مطلق، و(من) في (منه) ابتدائية، وضمير الهاء عائد على لفظ الجلالة.

قوله (إن الله سميع عليم) إخبار بالجملة الإسمية المؤكدة لإرادة تعليل الإبلاء، فالله سميع لكل مسموع من الاستغاثة والدعاء، وعليم بما خفي من حالهم، وكلتا الصفتين من صيغ المبالغة.

قوله تعالى﴿ ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٨ ﴾

قوله (ذلكم) لفظ الإشارة لإحضار معجزة نصر المسلمين على المشركين، أي: ذلكم البلاء الحسن.

قوله (وأن الله موهن كيد الكافرين) الواو للتعليل بمعنى: لأن الله موهن كيد الكافرين. ولفظ الكيد الاحتيال بالمضرة، وإيهانه بإضعافه فذلك معنى الوهن، وقد كان أراد المشركون بعد نجاة قافلتهم، إبقاء عسكرهم لإعلام العرب بهزيمة المسلمين وصرفهم عن اتباع الإسلام، فأوهن الله كيدهم بالهزيمة.

قوله تعالى ﴿ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٩ ﴾

قوله (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) في الكلام التفات من خطاب الغائب إلى خطاب المشركين لغرض التهكم بهم، والاستفتاح طلب الفتح والنصر، وروي في المجمع أن أبا جهل قال يوم بدر: اللهم ربنا ديننا القديم ودين محمد الحديث فأي الدينين كان أحب إليك وأرضى عندك فانصر أهله اليوم. انتهى.

ودلالة جواب الشرط بفعل مجيء الفتح التهكم بهم.

قوله (وإن تنتهوا فهو خير لكم) أي: وإن تقلعوا عن القتال وتكفوا عن معاداة المسلمين خير لكم وأنفع.

قوله (وإن تعودوا نعد) أسلوب شرط يراد به التهديد، والعود كناية عن القتال، والخطابات لمشركين مكة.

قوله (ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت) تحذير شديد وتفريع على الشرط، بنفي سلامتهم لو عادوا للقتال. وفعل الغنى بمعنى المنع، والفئة جماعتهم، وتنكير لفظ الشيء لإفادة العموم، والافتراض بـ (لو) لإتمام معنى التهديد بالإشارة إلى كثرتهم في بدر.

قوله (وأن الله مع المؤمنين) واو العطف متضمنة معنى التعليل لنفي غناء المشركين عنهم ولو كثرت بمعنى: لأن الله مع المؤمنين، ولفظ المعية استعارة للتأييد باعتبار علاقة الملازمة والمصاحبة، وفي إفادة التصريح بلفظ المؤمنين تعليل معية الله لهم وتأييده لهم.

قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا) إعادة النداء بصفة الإيمان للاستعداد لما سيلقى عليهم من تكاليف.

قوله (أطيعوا الله ورسوله) أمر صريح بلزوم الطاعتين: الله ورسوله، أنزلا منزلة واحدة تعظيما للرسول كونه المؤدي لرسالات ربه، والطاعة الالتزام بأوامر الله ونواهيه.

قوله (ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون) أي: ولا تتولوا: كناية عن النهي عن التجاهل والإعراض، والضمير في (عنه) راجع إلى النبي ﷺ، والكلام نهي عن إعراض المسلمين لما يقول النبي ﷺ وما يأمرهم من نصح وأوامر حربية.

قوله (وأنتم تسمعون) جملة حالية لتبشيع التولي عن النبي ﷺ في حال تبليغهم بما يحملهم على الطاعة.

قوله تعالى ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

قوله (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا) نهي عن تشبههم بحال من يدعي السماع وهو لا يبالي بما سمع كأنه لم يسمع، ويراد بالسمع الفهم.

قوله (وهم لا يسمعون) جملة حالية، وفي الكلام تعريض بالمشركين.

وفي الآية عدول من خطاب المشركين لتهديدهم والتهكم بهم، إلى خطاب المؤمنين لتحذيرهم وأمرهم بلزوم طاعة الله ورسوله، وربما أريد بالآية الإشارة إلى بعض من آمن بالنبي ظاهرا وبقي في مكة، فقد أثر: أن فتية من قريش أسلموا بمكة فاحتبسهم آباؤهم فخرجوا مع أهلهم وقومهم يوم بدر، وهم على الشك والارتياب، لم يخلصوا إسلامهم، وهم قيس بن الوليد

بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زمعة بن الأسود، وعلي بن أمية بن خلف، والعاص بن منبه بن الحجاج، فلما قدموا بدرا، ورأوا قلة أصحاب النبي قالوا: مساكين هؤلاء غرهم دينهم. روي في تفسير القمي، والمجمع. انتهى.

قوله تعالى ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢ ﴾

قوله (إن شر الدواب عند الله الصم البكم) الإخبار وإن كان يحمل دلالة العموم، إلا أنه متعلق بالمقام يفيد التعريض بالمشركين، ولفظ الشر بمعنى اسم التفضيل: أشر، وإنما أخبر عنهم بصفة الشر لكونهم بهذا الوصف الذي ينفي عنهم آلات العقل هيآت طيعة بيد الأهواء.

ولفظ الدواب كل ما يدب على الأرض واختص بحكم العرف للحيوانات ذوات الأربع، وهو استعارة للذين يحملون مدركات السمع والتكلم ولا يفيدون منها كالحيوانات، فالتعريف في لفظ الصم البكم يفيد العهد الذكري من المشركين، وكلاهما خبران لحرف الابتداء (إن)، والصم جمع أصم وهو الفاقد لحاسة السمع، والبكم جمع أبكم وكلاهما مستعملان مجازا لانتفاء الانتفاع بهما، والعندية تفيد العلم لا المكان، وجملة الموصول: (الذين لا يعقلون) خبر ثالث.

قوله تعالى ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

قوله (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم) الواو للعطف، والأداة (لو) للافتراض، والكلام يفيد التيئيس من حال الكافرين، والعلم بمعنى الوجدان المجازي، و(في) في (فيهم) للظرفية المجازية، وتنكير لفظ الخير لنفي مطلقه، إشارة إلى نفي استعداد نفوسهم لاستقبال الحق واستقراره في القلب.

واللام المقترن بلفظ الإسماع واقع في جواب (لو)، والمراد بلفظ الإسماع الإفهام، أي إن إفهامهم لا يعجز مشيئة الله تعالى ولكنه ربط كل شيء بسببه، وهم لا استعداد اختياري لهم لقبول الفهم.

قوله (ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) زيادة في تصوير اليأس من حالهم المصر على الإعراض عن النصيحة، بافتراض آخر لنفي استعدادهم الثابت لتقبل الخير، فلو جعل الله لهم الفهم والعلم لاستعملوه في غير محله فيشتد به إعراضهم وصدهم عن التوحيد، وألفاظ التولي والإعراض تصوير كنائي إيحائي بشدة إصرارهم على جهلهم، وجملة الإعراض موقعها الحال.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا) الخطاب عام لكل المؤمنين لإفادة إقبالهم على التكليف.

قوله (استجيبوا لله وللرسول) صيغة الاستفعال تدل على التأكيد وحمل النفس على إجابة الله ورسوله، والعطف وتكرار اللام لإرادة العناية في استقلال استجابة الرسول بحقيقة ندائه لهم استجابة حقيقية تامة.

قوله (إذا دعاكم لما يحييكم) أي: إذا دعاكم إلى أمر فيه حياة نفوسكم في الدنيا والآخرة، وعلى هذا فلفظ الإحياء استعارة بالكناية عن دين الفطرة والإسلام الذي فيه حياة النفوس الميتة التي تحيا بكرائم الأمور.

قوله (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) تعليل لأمر الاستجابة، ويراد باستعمال الأمر (واعلموا) تنبيه المخاطب بالعلم من الغفلة عن أمر مهم، والحول هو المنع بالتخلل وسطا بين شيئين أو أشياء، ولفظ القلب يطلق في العربية ويراد به عقل المرء وعزمه أو نفسه الإنسانية وإحساسه، وليس المراد به العضو المعروف، والمراد: أن الله بكونه مالكا للإنسان خالقا له أقرب إليه حتى من نفسه، فهو حائل يتوسط بين أجزاء قوى نفسه لأنه مالكها حقيقة، وأكد ملكيته الحقة يوم لا ملك إلا ملكه.

قوله (وأنه إليه تحشرون) الواو عاطفة بمعنى: واعلموا أنه إليه تحشرون، وتقديم المتعلق (إليه) لإرادة الاختصاص، والحشر الجمع في البعث والنشور يوم القيامة للوقوف للحساب.

قوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥ ﴾

قوله (واتقوا فتنة) لفظ الاتقاء من الوقاية، أي اجتنبوا، والفتنة ما يفتتن به ويغرى، وتنكيرها لإرادة تعظيم هولها.

قوله (لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) جملة النفي موقعها الصفة للفتنة، وفعل الإصابة يراد به نفي التعيين، وإسناد فعل الإصابة إلى الفتن للمبالغة على سبيل المجاز العقلي بعلاقة السببية ويراد بها الأعمال، وهذا شأن الفتن قد تخطيء إصابتها المسببين لها من الظالمين فتشمل الجميع بأهوالها، والآية ـ كما الآيات السابقةـ تحذر المسلمين بخطاب توجيهي اجتماعي وتدعوهم إلى الاعتصام بحبل الله والتمسك بوحدة الكلمة ونبذ الفرقة التي قد تودي بهم إلى المهلكة في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة.

قوله (واعلموا أن الله شديد العقاب) خطاب تحذير وتهديد من الله للمؤمنين لحملهم على اتقاء الفتن.

قوله تعالى ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦ ﴾

قوله (واذكروا إذ أنتم قليل) الواو للعطف، والأمر بالذكر بمعنى استحضار منة الله على المؤمنين وعدم غفلتها ونسيانها، و(إذ) ظرف متعلق بفعل الذكر، وضمير الفصل للمخاطبين للتأكيد، ولفظ القليل تقال للمفرد والجمع، والمراد القلة العددية وذكرها لإفادة ملزومها وهي الضعف والتوهين، وقد كان المسلمون قلة فكثّرهم الله.

قوله (مستضعفون في الأرض) لفظ الاستضعاف مبالغة في ضعف الحال والقوة، وموقعه الصفة لضمير الفصل (أنتم)، و(في) للظرفية المجازية، وتعريف الأرض للعهد الذكري ويراد بها مكة.

قوله (تخافون أن يتخطفكم الناس) الجملة موقعها الحال، والخوف اضطراب بالقلب يظهر على الوجه والبدن، وجملة (أن) تفسير للخوف، والتخطف استعارة يراد بها الغلبة السريعة الشبيهة بالخطف، وقد كانوا كذلك لقمة سائغة للمشركين خائفين من بطشهم في هجرتيهم وفي لقائهم ببدر فأنعم الله عليهم بالنصر والأيد، وتعريف لفظ الناس أريد به الناس المعهودون في الذهن وهم المشركون من أهل مكة وغيرهم.

قوله (فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات) الفاء للترتيب الكلامي، ولفظ الإيواء كناية عن مستقرهم في يثرب، فالله أعطاهم المدينة مأوى بديلا عن مكة، ومكنهم وقواهم بتأييده فانتصروا بعد أن كانوا مستضعفين يتخطفهم الناس، فسبب لهم العيش الكريم ورزقهم مما غنموا من المشركين ببدر.

قوله (لعلكم تشكرون) أي: لكي تشكروا الله على ما انعم عليكم، وفيه تنبيه وتحذير من تراجع الحال.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) تكرار النداء بصفتهم الإيمانية مع الأوامر والنواهي المستتبعة يوحي بثقل وزن الاتصاف بها وأن من يحملها لا يتناسب معه إلا أن يكون مؤمنا حقا، والخيانة نقيض الأمانة، وهي من الخون وأصلها النقص، وخيانة الله تكون بنقض العهد والالتزام بأحكامه، وخيانة الرسول تكون بالإساءة إلى سيرته الحسنة وانتهاك حرمة ذريته.

قوله (وتخونوا أماناتكم) وخيانة المؤمنين تكون بأموالهم والتهاون بتسريب أسرارهم إلى أعدائهم، ومراد الكلام: النهي عن الخيانة الجامعة لله ورسوله

والمؤمنين وهي ما يتعلق بحفظ الأمور المتعلقة بحياتهم ووجودهم، كالأسرار السياسية والمقاصد الحربية.

قوله (وأنتم تعلمون) جملة حال، فإن الخيانة مع معرفة أسباب الوفاء وعواقب الخيانة تبشيع لها وتهييج لفطرة الإنسان السوية، وفي الآية تلميح إلى قيام بعض أفراد المسلمين من إفشاء أسرار إلى المشركين كان النبي ﷺ كتمها منهم لإنفاذها، وقد ذكر أن جبريل عليه السلام أخبر النبي ﷺ بما كتب أحد أفراد المسلمين إلى أبي سفيان يحذره من عزم النبي ﷺ على أخذه وقافلته التي تحمل مالا كثيرا لقريش.

قوله تعالى ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾

قوله (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) وإنما ذكر الأموال والأولاد لأنهم السبب في خيانة بعض أفراد المسلمين ـ على ما ذكر ـ استمالة للمشركين، لئلا يتعدوا على أموالهم وأولادهم الذين تركوها في مكة، نظير ما كان من أبي لبابة مع بني قريضة.

قوله (وأن الله عنده أجر عظيم) الواو للعطف بمعنى: واعلموا أن الله عنده أجر عظيم، والتصريح باسم الله للتعظيم، والعندية مجاز في التمليك، ولفظ الأجر يراد به الثواب، ووصفه بالعظيم لكثرته حتى كأنه يرى.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا) نداء تشريفي غالبا ما يعقب بالتكاليف.

قوله (إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) الشرط لبيان جوابه، وتقوى الله الالتزام بأوامره ونواهيه التي جاءت بها الشريعة، وجزم فعل الجعل لأنه جواب (إن) الشرطية، واللام المتصل بضمير جمع المخاطبين بمعنى الأجل، ولفظ الفرقان مصدر لما يفرق بين شيئين، وهي استعارة لما يفرق به بين الخير والشر أو الحق والباطل.

قوله (ويكفر عنكم سيئاتكم) جزم فعل التكفير لأنه معطوف على (يجعل)، والتكفير يراد به المحو والستر وتعديته بحرف التجاوز لتضمنه معنى المجاوزة، ولفظ السيئات جامع لكل المعاصي ومخالفات أوامر الله ونواهيه.

قوله (ويغفر لكم) فعل الغفران معطوف على فعل التكفير لذلك جزم، والغفر هو الغطاء، ومنه المغفرة التي توضع على راس المقاتل لاتقاء الضربات، وتعديته باللام للتأكيد.

قوله (والله ذو الفضل العظيم) إخبار وتذييل جامع لكل ما سبق من جعل الفرقان المجعول من الله للمؤمنين والغفران والتكفير باشتراط تقواه سبحانه.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾

قوله (وإذ يمكر بك الذين كفروا) الواو للعطف على قوله (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين)، والظرف (إذ) متعلق بعامل محذوف تقديره: واذكر إذ، والمكر كما قال الراغب: صرف الغير عما يقصده بحيلة. انتهى. ومضارع فعله لاستمراره من المشركين، والباء في (بك) للتعدية، وكاف الخطاب للنبي ﷺ، وأريد بجملة الموصول مشركو مكة.

قوله (ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك) جمل تعليل لجملة المكر، أي: ليحبسوك، والإثبات هو الحبس، قال في المجمع: رماه فأثبته أي حبسه مكانه، وأثبته في الحرب أي جرحه جراحة مثقلة. انتهى.

ويبدو أن الترديد بين الحبس أو القتل أو الإخراج تشاور دار بين مشركي قريش وكبرائها في دار الندوة للمكر بالرسول.

قوله (ويمكرون ويمكر الله) الواو واو الحال، وفي الكلام التفات من خطاب النبي ﷺ إلى خطاب الغائب لبيان رد المكر عليهم لذلك استعمل فن رد العجز على الصدر فأعيد لفظ المكر في عجز الكلام كما بدأت في صدره

بعد أن تكررت أربع مرات، وإيراد فعل المكر بالمضارع لاستحضار الحال.

ونسبة المكر إلى الله من باب المشاكلة في الكلام، والمقصود به إفشال خطط الماكرين من حيث يعتقدون نجاحها، وقد يكون بمعنى إمداد العبد بالنعم لاستدراجه إلى مهلكته، وإمهاله بإقبال الدنيا عليه، ومن هذا المعنى قوله عليه السلام في نهج البلاغة: يا ابن آدم، إذا رأيت ربك سبحانه يتابع عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذره. انتهى.

قوله (والله خير الماكرين) جملة تذييل، وإظهار لفظ الجلالة في موضع الإضمار للتعظيم، وإيراد المعنى بالإخبار بالجملة الإسمية لإرادة ثبوت المعنى والتحذير من رفع ألطافه تعالى عن العبد التي سماها مكرا لأنها تخلية بين العبد وشياطينه من حيث يعتقد رضاه تعالى عنه.

وذكر في معنى مكر قريش أن الله تعالى أطلع نبيه بما بيتوا له من مكيدة الغدر، فخرج ليلا بعد أنام عليا عليه السلام مكانه في الفراش.

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

قوله (وإذا تتلى عليهم آياتنا) الواو لعطف جملة على أخرى لبيان أحوال مشركي مكة، وفعل التلاوة يراد به استظهار الآيات عند قراءتها، وفاعلها قد يراد به النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو غيره من بعض المؤمنين، وحرف الجر في

(عليهم) يدل على علو منزلة الآيات، وضمير (هم) يعود على مشركي مكة، ولفظ الآيات كناية عن كلمات الله النازلة في كتابه العزيز وهي معجزته الخالدة، وإسنادها إلى ضمير التكلم لإرادة تعظيمها.

قوله (قالوا قد سمعنا) جملة جواب (إذا) الشرطية، وضمير الواو في فعل القول راجع إلى مشركي مكة، وحرف التحقيق بـ (قد) لتأكيد عنايتهم بسماع الآيات بسبيل الاستهزاء بها، لا من أجل الإيمان بها.

قوله (لو نشاء لقلنا مثل هذا) الكلام دال على استخفافهم بالآيات، و(لو) أداة فرض، واسم الإشارة بالمذكر فلم يقولوا: مثل هذه، لإفادة إبهامه وإنكاره استخفافا منهم بالآيات المتلوة، ويعنون: أن ما عندهم من الاحتفاء بصناعة الكلام كالشعر والخطابة ما يشبه الآيات، ولكنهم لا يجيبونه لأنهم غير مهتمين بالرد على الخرافات، وقيل: إن قائل ذلك النضر بن الحارث لأنه كان يختلف إلى الحيرة وكان يسكنها كثير من الكتابيين، فيسمع سجع أهلها وكلامهم.

قوله (إن هذا إلا أساطير الأولين) الفصل لإفادة تعليل إعراضهم عن الآيات، والكلام من المشركين إمعان منهم في توهينها، واستعمل القصر بالنفي والاستثناء لإرادة ثبوت الكفر في نفوسهم بأنها آيات نازلة من الغيب، بل ادعوا أنها من أحاديث الخرافات الموروثة من الأمم السابقة، وقد مر الحديث في ذلك في الآية الخامسة والعشرين من سورة الأنعام، وقيل إن قائل هذا الكلام النضر بن الحارث كما تقدم.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾

قوله (وإذ قالوا) بمعنى: واذكر يا محمد، والضمير في (قالوا) يعود على مشركي مكة.

قوله (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك) صيغة الدعاء (اللهم) كانت من استعمالات المشركين أصلها من الأثر التوحيدي قبل أن يدب الشرك إليهم، وأسلوب الشرط بصيغة الدعاء على تقدير ردهم على لسان حال النبي ﷺ: هذا هو الحق من عند الله، ولفظ الإشارة بالقريب لتمييز دين التوحيد، وضمير الفصل لإفادة القصر، ولام الحق قصر ثان على سبيل الحكاية لقول الكافرين، والتعبير بـ (من عندك) باعتبار تأكيد صدور الدين من الله تعالى.

قوله (فأمطر علينا حجارة من السماء) الفاء واقعة في جواب (إن) الشرطية، والإمطار إنزال الشيء من فوق، وغلب في قطرات الماء من المطر، وهو استعارة للكثرة والتتابع تشبيها للحجارة بمطر السماء، وحرف الجر (على) مجاز للاستعلاء والتمكن، وتنكير لفظ الحجارة وتخصيص صدورها من السماء لإرادة معنى آية سماوية على سبيل التحدي بتعجيل العذاب.

قوله (أو ائتنا بعذاب أليم) تحد من المشركين بتخيير ثان بمعنى: أو أنزل علينا أي عذاب آخر، ولذلك نكر لفظ العذاب، ووصفه بالأليم مبالغة يراد به العذاب المؤلم. والكلام دال على رسوخ الكفر في نفوسهم، إذ لو تيقنوا من إنزال العذاب لما طلبوه أن يكون أليما، وقيل قائل هذا الكلام هو أبو جهل بن هشام ورضيه القرشيون، لذلك نسب القول إلى المجموع.

قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ٣٣ ﴾

قوله (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) المعنى: أن تعجيل العذاب باستجابة دعائهم السابق بإنزال العذاب لن يتحقق والنبي ﷺ مقيم بين ظهرانيهم في مكة، وفي ذلك كرامة للنبي ﷺ دل عليه الخطاب بضمير الفصل (أنت)، والظاهر أن المراد بعذاب الاستئصال واجتثاث شأفتهم، ولكن سيكون عذابهم بنحو قتلهم على أيدي المسلمين فيما بعد، وأورد الكلام بأشد النفي، وتسمى اللام المقترن بفعل العذاب بلام الجحود، وجملة (وأنت فيهم) محلها الحال.

قوله (وما كان الله معذبهم) إعادة نفي الكون لتأكيد نفي عذاب الاستئصال عن أمة الإسلام في مستقبل أزمانها على سبيل الإدماج بذكر أمة النبي ﷺ، ودلالة اسم الفاعل للفظ التعذيب الاستقبال.

قوله (وهم يستغفرون) جملة حالية مقيدة لنفي التعذيب، ودلالة المضارع الاستمرار. والاستغفار طلب المغفرة والصفح من الله.

وروي عن الباقر عليه السلام في نهج البلاغة قوله عليه السلام: كان في الأرض أمانان من عذاب الله وقد رفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به، أما الأمان الذي رفع فهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأما الأمان الباقي فالاستغفار قال الله تعالى: (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون). انتهى.

ويبدو من معنى الآية والتي قبلها أنها منقطعة عن الاتصال بسياق الآيات، إذ كيف ينفي تعذيبهم ثم يؤكده كما في الآيات اللاحقة، وربما كانت أنسب بصلة الحارث بن النعمان الفهري الذي طلب تعجيل العذاب، في قوله تعالى (سأل سائل بعذاب واقع)، وسيأتي في موضعه.

قوله تعالى ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

قوله (وما لهم ألا يعذبهم الله) النفي والاستثناء لتأكيد استحقاقهم للعذاب، ويراد به التعجيب بمعنى: لا يملكون شيئا يمنع استحقاق عذابهم.

قوله (وهم يصدون عن المسجد الحرام) جملة حالية لتعليل معنى التعجب من تأكيد استحقاق عذابهم، والصد هو المنع، أي: منع المؤمنين حج بيت الله الحرام أو زيارته.

قوله (وما كانوا أولياءه) نفي توليهم على البيت الحرام وشرعية أمانتهم له، والجملة حالية من (يصدون).

قوله (إن أولياؤه إلا المتقون) تعليل لنفي تولية المشركين على البيت الحرام، وتثبيت معنى تولية المتقين المؤمنين بأحقية الولاية على البيت الحرام، وليس تولية الوراثة، والكلام مؤكد بالقصر.

قوله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) الاستدراك لإفادة نفي علمهم ببطلان ولايتهم على البيت الحرام وأحقية تثبيت ولاية المتقين.

قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

قوله (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) الآية تقوم مقام التعليل لنفي تولي المشركين للبيت الحرام، والمقصود بالصلاة نوع عبادة من الجاهليين، وليس المعنى الاصطلاحي لها، لأنهم لا يعرفون الصلاة أصلا، وقد كانوا من جهلهم يصفقون ويصفرون عند طوافهم بالبيت، والعندية للمكان، ولام البيت للعهد يراد به البيت الحرام، والبيت ما كان تشييده من جص وآجر.

والمُكاء الصفير، وهو من مصادر الأصوات كرغاء وثغاء، وهو مأخوذ من طائر مشهور بالحجاز بشدة صفيره يسمى المَكّاء، والتصدية من الصدى وهو التصفيق، وكلاهما انتصب على الحال.

قوله (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) الفاء لتفريع الأمر على الإخبار، وفعل أمر الإذاقة للعذاب استعارة تهكمية يراد بها شدة مماسته واختلاط ألمه بهم، جزاء لأفعالهم وكفرهم، وتعريف العذاب للعموم شامل لعذاب الدنيا بقتلهم وأسرهم ولعذاب الآخرة، والباء في (بما) للسبب، و(ما) مصدرية، وضي الكون باعتبار رسوخ شركهم، وفي الكلام التفات من الغيبة إلى الحضور لغرض التهديد والتشديد بالوعيد.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

قوله (إن الذين كفروا) الفصل للاستئناف والإخبار عن مشركي قريش كأبي سفيان.

قوله (ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) وإنفاق المال بذله لأجل التحشيد ضد دعوة التوحيد، واللام المقترن بلفظ الصد للتعليل، والصد شدة المنع من اللحاق بسبيل الله وهو دين التوحيد.

قوله (فسينفقونها) الفاء لتفريع إخبار على إخبار، ودلالة مضارع الإنفاق استمرار فعلهم في معاداة الإسلام.

قوله (ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) تفيد (ثم) التراخي في الزمن، أي بعد مدة من الزمن، تكون أموالهم حسرة بما تؤول إليه من خسارة في الكيد والحروب، على سبيل المجاز المرسل باعتبار ما سيكون.

قوله (ثم يغلبون) العطف بـ (ثم) للترتيب الكلامي، أي: يخسر المشركون ما أنفقوا لأن المسلمين ينتصرون عليهم، وفي الآية إخبار بالغيب عجيب، لأنها قررت خسارة ما يعد له كبراء قريش من حروب بعد بدر كأحد والأحزاب باعتبار ما يكون من آثارها التي انتهت بفتح مكة وهزيمتهم، والذي دل عليه فعل الغلبة.

ويظهر من دلالة الآيتين حرمة صد المؤمنين عن بيت الله وجرم منع الوصول إليه، وفي نهج البلاغة قوله ﷺ: الله الله في بيت ربكم، لا تخلوه ما بقيتم، فإنه إنْ ترك لم تنظروا. انتهى.

قوله (والذين كفروا إلى جهنم يحشرون) العطف والتكرار لإرادة ذم اتصافهم بالكفر واستحقاقهم للعذاب يوم القيامة ويقوم مقال التعليل، وتقديم المتعلق (إلى جهنم) لإفادة الاختصاص، والحشر الجمع على سبيل القهر.

قوله تعالى ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٣٧ ﴾

قوله (ليميز الله الخبيث من الطيب) اللام لتعليل حشر الكافرين، والتمييز الفرز الذي سيكون يوم القيامة، والخبيث كناية عن أهل الشرك لفساد نفوسهم، والطيب كناية عن الصالحين الموصوفين بالطيب.

قوله (ويجعل الخبيث بعضه على بعض) تصوير لحشر كثرتهم من كل صنف بإذلال لزيادة تمييزه عن الطيب.

وقوله (فيركمه جميعا) الفاء للترتيب الذكري، استعارة للشيء المجموع بعضه فوق بعض، ويراد به المبتذل غير ذي بال، ولفظ الجميع للتأكيد فلا يفلت منهم أحد، ونصبه على الحال.

قوله (فيجعله في جهنم) الفاء سببية لطريقة جمعهم، لأنه سيحولهم ركاما بشريا إلى جهنم.

قوله (أولئك هم الخاسرون) الإخبار نتيجة لما تقدم من حال المشركين، ولفظ الإشارة لجدارتهم بجزاء الخسران، المؤكد بالجملة الإسمية، وبقصرين هما ضمير الفصل وأل لفظ الخاسرين.

قوله تعالى ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

قوله (قل للذين كفروا) الأمر في (قل) خطاب من الله لنبيه، وجملة الموصول لكفار قريش، والقول تخييران بأسلوب الشرط حكاية عن المعنى جعل فيه الرسول مقررا ومبلغا لرسالة ربه وليس مجرد حامل لرسالة.

وذلك قوله (إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) وهو المقول الأول: عفو من الله لهم مشروط بالكف والانتهاء من الإنفاق من أجل معاداة الله ورسوله وصد المؤمنين عن زيارة البيت الحرام، والضمير في اسم الموصول (ما) بمعنى: يغفر لهم الذي مضى من أعمالهم السيئة المعادية.

قوله (وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين) وهو الخيار الثاني ومضمونه التهديد والوعيد، وفعل العود يراد به الرجوع إلى عنادهم في معاداة الله ورسوله.

والإخبار في جواب الشرط بذكر أخبار الأمم الهالكة السابقة يراد به غاية التهديد، ودلالة فعل المضي توحي بشيوع الخبر، ومضي سنة الأولين قضاء الله فيهم باستئصالهم.

قوله تعالى ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٣٩﴾ ﴾

قوله (وقاتلوهم) الواو عاطفة لاتصال الكلام عن مشركي مكة، وفعل القتال يفيد الأمر من الله بمحاربة المشركين على سبيل التشارك بالمال والقوة، والخطاب التفات للنبي ﷺ، وقومه المؤمنين.

قوله (حتى لا تكون فتنة) تعليل لأمر القتال بأمرين: الأول: تضعيف قتال المشركين كيلا يفتنوا المسلمين باستضعافهم وتعذيبهم لإجبارهم على ترك التوحيد.

قوله (ويكون الدين كله لله) الواو لأنه تعليل ثان وهو خلوص الدين الكامل بتوحيد الله ونفي دين الوثنية بالقول بشركة الله، ولام الدين للجنس، وكونه لله بمعنى نفي كل دين غير دين التوحيد، وهو دين الإسلام والتسليم لله.

قوله (فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير) الفاء لتفريع الأمر على التعليل، والمعنى: إن كفوا عن القتال فعندئذ يحكم الله بما يناسب جزاءهم فالله بصير بها، وإضمار العفو في الجزاء لإفادة إبقاء المشركين في حال اختبار، والباء في (بما) متعلق بلفظ البصير، و(ما) اسم موصول، وتقديم الظرف للاهتمام، والبصير مبالغة في العلم.

قوله تعالى ﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾

قوله (وإن تولوا) الكلام كناية عن احتمال رفض المشركين الكف عن القتال والفتنة.

قوله (فاعلموا أن الله مولاكم) الفاء واقعة في الجزاء، وفعل أمر العلم لتنبيه المخاطبين، والتصريح بالألوهية يفيد معنى التأييد من الله والبشارة بالظفر دائما. ولفظ المولى بمعنى المالك والناصر المؤيد، والخطاب فيه للمؤمنين، والإخبار يفيد غاية التهديد للمتولين عن الله، وتمام التأييد للمتولين لله.

قوله (نعم المولى ونعم النصير) جملة ثناء من الله على نفسه، ضمت اسمين من أسماء الله الحسنى.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١ ﴾

قوله (واعلموا أنما غنمتم من شيء) الواو لرجوع الكلام عن ذكر الغنائم وما أنزل الله بالمشركين من خزي الهزيمة ببدر، وفعل أمر العلم يفيد التنبيه من الغفلة.

والأداة (أنما) للقصر. وفعل الغنم كما قال الراغب: إصابة الفائدة من عمل أو حرب مأخوذ من الظفر بالغنم، ثم استعمل لكل مظفور به من جهة العدى. انتهى. ودلالة زيادة حرف الجر (من) تقوية عموم الغنائم وليس يعني حصرها بأنفال بدر فحسب، وتنكير لفظ الشيء للعموم.

قوله (فإن لله خمسه وللرسول) الفاء في معنى تقدير الشرط، أي: إن غنمتم شيئا فلله خمسه، وتقديم لفظ الجلالة لإظهار العناية وتعظيم حق الله، والموارد الخمسة المذكورة في إخراج حق الخمس ـ بعد إخراج حق الله تعالى يصرفه نبيه ـ حقيقية ليست لضرب المثل وهي: حق الرسول، وذو القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، والمقصود بذي القربى القريب من الرسول بالنسب، واليتيم كل صغير مات عنه أبوه.

قوله (إن كنتم آمنتم بالله) وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان) قيد لفعل الأمر بإخراج الخمس، فقد تعلق الإيمان بالله للمؤمنين بإخراج حق الله ورسوله بالغنائم.

وقوله (وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان) العطف تعليق ثان بمعنى: وآمنتم بما أنزلنا على عبدنا، وتخصيص فعل الإنزال بيوم الفرقان دال على وعد الله لنبيه ببشارة النصر في قوله (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم) [الأنفال ٧]، والفعل استعارة لما ينزل من تبليغ بالوحي من مقام العلو، وحرف الجر (على) يفيد تمكن الإنزال بمعنى تعظيم القرآن ورفعته.

والالتفات بضمير التكلم في لفظ (عبدنا) للطف عناية الله بنبيه ﷺ، ومعنى يوم الفرقان الإشارة إلى يوم بدر، الذي فرق به بين الحق والباطل، أو بين الكفر والإيمان، وإضافة لفظ اليوم إلى الفرقان لتمييزه وتعظيمه فهو أول يوم ظهر فيه نصر المسلمين على المشركين، وهو جار على عادة العرب في تمييز الأيام العظيمة، وفي الكلام إظهار لامتنان الله على المسلمين من

أجل الالتزام بأوامره سبحانه بشأن الغنائم، وفيه أيضا تخلص فريد إلى التذكير بالالتقاء العجيب يوم بدر.

قوله (يوم التقى الجمعان) إعادة ذكر لفظ اليوم تخلص فريد للتذكير بالالتقاء العجيب لجمع المسلمين وجمع المشركين يوم بدر للحرب، وتعريف لفظ الجمعين للعهد الذكري.

قوله (والله على كل شيء قدير) جملة تذييل جامعة لمعاني ما سبق، وهي إخبار يراد به تأكيد قدرة الله على حل ما يستعصي من أمور، إشارة إلى عظيم قدرته في تمكين المسلمين من المشركين ببدر. وتقديم المتعلق على عامله للاهتمام.

قوله تعالى ﴿ إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾

قوله (إذ أنتم بالعدوة الدنيا) الجملة متعلقة بقوله (يوم التقى الجمعان)، و(إذ) الظرفية بمعنى: زمن أو وقت أنتم بالعدوة الدنيا، والمراد تذكير المسلمين بموقفهم الحرج الذي وجدوا أنفسهم فيه وجها لوجه مع جمع المشركين

الكثير عدة وعددا، بينما هم قلة قليلة، ولذلك اهتمت الآية بذكر تفاصيل الموقف وأسماء الأماكن.

والعدوة بتثليث العين والأفصح الضم والكسر هي الوادي ويراد بها شاطئ وادي بدر، وقد كان المسلمون بالعدوة القريبة من جهة المدينة، ولذلك وصفت بالعدوة الدنيا، بينما كان المشركون بالعدوة التي من جهة مكة فهي قصوى بالنسبة لموقع بلد المسلمين، وإنما ذكرت هذه التفاصيل لِما فيها من بعد نفسي في سير المعركة، فالموقع الجغرافي لجيش المشركين كان أفضل وأمكن من المسلمين، لأن الطرفين أرادا بلوغ آبار بدر فصادف أن نزل المسلمون أرضا كثيبا دهسا وهي العدوة الدنيا، بينما المشركون نزلوا أرضا صلبة يسهل المشي فيها هي العدوة القصوى، فاغتم لذلك المسلمون، فأرسل الله الماء من السماء، فتلبدت أرض المسلمين وسهل لهم المشي فيها، بينما أوحلت أرض المشركين فأبطأت حركتهم، فوصل المسلمون الماء قبلهم، فرووا واتخذوا الحياض منه قبل غيرهم.

والضمير (وهم بالعدوة القصوى) ضمير الفصل إشارة إلى جمع المشركين، والقصوى البعيدة بالنسبة لجهة المسلمين.

قوله (والركب أسفل منكم) الركب جمع راكب، وأصله ركوب الإنسان على ظهر الحيوان لسفر وتنقل، وأريد بلفظ الأسفل كون القافلة غيرت مسارها إلى طريق ساحل البحر بعيدا عن تعقب المسلمين لهم.

والمعنى: أريد به قافلة قريش التجارية التي قادها أبو سفيان وهي راجعة من الشام إلى مكة، لما بلغه خروج المسلمين لتلقّيه غيّر طريقه من المرور ببدر إلى طريق السهول المنخفضة من جهة البحر للنجاة بالعير، فكأن المسلمين صاروا بين جمع أبي سفيان وعددهم أربعون رجلا وبين العدوة القصوى من جمع المشركين، فلو علم المشركون ذلك لأطبقوا على المسلمين ولكنّ الله صرفهم عن التفطّن لذلك، وصرف المسلمين عن ذلك لأنهم أصلا خرجوا إليهم.

قوله (ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد) جملة افتراض لبيان كمال قدرة الله في توقيت الأقدار، أي: لو اتفق الطرفان المسلمون والمشركون على موعد لقائهم لاختلفوا في ضبط توقيته على هذا النحو الذي قدّره الله تعالى.

قوله (ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا) الاستدراك بـ (لكن) لإفادة التعليل بإنجاز أمر الله وهو النصر على المشركين، وتنكير لفظ الأمر للتعظيم، وهو أمر حتمي مقدر له بالحصول في علم الله وقضائه، وجملة مضي الكون موقعها الصفة للأمر.

قوله (ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة) الجملة التعليلية بدل من قوله (ليقضي الله)، وفعل الهلاك استعارة لهزيمة الكفر وذهاب شوكتهم، ولفظ فعل الحياة استعارة لنصر الإيمان ونهوض الأمة، وحرف الجر(عن) للمجاوزة المجازية بمعنى بعد، والبينة الحجة الواضحة

والبرهان الجلي، ومحل الظرف مرتين النصب على الحال، أي: عن حجة واضحة بتأييد الله لأوليائه وخذلانه لأعدائه.

قوله (وإن الله لسميع عليم) تذييل بالإخبار المؤكد بالجملة الإسمية بـ (إن) ولام التوكيد لثبوت معنى استجابة الله لاستغاثة المسلمين وعلمه بما انطوت عليه السرائر من كراهة ورغبة في الحرب والمغانم.

قوله تعالى ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾

قوله (إذ يريكهم الله في منامك قليلا) العامل في (إذ) الظرفية محذوف تقديره: واذكر، وفعل الإراءة بمعنى رؤيا المنام، وإسنادها إلى الله لأنه وحي لا أخلاط أحلام كباقي الناس، وضمير المخاطب راجع إلى النبي ﷺ وهو المفعول الأول، وضمير جمع الغائبين في الفعل العائد إلى المشركين هو المفعول الثاني، ونصب لفظ القلة على الحال.

وكان الله تعالى أرى نبيه في المنام يوم وقعة بدر أن جيش المشركين قليل عددهم لتوهين شأنهم، وأخبر المسلمين بذلك لإلهاب حماسهم، فكانت تلك الرؤيا سببا لنصرهم، وإنما أراه الله في المنام من دون الحقيقة لأن صور المرائي رموز لمعانيها في المنامات، فكانت القلة رمزا للوهن وليست قلة العدد.

قوله (ولو أراكهم كثيرا لفشلتم) جملة الفرض لإظهار امتنان الله على نبيه والمؤمنين، أي: لو أراكهم الله رؤيا مماثلة للأعين من جهة حقيقة كثرة العدو لدخل قلوب المسلمين الضعف والإرباك، وفعل الإراءة متعد إلى مفعولين كما في الجملة الأولى، ونصب لفظ الكثرة على الحال.

قوله (ولتنازعتم في الأمر) أي: ولاختلفتم بينكم في تثبيت خطة قتال الأعداء، لكثرتهم وقلة عددكم.

قوله (ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور) الاستدراك رفع ما فرض في قوله (ولو أراكهم كثيرا)، والتصريح بلفظ الجلالة فلم يقل: ولكنه سلم، لزيادة إسناد ذلك إلى الله وأنه جرى بعنايته، وفعل التسليم بمعنى: سلمكم من الفشل والتنازع بأن سلمكم من سببهما، والإخبار في الفاصلة تذييل يراد به ثبوت معنى علم الله بما يقع في النفوس من خوف وهلع من رؤية كثرة جمع المشركين، و(ذات الصدور) أريد بها النوايا والخواطر التي محلها الصدور، مجاز مرسل بعلاقة المحلية أطلق المحل وأراد الحال فيه، على طريقة العرب في استعمال القلوب والصدور للإدراكات الباطنية والعقلية للإنسان.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾

قوله (وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا) العطف على (إذ يركمهم الله) لإظهار الامتنان على المسلمين، وفعل الإراءة تعدى إلى مفعولين المخاطبين وهم المسلمون، والغائبين وهم المشركون، والفاعل الله، و(إذ) الثانية بمعنى: حين، وجملة الالتقاء بمعنى مواجهة الفريقين للقتال التي تستوجب رؤية بعضهم بعضا، وجملة الظرف معترضة بين جملة فعل الإراءة ومتعلقها من الحال في لفظ القلة، وتقدم (في أعينكم) للاهتمام، والمراد: إن الله أرى المسلمين كثرة أعدائهم قليلة في أعينهم.

قوله (ويقللكم في أعينهم) العطف لأن الكلام ضمن منة الله على المسلمين في وقت الحرب، والتقليل للعدد، وفعل الإراءة هنا بصرية حقيقية لكلا الفريقين، فأراهم في أعين بعض قليلي العدد، وإسنادها إلى الله تعالى لأنه قلل المشركين في أعين المسلمين، ولذلك عُدِّي فعل الإراءة إلى ضمير المسلمين، بينما في إراءة المنام عُدِّي إلى النبي ﷺ، والغاية من تخيل القلة للطرفين مختلفة، فهي للمسلمين داعية لتشجيعهم على تسعير حماسهم وبأسهم، بينما بالنسبة للمشركين مثبطة لعزائمهم ومبردة لغليان قلوبهم كونهم سيحدثون أنفسهم بأن القضاء على المسلمين سيكون بأدنى تعب وقتال.

وينبغي ملاحظة أن رؤية بعضهم لبعض بتخيل القلة كانت وقت بدء اللقاء بدلالة (إذ التقيتم)، وذلك لا ينافي رؤية المشركين بتخيل كثرة المسلمين في قوله تعالى الآنف في سورة آل عمران (قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين) [١٣]، لأنها

تشير إلى ما بعد الزحف والاختلاط، فذلك أدعى إلى إدخال الهلع في نفوسهم بسبب المفاجأة وخيبة التصور حين اعتقدوا أول وهلة أنهم قلة قليلة يمكن القضاء عليها وحين اختلطوا ببعض تفاجأوا بكثرة المسلمين.

قوله (ليقضي الله أمرا كان مفعولا) الجملة تعليل لفعل الإراءة، وهو لإنفاذ أمره تعالى في نصر أوليائه وخذل أعدائه.

قوله (وإلى الله ترجع الأمور) إخبار متضمن معنى التعليل لكل ما سبق، وهو أن الأمور كلها راجعة إلى تقديره تعالى وإنفاذ قضائه فيها، وكان قد قضى سبحانه بنصر نبيه وهزم أعدائه، وفي تقديم الظرف إفادة الاختصاص، أي: إلى الله لا إلى غيره ترجع الأمور، وإظهار لفظ الجلالة في موضع إضماره للتعظيم.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا) النداء بالصفة الإيمانية لغاية تهيئتهم لما بعدها، لذلك ستأتي الأوامر وصايا حربية وتوجيهية للمسلمين.

قوله (إذا لقيتم فئة فاثبتوا) أمر بعدم الفرار من العدو وقت المواجهة، واللقاء مجاز في القتال، والفئة الجماعة، وتنكيرها لإفادة معنى العموم، والفاء المقترن لفعل الثبات واقعة في جواب (إذا) الشرطية، والثبات كناية عن البقاء في المعركة وعدم الفرار من مواجهة العدو.

قوله (واذكروا الله كثيرا) أي: واذكروا الله تعالى الذكر القولي باللسان، والذكر الباطني بالجنان كثرة تناسب شدة التلهف والاستغاثة به سبحانه في اشتداد الحرب، ونصب لفظ الكثرة على الحال.

قوله (لعلكم تفلحون) جملة تعليل لأمر الذكر، أي: رجاء أن تظفروا بالنصر على عدوكم.

قوله تعالى ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦ ﴾

قوله (وأطيعوا الله ورسوله) العطف لتواصل الأوامر الإلهية للمؤمنين، وأمر الطاعة لله ورسوله هنا مخصوصة بطاعة الأوامر الجهادية والوصايا الحربية والقتالية.

قوله (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) والنهي عن التنازع والاختلاف للحفاظ على وحدة صف المسلمين، لذا عللها بضعفهم وذهاب قوتهم ودولتهم، فالفاء المقترن بفعل الفشل لتفريع التعليل على النهي.

ولفظ الريح استعارة للغلبة، قال الراغب: كأن من شان الريح أن تحرك ما هبت عليه وتقلعه وتذهب به، والغلبة على العدو يفعل به ما تفعله الريح بالشيء كالتراب فاستعيرت لها. انتهى.

قوله (واصبروا إن الله مع الصابرين) الأمر بالصبر ليس تكرارا لأمر الثبات، فالفرق بينهما فرق عموم وخصوص، فالثبات أعم من الصبر، والصبر ثبات خاص، وتأكيده بالإخبار لما يقوي العزائم ويشد القلب، وفصل جملة (إن) لتعليل الأمر بالثبات، ومعية الله للصابرين معية تأييد وإظهار.

قوله تعالى ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٤٧﴾ ﴾

قوله (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم) النهي يراد به عدم التشبه بطريقة المشركين الذين خرجوا إلى الحرب وأخرجوا معهم القيان والراقصات والدفوف للهو والبطر، فلا هدف لهم ولا عقيدة، إذ كل همهم منع الناس من الإيمان بدين التوحيد.

قوله (بطرا ورئاء الناس) نصب لفظ البطر على الحال ونصب لفظ الرئاء لأنه معطوف على الحال، والبطر يقارب الطرب في خفة العقل، قال الراغب: البطر دهش يعتري الانسان من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقها وصرفها إلى غير وجهها. انتهى. ولفظ الرئاء من الإراءة وهي النفاق، لأن فاعله يفعل الأمر لإراءة الناس فإذا خلي وحده لم يفعله.

قوله (ويصدون عن سبيل الله) العطف يفيد وقوع الجملة على الحال، أي: صادين عن سبيل الله، أي: يمنعون الناس من اللحاق بدين التوحيد.

قوله (والله بما يعملون محيط) جملة تذييل، والإخبار بإحاطة علم الله بعمل المشركين مضمونه الوعيد والتهديد.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾

قوله (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم) وتزيين الشيطان للمشركين يكون بتصوير أعمالهم الباطلة حقا، وإغرائهم على المضي في حرب المسلمين، فقد قيل: إنه تصور بصورة إنسان قالوا عنه إنه بصورة سراقة بن مالك، يغريهم ويحرضهم على قتال المسلمين، وهو ما يدل عليه القول المحكي عنه (لا غالب لكم اليوم من الناس) أي: لا غالب لكم من المسلمين، ومقاله تفسير لمعنى التزيين.

قوله (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس) القول المحكي عن الشيطان تفسير لمعنى التزيين أي: لا غالب لكم من المسلمين، والتأكيد بلفظ اليوم للتعيين وهو يوم بدر.

قوله (إني جار لكم) إغراء آخر لهم من الشيطان على عادة الجاهلية في نصرة الجار.

وقوله (فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه) الفاء للتعقيب الذكري، وفعل الرؤية استعارة للقرب، أي: التقت الفئتان حتى صارت من القرب أحدهم يرى الآخر، والنكوص الانقلاب والرجوع، والعقبان مؤخرا القدم، يظهران حين يدبر المدبر، والصورة كناية عن هزيمة الشيطان.

وقوله (وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون) مقال الشيطان بالتبرئة من المشركين، لأنه رأى ملائكة النصرة فتيقن هزيمة أتباعه من المشركين.

قوله (إني أخاف الله والله شديد العقاب) فصل الكلام لأنه تعليل لفعل التبري، وهو خوفه من عذاب الله وهو التعليل الأول، وعقابه الشديد الذي ينتظره يوم القيامة وهو التعليل الثاني، وإظهار اسم الله في موقع الإضمار للتعظيم.

قوله تعالى ﴿ إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٤٩ ﴾

قوله (إذ يقول المنافقون) قيل عن المنافقين إنهم فئة ظاهرها الإيمان أسلموا بمكة واحتبسهم آباؤهم واضطروا للخروج مع المشركين، ويمكن أن يكون المراد بالمنافقين فئة من صفوف المسلمين.

قوله (والذين في قلوبهم مرض) جملة الموصول كناية عن المنافقين في المدينة، فقد تردد هذا التعبير في القرآن عنهم كثيرا، والمرض استعارة بالكناية عن المنافقين بجامع خفاء العلة ورسوخها.

قوله (غر هؤلاء دينهم) الكلام من قول المنافقين حين شاهدوا قلة المسلمين بمعنى: خدعهم دينهم ودفعهم إلى الموت، على الاستخفاف بالمسلمين، وأسند فعل الإغراء إلى الدين على سبيل المجاز العقلي بعلاقة المسببية، ولفظ الإشارة للاحتقار.

قوله (ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم) أي: ومن يفوض أمره إلى الله فإن الله ناصره، وإضمار المعنى في جواب الشرط بصيغة الإخبار لإفادة التسليم بمعناه لتحقيقه وثباته، أي: قد أخطأ هؤلاء في تقديرهم، فمن يتوكل على الله فالله يعزه بعزه وينصره بنصره.

قوله تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾

قوله (ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) الخطاب في جملة الفرض للنبي ﷺ لبيان كثرة قتلى المشركين، والتوفي هو قبض الروح، والكلام مقامه التعليل لما سبق من عز التوكل على الله، وتعريف الملائكة للعهد أي الملائكة الموكلون بقبض الأرواح.

قوله (يضربون وجوههم وأدبارهم) الجملة محلها الحال من فعل التوفي، والكلام كناية عن إذلال الملائكة للمشركين بضربهم من كل مكان، وخص ذكر الوجوه والأدبار إمعانا في تحقيرهم.

قوله (وذوقوا عذاب الحريق) العطف على الحال بتقدير: قائلين لهم ـ أي الملائكة ـ ذوقوا عذاب الحريق، على سبيل التهكم بالمشركين والاستهزاء، والحريق اشد النار.

قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٥١ ﴾

قوله (ذلك بما قدمت أيديكم) الكلام تتمة لقول الملائكة السابق، ولفظ الإشارة بمعنى: ذلك الأمر بتذوق النار جزاء لأفعالكم، والباء في (بما) يفيد السبب، و(ما) مصدرية، وتقديم الأيدي كناية عن أفعالهم السابقة في الشرك ومحاربة الله ورسوله.

قوله (وأن الله ليس بظلام للعبيد) جملة تعليل بمعنى: لأن الله ليس بظلام للعبيد، والنفي مشدد بنفي لازم المبالغة في الظلم، وهو كثرة عدله في حسابه.

قوله تعالى ﴿ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٥٢ ﴾

قوله (كدأب آل فرعون) التمثيل بآل فرعون والأمم الكافرة السابقة لتقريب المعنى، إذ أهلكهم الله بعد أن استكبروا واستعلوا، والدأب هو الديدن والعادة والطريقة.

قوله (والذين من قبلهم كفروا بآيات الله) العطف بمعنى: كدأب الأمم السابقين لآل فرعون الموصوفين بجحود معجزات الله ودلائل توحيده.

قوله (فأخذهم الله بذنوبهم) الفاء لتفريع الإخبار على التشبيه بعواقب الأمم الكافرة، وفعل الأخذ كناية عن إهلاك الله لهم بعذاب الاستئصال، والمراد تهديد مشركي مكة بالمثل، والباء المقترن بلفظ الذنوب للسبب، أي مجازاة لأعمالهم.

قوله (إن الله قوي شديد العقاب) الفصل لتعليل فعل الأخذ، وهو إنه تعالى قوي لا يقهر، شديد في إنزال عقابه بالكافرين.

قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٥٣ ﴾

قوله (ذلك) لفظ الإشارة لتهويل أخذ الله الكافرين بالهلكة، أي: ذلك الأخذ من الله، فهو تعليل ثان لفعل الأخذ.

قوله (بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم) الباء بمعنى اللام، أي لأن الله، وجملة (أن) تفسير للتعليل، وهو أن زوال النعم بسبب أفعال العباد

الجاحدين، فتغيير نعم الله مجاز لرفعها عنهم وإبدالها بالنقم، والنعمة لفظ جامع لإفضال الله ومننه وخيراته على العبد، وإفرادها للتعظيم والعموم، والاشتقاق بفعل الإنعام للتذكير بأن أصلها من الله وتحويلها بسبب عصيان العبد، وتنكير لفظ القوم للعموم.

قوله (حتى يغيروا ما بأنفسهم) تفيد (حتى) ابتداء الغاية، وتغيير أنفس القوم مجاز في جحودهم لنعم الله بالكفر به، وتكرار فعل التغيير من المشاكلة في الكلام، لأن المجاز في تغيير الله يختلف عن مراد المجاز في تغيير أنفسهم كما تقدم.

قوله (وأن الله سميع عليم) العطف لإفادة التعليل الثاني، وهو إن الله تعالى سميع لكل جحود، وعليم بكل خفي، قال ابن عاشور: وفي تقديم السميع على العليم إيماءة إلى أن التغيير الذي أحدثه المعرّض بهم متعلق بأقوالهم وهو دعوتهم آلهة غير الله تعالى. انتهى.

قوله تعالى ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾

قوله (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم) أي دأبهم كدأب آل فرعون، وإعادة التشبيه بذكرهم لتأكيد التهديد بسبب نزع الله النعم وإحلال النقم محلها.

قوله (كذبوا بآيات ربهم) كنى عن صريح كفرهم المذكور في الآية السابقة بتكذيبهم بآيات الله إمعانا في تبيان حال الكافرين، والمراد بالآيات الكناية عن الحجج والبراهين الإلهية من إرسال الرسل وإنزال المعجزات.

قوله (فأهلكناهم بذنوبهم) عدل في الكلام من الغيبة في قوله (فأخذهم) في الآية السابقة إلى ضمير التكلم لتأكيد الإهلاك بسبب أعمالهم وعنادهم على الكفر.

قوله (وأغرقنا آل فرعون) وإنما أظهر المفعول الإغراق فخص آل فرعون بالذكر لأمن اللبس حتى لا يعود الضمير عليهم جميعا فيما لو قيل: وأغرقناهم.

قوله (وكل كانوا ظالمين) أي: يدخل في عمومه كفار قريش وآل فرعون والظلمة من الأمم السابقة، كل أخذهم الله بذنوبهم.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٥٥ ﴾

قوله (إن شر الدواب عند الله) استمرار الكلام فيما يتصل بالحرب من أحكام وعهود في السلم والمعاهدات، والاستئناف الجديد يرجح نزول الآية والتي بعدها بعد وقعة بدر وقبل الأحزاب، إذ لا صلة مع ما قبلهما.

ولفظ الشر يراد به اسم التفضيل بمعنى: أشر، ولا يخلو تعريف الدواب من التعريض بالمشركين، وإن كان في اللغة يعني كل ما يتحرك من الحيوان والإنسان ولكنه بحكم العرف أصبح يعني ما يدب من ذوات الأربع، وظرف العندية بمعنى العلم، وتقديم جملة الخبر لإفادة مزيد اختصاص الشر بهم والياس منهم، لأن أصل الكلام: إن الذين كفروا شر الدواب عند الله.

قوله (الذين كفروا) الجملة اسم (إن) المؤخر، والإتيان بجملة الموصول وصلته لإفادة تعليل الإخبار عنهم بشر الدواب.

قوله (فهم لا يؤمنون) الفاء لعطف صلة على صلة لإفادة استمرار كفرهم بعد سماعهم لدعوة الإيمان وأنهم جديرون بوصفهم أشر الدواب.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

قوله (الذين عاهدت منهم) اسم الموصول بدل من قوله (الذين كفروا)، وفعل المعاهدة فعل مشاركة يدل على اتفاق الطرفين الموثق بالقسم ونحوه على بنود متفق عليها بينهما، وحرف الجر (من) في (منهم) ابتدائية وتدل على الإلزام، كما يقال: أخذت منك عهدا، وضمير جمع الغائبين عائد إلى يهود المدينة كبني قريضة وقينقاع وبني النضير فقد عرفوا بنقض العهود.

قوله (ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون) تفيد (ثم) العطف الترتيبي، وفعل النقض يراد به خيانة العهد، و(في) للظرفية المجازية، ولفظ الكل للعموم، ولفظ المرة لتكرار النقض مرة بعد مرة، ومحصل المعنى: إن الموصوفين بشر الناس هم الموصوفون بالكفر وعدم الإيمان واستمرار نقض العهد ونفي التقوى، وهؤلاء هم يهود المدينة.

قوله تعالى ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

قوله (فإما تثقفنهم في الحرب) الفاء للتفريع، و(إما) أداة شرط، والخطاب للنبي ﷺ ، وفعل التثقيف يراد به الظفر في إمساكهم في المعركة، قال الراغب: الثقف هو الحذق في إدراك الشيء وفعله ومنه استعير المثاقفة، ورمح مثقف أي مقوم وما يثقف به الثقاف، ويقال ثقفت كذا إذا أدركته ببصرك لحذق في النظر ثم يتجوز به فيستعمل في الادراك وإن لم تكن معه ثقافة. انتهى.

قوله (فشرد بهم من خلفهم) الفاء واقعة في جواب (إما) الشرطية، وفعل التشريد معناه التفريق، وتضعيفه للمبالغة، والمراد من المعنى المضمر: التنكيل بمن أمسك وأدرك من الكافرين الموصوفين بما سبق من الآيات تنكيلا يبعث الرعب والهلع في نفوس الباقين من أتباعهم فيحملهم على الهزيمة والتفرق، وإنما كانت الآية شديدة في معناها لأنها تتعلق بأصل

وجود الإيمان والمؤمنين كون هؤلاء الأعداء محاربين مشهرين سلاحهم بوجه دعاة التوحيد وأهله، والباء في (بهم) للسبب، وضمير جمع الغائبين عائد إلى المشركين الممسوكين، و(من) اسم موصول ولفظ الخلف بمعنى الكافرين الذين أفلتوا، والجملة محلها المفعول لفعل التشريد.

قوله (لعلهم يذكرون) جملة تعليل لجملة التشريد، رجاء أن يعتبر الكافرون فيرجعوا إلى صوابهم.

قوله تعالى ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾

قوله (وإما تخافن من قوم خيانة) العطف لتبيان عرض الاحتمالات بأسلوب الشرط، والخطاب للنبي ﷺ ولقومه من خلاله، ويراد بالخوف الحذر من العدو مما قد يبدو من علامات الخوف والارتياب، وتنكير لفظ القوم يراد به العموم أي كل قوم، والخيانة نقض العهد وخيانة الأمانة.

قوله (فانبذ إليهم على سواء) النبذ هو الإلقاء والطرح، وهو كناية عن إخلاء الالتزام بالعهد، والمراد: إن ارتبت من نقضهم للعهد ألق إليهم عهدهم وأخبرهم أنك في حل منه لتكونوا على السواء من المعاملة بالمثل، ويفيد الجر (على) معنى الاستعلاء، والسواء الاستقامة والاعتدال، والمراد تمثيل من يمشي على طريق مستقيمة لا التواء فيها ولا ارتياب، والجملة وصف لمفعول مطلق بمعنى: انبذ إليهم نبذا.

قوله (إن الله لا يحب الخائنين) تعليل لأمر النبذ، بأن الله لا يحب الخائنين، ونفي الحب عن الله مجاز في عقابه للخائنين، وفي الإخبار بالجملة الإسمية مزيد من الثبوت والتمكن للمعنى، وفي الآيتين تقرير إلهي واضح لنبيه وملخصه:

الأول: يبطل العهد بين الطرفين أصلا في حال نقضه بالاعتداء، فيقاتلون وينكل بهم ليكونوا عبرة لغيرهم.

الثاني: يلغى العهد في حال ظهور علامات الخوف والارتياب من العدو في صونه ويعلم بإلغائه قبل قتالهم.

الثالث: حفظ العهد إذا ما صانه الطرف الآخر.

قوله تعالى ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

قوله (ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا) الكلام تسلية للنبي ﷺ وتطييب لخاطره، على ما فعل بنو قريضة من خيانة وما تفلت بعض المشركين من قبضة الهلاك، ونفي الحسبان بمعنى نفي الظن، ولفظ السبق استعارة للنجاة من الموت.

قوله (إنهم لا يعجزون) تعليل بأسلوب الإخبار المؤكد لطمأنة المسلمين يتضمن وعيدا للكافرين بالتمكن منهم وإهلاكهم، ويعجزون بمعنى يوجدون العجز، أي: إن نجاتهم مؤقتة ولن تصيّر المسلمين عجزة عن القضاء عليهم.

قوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠ ﴾

قوله (وأعدوا لهم ما استطعتم) الواو للعطف لاتصال الكلام عن الكافرين والخائنين، والخطاب للمجموع، ولاة وغير ولاة، لأن الأمر يحتم استعداد الجميع لما يداهم وجودهم خطر الأعداء الذين أشير إليهم بالضمير في (لهم)، والإبهام في اسم الموصول (ما) للإشارة إلى إعداد نهاية الجهد وغاية الأمر للأعداء.

قوله (من قوة) الظرف محلها النصب على المفعول، والمعنى: أعدوا لهم كل قوة ممكنة، وحرف الجر (من) زائد لتأكيد العموم، والقوة بمعنى أسبابها، وتنكيرها للعموم.

قوله (ومن رباط الخيل) مبالغة في كثرة تهيئة أدوات الحرب كالخيل ونحوه، والربط والرباط والمرابطة كناية عن أخذ المبادرة والزمام في حماية الثغور وسمي مكان ربط الفرس بالرباط.

قوله (ترهبون به عدو الله وعدوكم) تعليل لأمر الإعداد، والإرهاب شدة الرهبة والرعب بجعل الغير راهبا خائفا، وتكرار لفظ العدو وإضافته إلى

الله أولا ووصله بإضافته إلى أنفس المسلمين لإفادة تهييج الحماس في النفوس وإلهاب البأس فيها.

قوله (وآخرين من دونهم لا تعلمونهم) كناية عن المنافقين المتخفين بظاهر الإيمان فلا يعلم حالهم الناس، والظرف بقوله (من دونهم) لإفادة تمييز المنافقين عن الظاهرين بالكفر، وجملة نفي العلم وصف للفظ الآخرين.

قوله (الله يعلمهم) فصل الجملة للإخبار المتضمن معنى تهديد هؤلاء الآخرين، وتقديم المسند إليه ـ لفظ الجلالة ـ على الخبر الفعلي لتقوية معنى الخبر وتأكيده.

قوله (وما تنفقوا من شيء) الواو عاطفة، و(ما) اسم شرط، وفعل الإنفاق يقال في بذل النفس والمال وهو الأساس للإعداد للقوة، وحرف الجر (من) زائد لتأكيد العموم، وتنكير لفظ الشيء للعموم.

قوله (في سبيل الله) أي: في سبيل دعوة التوحيد، التي كنى عنها التعبير القرآني بالسبيل لأنها خير سبيل موصول إلى رضوان الله ونعيمه، ونسبة اللفظ إلى اسم الله لتعظيمها.

قوله (يوف إليكم) فعل التوفية جزم لأنه جواب (ما) الشرطية، والتوفية تعني أخذ الشيء بتمامه، وهي استعارة للجزاء على الإنفاق، وأتي به بالفعل المبني للمفعول لإرادة معنى الثواب في الجزاء.

قوله (وأنتم لا تظلمون) جملة حالية، بمعنى تأخذون ما أنفقتم كاملا وافيا من دون نقيصة، فسمى النقص ظلما لأن الظلم نقص الحق.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١ ﴾

قوله (وإن جنحوا للسلم) واو العطف على توجيهات شؤون الحرب وأوامرها للشروع بإتمام فائدة الكلام عن السلم، وفعل الجنوح بمعنى الميل المتقصد مأخوذ من الطائر يميل بجناحه إذا قصد النزول والسكون، واللام المقترن بلفظ السلم للتعدية، والسلم والسلام واحد وهو نقيض الحرب، ولذلك أنث رغم أن حقه التذكير.

قوله (فاجنح لها) الفاء واقعة في جواب (إن) الشرطية، والأمر في فعل الجنوح خطاب للنبي ﷺ، وإعادة اللفظ ذاته لإرادة معناه، أي: أن يكون السلم واقعا من رغبة حقيقية وليس للخداع وكسب الوقت، واللام في (لها) للتأكيد لأنها بمنزلة حرف الجر (إلى).

قوله (وتوكل على الله) الأمر بالتوكل كون الله الضامن في الحالات كلها الحربية أو السلمية.

قوله (إنه هو السميع العليم) الإخبار علة لأمر التوكل، وهو أنه تعالى السميع لكل ما يسمع، والعليم لكل ما يخفى، فالتفويض إليه مفض إلى السلامة، لأنه المحيط بكل شيء، والكلام مؤكد بأشد التأكيدات لتحقيقه

وثبوته كالجملة الإسمية وفيه قصران ضمير الاختصاص، ولام السميع، والسميع العليم صيغتا مبالغة في المعنيين.

قوله تعالى ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ ﴾

قوله (وإن يريدوا أن يخدعوك) فعل الشرط على افتراض أن السلم منهم رغبة في الخديعة لا رغبة فيه، وخوطب بفعل الخداع النبي ﷺ لأنه ولي أمر المسلمين، وليكون سبيلا للتخلص إلى ذكر الله بتأييده بالظفر والنصر، وفعل الإرادة إشارة إلى الرغبة القلبية من الكافرين في فعل الخديعة، لذلك جعلت شرطا لترتيب الأثر عليه.

قوله (فإن حسبك الله) إخبار بالجملة الإسمية المؤكدة أقامها مقام الجزاء، وتقدم فيها الخبر (حسبك) للعناية والاهتمام، أي: يكفيك ربك.

قوله (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين) جملة تعليلية لكفاية الله له، وضمير الفصل للقصر، ولفظ النصر إشارة إلى نصره تعالى ببدر، وإضافته إليه سبحانه للإشارة إلى إعجازه في تحقيقه، وجعل تأييد النبي ﷺ بتقويته بالنصر لأن النصر أدعى إلى تثبيت الرأي والعزائم.

والعطف بلفظ المؤمنين بإعادة حرف الجر دفعا لتوهم العطف في تقدير: بنصره ونصر المؤمنين، بينما يريد تأييده بوجود المؤمنين وتكثيرهم للنبي ﷺ.

ومن هذا المعنى قوله عليه السلام في نهج البلاغة: ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيمانا وتسليما ومضيا على اللقم، وصبرا على مضض الألم وجدا في جهاد العدو، ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرة لنا من عدونا، ومرة لعدونا منا، فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر حتى استقر الاسلام ملقيا جرانه، ومتبوئا أوطانه. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾

قوله (وألف بين قلوبهم) العطف لأن الجملة متممة لما قبلها في إظهار الامتنان على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمته، والتأليف والألف اجتماع مع التئام، والجملة كناية عن تحاب المسلمين واجتماعهم على كلمة واحدة، وهو ما لم تحققه سابقا الأنساب ولا القرابات، وخص القلوب لإفادة تقارب النفوس على طريقة العرب في استعمال لغتهم.

قوله (لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) جملة افتراض لبيان كمال قدرة الله في جمع المؤمنين على كلمة التوحيد، والعدول في الخطاب من الغيبة إلى خطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لإرادة معنى التعجيز لما كان بين

أهل يثرب من الأوس والخزرج من الإحن والضغائن ما يستحيل ألفتهم واجتماع حالهم.

قوله (ولكن الله ألف بينهم) استدراك لبيان كمال قدرته ولطفه، لذلك صرح بلفظ الألوهية.

قوله (إنه عزيز حكيم) جملة إخبارية مؤكدة متضمنة معنى التعليل لتأليف القلوب، لأنه عزيز لا يقهر أمره لو شاء أمرا، وحكيم في معرفة عواقب الأمور.

وفي نهج البلاغة قوله عليه السلام في الألفة بعد التفرقة: فاعتبروا بحال ولد إسماعيل وبني إسحاق وبني إسرائيل عليهم السلام، فما أشد اعتدال الأحوال، وأقرب اشتباه الأمثال، تأملوا أمرهم في حال تشتتهم وتفرقهم ليالي كانت الأكاسرة والقياصرة أربابا لهم، يحتازونهم عن ريف الآفاق، وبحر العراق وخضرة الدنيا إلى منابت الشيح، ومهافي الريح، ونكد المعاش، فتركوهم عالة مساكين إخوان دبر ووبر، أذل الأمم دارا، وأجدبهم قرارا، لا يأوون إلى جناح دعوة يعتصمون بها، ولا إلى ظل ألفة يعتمدون على عزها، فالأحوال مضطربة، والأيدي مختلفة، والكثرة متفرقة، في بلاء أزل، وإطباق جهل من بنات موءودة، وأصنام معبودة، وأرحام مقطوعة، وغارات مشنونة فانظروا إلى مواقع نعم الله عليهم حين بعث إليهم رسولا، فعقد بملته طاعتهم، وجمع على دعوته ألفتهم. كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها، وأسالت لهم جداول نعيمها، والتفت الملة بهم

في عوائد بركتها، فأصبحوا في نعمتها غرقين، وعن خضرة عيشها فكهين، قد تربعت الأمور بهم، في ظل سلطان قاهر وآوتهم الحال إلى كنف عز غالب، وتعطفت الأمور عليهم في ذرى ملك ثابت، فهم حكام على العالمين، وملوك في أطراف الأرضين، يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم، ويمضون الأحكام فيمن كان يمضيها فيهم، لا تغمز لهم قناة، ولا تقرع لهم صفاة. انتهى.

قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾

قوله (يا أيها النبي حسبك الله) قيل: إن الآية نزلت بالبيداء قبل بدء القتال في غزوة بدر، وهو خطاب تلطف من الله تعالى وعناية وتطييب لقلب النبي ﷺ، أكد فيه ما سبق من كفاية الله.

قوله (ومن اتبعك من المؤمنين) العطف لدخول الكلام المعطوف على لفظ الحسب والكفاية، وفعل الاتباع الانقياد إلى الرسول والالتزام بطاعته، و(من) لتبعيض المؤمنين.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥ ﴾

قوله (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) تكرار النداء بصفة النبوة تشريف وإجلال من الله تعالى لنبيه ﷺ، وفعل التحريض معناه الحث المؤمنين وحضهم على فعل قتال الكافرين بقوة، وحرف الجر (على) للتعدية، وتعريف القتال للعهد يراد به جهاد الأعداء.

قوله (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) الفصل بعد جملة الطلب على تقدير سؤال بعد فعل التحريض: فماذا تفعلون مع كثرتهم؟ فأجيب: إن يكن منكم. لتشجيع المؤمنين وتأكيد أن العبرة بقوة الإيمان لا بالكثرة والقلة، واشتراط الصبر لعدد العشرين لبيان علة الغلبة لأضعافهم من الكافرين.

قوله (وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفا من الذين كفروا) أسلوب الشرط لتبيان جوابه في ضرب المثال بتدرج الأعداد، وفي الكلام تقدير لصفة الصبر للعدد مئة من المسلمين فهمت مما سبقها، والتصريح بصفة الكفر للألف لبيان علة انهزامهم.

قوله (بأنهم قوم لا يفقهون) الباء للسببية، ونفي الفقه عن القوم الكافرين بمعنى تثبيت نقيضه لهم وهو الجهل، وفعل الفقه أخص في المعنى من لفظ الفهم، لذلك وصف المشركون بها، فهم لا يؤمنون إلا بالحس، فحسبوا أن مجرد كثرتهم دليل على النصر المؤكد، فجعلها صفة متأصلة فيهم بدلالة إيرادها صفة لقوم، متقصدا من عدم الإتيان بها خبرا فلم تكن الجملة: ذلك بأنهم لا يفقهون.

والكلام تعليل لنصر القلة على الكثرة، أي: إن الإيمان بالهدف الذي من أجله يقاتل المقاتل هو المعيار في الظفر، ولا سيما فيما ضرب من أمثلة عددية قريبة من الواقع مقيدة بلفظ الصبر وتعني الثبات، فالمقاتل المسلم أثبت قدما وأقوى قلبا، لأنه يعتقد القتل سببا لنيل الشهادة ورضوان الله تعالى ونيل إحدى الحسنيين، فهو لذلك ألهب حماسا وأشد بأسا من المقاتل المشرك الذي لا يؤمن إلا بالمال والطمع الذي من أجله خرج، وقيل إن كثيرا من مقاتلي جمع المشركين من الأحابيش الذين اشتراهم أبو سفيان للقتال. ولفظ الفقه أخص في المعنى من لفظ الفهم، لذلك وصف المشركون بها، فهم لا يؤمنون إلا بالحس، فحسبوا أن مجرد كثرتهم دليل على النصر المؤكد، فجعلها صفة متأصلة فيهم بدلالة إيرادها صفة لقوم، متقصدا من عدم الإتيان بها خبرا فلم تكن الجملة: ذلك بأنهم لا يفقهون.

وفي الكلام التفات من خطاب النبي ﷺ إلى خطاب المؤمنين لإفادة التشجيع والبيان.

قوله تعالى ﴿ ٱلۡـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ٦٦ ﴾

قوله (الآن خفف الله عنكم) لفظ الآن مجاز في تعيين سبب نصر القلة على الكثرة، وفعل التخفيف يراد به رفع الأمر بثبات الواحد للعشرة ووجوب

قتال العشرة على الواحد، ولفظ التخفيف استعارة لحكم الجهاد بذلك النحو تشبيها له بما يثقل وزنه.

قوله (وعلم أن فيكم ضعفا) أي: علم الله فيكم ضعف العزيمة والبصيرة، وذلك لأن المسلمين خرجوا للعير أصلا، وحرف الجر في (فيكم) للظرفية المجازية، وضمير جمع المخاطبين راجع إلى المسلمين.

قوله (فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين) الفاء لتفريع الشرط على الإخبار لإلهاب حماس المؤمنين، وإنما انتقل إلى ذكر المئة والألف إشارة إلى كثرة المسلمين الغالبة المقيدة بالصبر أيضا، والمراد بالصبر الثبات على تحمل المشاق وعدم الفرار، ووصل هنا الكلام بينما فصل في معنى قوة عزائمهم وشدة بصائرهم مع قلتهم بإيراد العشرات في الآية السابقة لأنها على تقدير سؤال كما بينا، لأن الكثرة دائما تكون على حساب النوعية، وتلك من سنن الحياة.

قوله (بإذن الله) الظرف بمعنى: بعلم الله وأمره، لأن النصر والهزيمة لا يكونان إلا بعلمه سبحانه ومشيئته.

قوله (والله مع الصابرين) الإخبار تعليل للغلبة، والإظهار للفظ الجلالة في موضع الإضمار للتعظيم، وحرف المعية تفيد تأييد الله للصابرين.

قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ ﴾

قوله (ما كان لنبي أن يكون له أسرى) الكلام في العتاب على أخذ أسرى بدر لأجل الافتداء بالمال الذي اقترح على الرسول، ثم أقرهم الله على ذلك. وظاهر السياق أن الآية والتي بعدها نزلتا دفعة واحدة بعد وقعة بدر.

والكلام موجه للمسلمين وليس للنبي ﷺ، لأنهم من أشاروا عليه بالفداء، والنفي لمقام النبوة، وتنكير لفظ النبوة إشارة إلى أنه حكم سابق في حروب الأنبياء في بني إسرائيل.

ولفظ الأسرى جمع أسير من الأسر وهو شد الوثاق، والمعنى: لم يعهد في سنة الأنبياء أخذ الأسرى لاستدرار المال، بل ينبغي أن يبقوا أرقاء حتى يؤمنوا، أو يطلق سراحهم، أو ينكل بهم ليعتبر به غيرهم.

قوله (حتى يثخن في الأرض) تفيد (حتى) ابتداء الغاية، والإثخان الشدة والغلظة في إلحاق الأذى، و(في) للظرفية المجازية، وتعريف الأرض للعموم.

قوله (تريدون عرض الدنيا) قطع الكلام لأنه تعليل لجملة النفي، أي: لأنكم أيها المسلمون رغبتم بحطام الدنيا وعرضها الزائل، فكنى عن الزوال بعرض الدنيا لأنها مؤقتة ليست أصيلة، وفعل الإرادة يعني الرغبة الشديدة.

قوله (والله يريد الآخرة) الواو للحال بمعنى: أنتم تريدون الدنيا في حال أن الله يريد لكم ثواب الآخرة لأنها هي الباقية.

قوله (والله عزيز حكيم) إخبار وتذييل لإرادة ثبوت غلبة الله في كونه لا يقهر، مستغن عن عباده وعنكم، وهو تعالى حكيم في أحكامه المتقنة يعرف عاقبة أمركم.

قوله تعالى ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾

قوله (لولا كتاب من الله سبق) الكلام متضمن العتاب الشديد للمؤمنين، أي: لولا قضاؤه السابق بألا يعذبكم، لأصابكم من أخذكم عوض الفداء عذاب غليظ، وذلك لأن الفداء لم يبحه الله لهم قبل نزول الآيات، وتنكير لفظ الكتاب للتعظيم، وهو كناية عن وعده تعالى لنبيه بألا يعذبهم.

قوله (لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) اللام في جواب (لولا) والمس استعارة لاختلاط ألم العذاب بأنفسهم، وحرف الجر في (فيما) تفيد السبب، و(ما) مصدرية، وفعل الأخذ إشارة للافتداء، وتنكير لفظ العذاب لتهويله، ووصفه بالعظم لشدة ألمه.

قوله تعالى ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾

قوله (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) الأمر بالأكل إباحة من الله لهم، ورخصة صيرت ما غنموا من فداء حلالا طيبا، ونصب اللفظين على الحال.

وقوله (واتقوا الله) أمر يراد به التحذير من العود لأمثالها.

قوله (إن الله غفور رحيم) إخبار متضمن معنى تعليل الإباحة، لأن الله كثير الغفران لمعاصي عباده رحيم بهم.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ ﴾

قوله (يا أيها النبي) النداء للنبي ﷺ لخصوصية ولايته وإمرته في المسلمين.

قوله (قل لمن في أيديكم من الأسرى) صيغة في الأيدي: استعارة للتسلط والملك. ولفظ الجمع إشارة إلى مخاطبة جمع المسلمين، و(من) للتبيين.

قوله (إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) لفظ الخير الأولى كناية عن الإيمان بالإسلام، ولفظ الخير الثانية اسم تفضيل بدلالة ما بعدها وهي إشارة إلى المال في أخذ الفداء، ولفظ القلوب يراد بها

الإدراكات النفسية، وفعل الإتيان بمعنى الإعطاء، وتفيد (من) التبعيض في (مما)، و(ما) اسم موصول.

قوله (ويغفر لكم) جزم فعل الغفران لأنه معطوف على جواب الشرط (يؤتكم)، والكلام وعد من الله بالغفران يوم القيامة لأنه من ثواب الآخرة زيادة على ما يعطيكم من ثواب ومال.

قوله (والله غفور رحيم) تذييل بالإخبار وتعليل للمغفرة، في كون صفات المغفرة والرحمة ثابتة أصيلة في ذات الله عز وجل.

قوله تعالى ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

قوله (وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل) الواو للعطف على قوله (قل لمن في أيديكم)، أي: وإن يريد الأسرى خيانتك أيها النبي ﷺ بالعودة إلى القتال بعد إطلاق سراحهم فاطمئن لأن الله قادر عليهم ولن يضروك شيئا، والمراد بخيانة النبي ﷺ نكث عهدهم بعدم العودة إلى محاربة التوحيد والعودة إلى القتال في صفوف الأعداء، وأما خيانتهم لله فهو بمخالفتهم لفطرة التوحيد التي فطرهم الله عليها وعبر عنها بالقبلية.

قوله (فأمكن منهم) الفاء للترتيب الكلامي، وفعل الإمكان وتعديته بـ (من) بمعنى تمكنه تعالى منهم وقدرته عليهم، وفي الكلام طمأنة للنبي بنصره الدائم عليهم.

قوله (والله عليم حكيم) تذييل إخباري بمعنى شدة إحاطته تعالى بما في قلوب أعداء التوحيد، وسعة حكمته في كيفية معاملتهم.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢ ﴾

قوله (إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) الفصل لاستئناف الإخبار بحكم جديد، والمراد بالصلة المهاجرون الأول الذين تركوا ديارهم في مكة واستقروا بيثرب، والهجرة أصلها ترك الديار والقوم، وسبيل الله كناية عن توحيده تعالى.

وقوله (والذين آووا ونصروا) وهم الأنصار في يثرب فهم الذين آووا النبي ﷺ وقومه ونصروهم، والإيواء أصله الضم إلى النفس ويراد به إعطاء المسكن.

وقوله (أولئك بعضهم أولياء بعض) إخبار لما بدأ به، في ثبوت ولاية بعضهم لبعض وهي أعم من ولاية الميراث وولاية الأمن وولاية النصرة.

قوله (والذين آمنوا ولم يهاجروا) أي: المؤمنون الذين بقوا في مكة ولم يتركوها إلى غيرها.

قوله (ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) نفي الولاية بينهم نفيا عاما إلا ولاية النصرة حتى يلتحقوا بالمهاجرين، و(من) الأولى ابتدائية، و(من) الثانية زائدة لتقوية نفي العموم.

قوله (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر) أي: وإن طلب هؤلاء المؤمنون الباقون في مكة النصرة منكم فواجب عليكم إغاثتهم ونصرهم، وتقييد الاستنصار بالدين دليل الفرض، و(عليكم النصر) اسم فعل بمعنى: الإلزام بالنصر.

قوله (إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) الاستثناء لإخراج الانتصار على قوم بينكم وبينهم عهد الهدنة أو الأمان، فلا نصرة واجبة عليكم لهم.

قوله (والله بما تعملون بصير) إخبار متضمن معنى المراقبة والتحذير، بثبوت معنى إحاطة الله وعلمه بأفعالهم.

قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣ ﴾

قوله (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) العطف لإتمام فائدة الكلام عن نقيض ولاية المؤمنين بذكر ولاية الكافرين لبعضهم، وتثبيت ولاية

الكافرين تكون بينهم فلا تتعداهم إلى المؤمنين، والإخبار تشريع يراد به الإلزام.

قوله (إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) الكلام توجيه للمؤمنين بالعمل بالحكم، لأن خلافه اضطراب وإفساد.

وفي الكلام إشارة إلى وجوب تنظيم المجتمعات على هذا النحو، لما فيه من المصلحة التي تحفظ حقوق الجميع، والعمل بضده فتنة وفساد واضحان.

قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤ ﴾

قوله (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله) إعادة ذكر المؤمنين من المهاجرين والأنصار لإفادة جمعهم في صفة الإيمان الحق، والمساواة في الإيمان بين المهاجرين والأنصار لخصوصية كل فئة، فالمهاجرون تركوا بلدهم وديارهم وجاهدوا في سبيل الله، والأنصار آمنوا وآووا المسلمين المهاجرين ونصروهم بالجهاد، لذا عبر عن إيمانهما بلفظ الحق للتأكيد.

قوله (والذين آووا ونصروا) ويراد بهم الأنصار كما تقدم.

قوله (أولئك هم المؤمنون حقا) لفظ الإشارة للبعيد لتعظيم المهاجرين الأنصار والتنويه لجدارتهم بما سيخبر عنهم بالإيمان الحق، وقصر عليهم

الإيمان الحق الثابت الذي لا يتغير بقصرين هما ضمير الفصل وتعريف المؤمنين.

قوله (لهم مغفرة ورزق كريم) تقديم المتعلق للاهتمام بحقهم بمغفرة الله ورزقه الكريم، ووصف الرزق بصيغة الكريم مجاز عقلي للمبالغة.

قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥ ﴾

قوله (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم) الكلام في الفئة الثانية من المؤمنين التي التحقت بالمسلمين بيثرب، ومعنى (من بعد) للتقييد أنهم آمنوا بعد مدة، ولتمييزها عن الفئة الأولى من المهاجرين.

قوله (فأولئك منكم) الفاء على تقدير معنى الشرط في الموصول: أما الذين آمنوا، وقوله (منكم) للتبيين: أي: من جماعتكم المؤمنة لهم ما لكم في الولاية.

قوله (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) الكلام في تثبيت ولاية الإرث بالقرابة وكنى عنهم بذوي الأرحام، وتقييدها بقوله (في كتاب الله) كونها حكما فطريا مقدرا من الله، قال العلامة الطباطبائي: والآية تنسخ ولاية الإرث بالمؤاخاة التي أجراها النبي ﷺ بين المسلمين أول الهجرة،

وتثبت الإرث بالقرابة سواء كان هناك ذو سهم أو لم يكن أو كان ذو عصبة أو لم يكن فالآية مطلقة. انتهى.

قوله (إن الله بكل شيء عليم) إخبار بالجملة الإسمية مؤكد بـ (إن) متضمن معنى التعليل لما سبق من ولاية أولي الأرحام، والإظهار للفظ الجلالة في موضع الإضمار للتعظيم، وتقديم المتعلق للاهتمام ورعاية الفاصلة، والعليم صيغة مبالغة في العلم. والله أعلم.

المحتويات

تفسير سورة الأعراف **١-٢٥١**

﴿ الٓمٓصٓ ﴿١﴾ ﴾ ٢

﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ .... ﴿٢﴾ ﴾ ٢-٣

﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا ... ﴿٣﴾ ﴾.... ٣-٤

﴿ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ ٤-٥

﴿ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ ... ٥

﴿ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦﴾ ﴾ ٦-٧

﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾ ٧

﴿ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨﴾ ﴾ ٧-٨

﴿ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ ... ﴿٩﴾ ﴾ ٨-٩

﴿ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا ... ﴿١٠﴾ ﴾ ١٠-١١

﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ ... ﴿١١﴾ ﴾ ١١-١٣

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ ... ﴿١٢﴾ ﴾ ١٣-١٤

﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ ١٤-١٥

﴿ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ ١٥

﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ١٥ ﴾ ١٥-١٦

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ﴾ ١٦-١٧

﴿ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ ... ١٧ ﴾ ١٧-١٨

﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ ...١٨ ﴾ ١٨-١٩

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا ... ١٩ ﴾ ١٩-٢٠

﴿ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا ... ٢٠ ﴾ ٢٠-٢١

﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١ ﴾ ٢١-٢٢

﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا ... ٢٢ ﴾ ٢٢-٢٤

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ ...٢٣ ﴾ ٢٤

﴿ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ ... ٢٤ ﴾ ٢٤-٢٥

﴿ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ٢٥ ﴾ ٢٥-٢٦

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ ... ٢٦ ﴾ ٢٦-٢٨

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ... ٢٧ ﴾ .. ٢٨-٣٠

﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ ...٢٨ ﴾...... ٣١-٣٢

﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ ... ٢٩ ﴾ ٣٢-٣٣

﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ... ٣٠ ﴾ ٣٤-٣٥

﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ ... ﴿٣١﴾ ﴾ ٣٥-٣٧

﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ ... ﴿٣٢﴾ ﴾ ٣٧-٣٨

﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ ... ﴿٣٣﴾ ﴾...... ٣٩-٤٠

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.. ٤٠-٤١

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ ... ﴿٣٥﴾ ﴾. ٤١-٤٢

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ ... ﴿٣٦﴾ ﴾... ٤٢-٤٣

﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ...﴿٣٧﴾ ﴾ ٤٣-٤٥

﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ ... ﴿٣٨﴾ ﴾. ٤٥-٤٧

﴿ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ... ﴿٣٩﴾ ﴾....... ٤٧-٤٨

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ... ﴿٤٠﴾ ﴾ ٤٨-٥٠

﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ ٥٠-٥١

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ ...﴿٤٢﴾ ﴾ ٥١-٥٢

﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ ...﴿٤٣﴾ ﴾ ٥٢-٥٤

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا ...﴿٤٤﴾ ﴾ ٥٥-٥٧

﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ ٥٧-٥٨

﴿ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا ... ﴿٤٦﴾ ﴾ ٥٨-٥٩

﴿ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾. ٦٠

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ ... ﴿٤٨﴾ ﴾ ٦٠-٦١

﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍۚ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ ... ﴿٤٩﴾ ﴾ ... ٦١-٦٤

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ ... ﴿٥٠﴾ ﴾ ٦٤-٦٥

﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ ... ﴿٥١﴾ ﴾ ٦٥-٦٦

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ ... ﴿٥٢﴾ ﴾ ٦٦-٦٧

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ ... ﴿٥٣﴾ ﴾ ٦٧-٦٩

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ... ﴿٥٤﴾ ﴾......... ٦٩-٧٢

﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ ٧٢-٧٣

﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًاۚ ... ﴿٥٦﴾ ﴾.......... ٧٣-٧٤

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ ... ﴿٥٧﴾ ﴾.... ٧٤-٧٧

﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ ... ﴿٥٨﴾ ﴾ ٧٧-٧٨

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ... ﴿٥٩﴾ ﴾ ٧٨-٨٠

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ ﴾ ٨٠-٨١

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ ٨١-٨٢

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾. ٨٢-٨٣

﴿ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ ... ﴿٦٣﴾ ﴾......... ٨٣-٨٥

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ ...﴿٦٤﴾ ﴾...... ٨٥-٨٦

﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم ... ﴿٦٥﴾ ﴾ ٨٦-٨٧

﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ ... ﴿٦٦﴾ ﴾ ٨٧-٨٨

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ ٨٩

﴿ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ ٨٩

﴿ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ ... ﴿٦٩﴾ ﴾. ٩٠-٩١

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ...﴿٧٠﴾ ﴾ ٩١-٩٢

﴿ قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي ... ﴿٧١﴾ ﴾. ٩٣-٩٥

﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ ... ﴿٧٢﴾ ﴾ ٩٥

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ...﴿٧٣﴾ ﴾ ٩٦-٩٨

﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ ... ﴿٧٤﴾ ﴾ ٩٨-١٠٠

﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ ...﴿٧٥﴾ ﴾ ١٠٠-١٠١

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾. ١٠١-١٠٢

﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ...﴿٧٧﴾ ﴾ ١٠٢-١٠٣

﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ ١٠٣-١٠٤

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ ...﴿٧٩﴾ ﴾ ١٠٥-١٠٤

﴿ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا ... ﴿٨٠﴾ ﴾ ١٠٦-١٠٥

﴿ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ ... ﴿٨١﴾ ﴾ .. ١٠٧-١٠٦

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن ... ﴿٨٢﴾ ﴾ ١٠٨-١٠٧

﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ ١٠٩-١٠٨

﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ ١٠٩

﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ...﴿٨٥﴾ ﴾ ١١٢-١١٠

﴿ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن ... ﴿٨٦﴾ ﴾ ١١٤-١١٢

﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ ...﴿٨٧﴾ ﴾ ١١٥-١١٤

﴿ ۞ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ ... ﴿٨٨﴾ ﴾ ١١٧-١١٥

﴿ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ ... ﴿٨٩﴾ ﴾.... ١٢٠-١١٧

﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ ... ﴿٩٠﴾ ﴾ ١٢١-١٢٠

﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ ١٢١

﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا ... ﴿٩٢﴾ ﴾.... ١٢٢-١٢١

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي ... ﴿٩٣﴾ ﴾ ١٢٣-١٢٢

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ ... ﴿٩٤﴾ ﴾ ١٢٤-١٢٣

﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ ... ﴿٩٥﴾ ﴾ ١٢٤-١٢٥

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ ...﴿٩٦﴾ ﴾....... ١٢٥-١٢٧

﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ ١٢٧

﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ .. ١٢٧-١٢٨

﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾. ١٢٨-١٢٩

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن ...﴿١٠٠﴾ ﴾ ١٢٩-١٣١

﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم ... ﴿١٠١﴾ ﴾.. ١٣١-١٣٢

﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ ... ١٣٢-١٣٤

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ ...﴿١٠٣﴾ ﴾ ١٣٤-١٣٥

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ ١٣٥-١٣٦

﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ ...﴿١٠٥﴾ ﴾..... ١٣٦-١٣٨

﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ ١٣٨

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ ﴾ ١٣٨-١٣٩

﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾........ ١٣٩

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾........... ١٤٠

﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ ١٤٠-١٤١

﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١ ﴾....... ١٤١

﴿ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ١١٢ ﴾........... ١٤١

﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٣ ﴾... ١٤٢

﴿ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ١١٤ ﴾ ١٤٢-١٤٣

﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ١١٥ ﴾ ١٤٣-١٤٤

﴿ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ ...١١٦ ﴾ ١٤٤-١٤٥

﴿ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ١١٧ ﴾....... ١٤٥

﴿ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٨ ﴾ ١٤٥-١٤٦

﴿ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ١١٩ ﴾............. ١٤٦

﴿ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ١٢٠ ﴾............. ١٤٦

﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ ﴾.......... ١٤٧

﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢ ﴾........... ١٤٧

﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ ...١٢٣ ﴾ ١٤٧-١٤٨

﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٢٤ ﴾ ١٤٨-١٤٩

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ١٢٥ ﴾ ١٤٩-١٥٠

﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ ...١٢٦ ﴾............ ١٥٠-١٥١

﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ ... ﴿١٢٧﴾ ﴾ ١٥١-١٥٢

﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ ...﴿١٢٨﴾ ﴾...... ١٥٢-١٥٣

﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ ... ﴿١٢٩﴾ ﴾..... ١٥٣-١٥٤

﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ... ﴿١٣٠﴾ ﴾..... ١٥٤-١٥٦

﴿ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ ... ﴿١٣١﴾ ﴾ ١٥٦-١٥٧

﴿ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ ... ﴿١٣٢﴾ ﴾ ١٥٧-١٥٨

﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ ... ﴿١٣٣﴾ ﴾....... ١٥٨-١٥٩

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ ... ﴿١٣٤﴾ ﴾... ١٥٩-١٦١

﴿ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾..... ١٦١

﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ... ﴿١٣٦﴾ ﴾ ١٦١-١٦٢

﴿ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ ...﴿١٣٧﴾ ﴾..... ١٦٢-١٦٤

﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ ...﴿١٣٨﴾ ﴾ ١٦٤-١٦٦

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ ١٦٦-١٦٧

﴿ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾........ ١٦٧

﴿ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ ... ﴿١٤١﴾ ﴾....... ١٦٨-١٦٩

﴿ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ ... ﴿١٤٢﴾ ﴾ ١٦٩-١٧٠

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ ... ﴿١٤٣﴾ ﴾.... ١٧٠-١٧٤

﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ ... ﴿١٤٤﴾ ﴾.... ١٧٤-١٧٥

﴿ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا ... ﴿١٤٥﴾ ﴾... ١٧٥-١٧٧

﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ... ﴿١٤٦﴾ ﴾.... ١٧٧-١٧٨

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ ... ﴿١٤٧﴾ ﴾........... ١٧٩

﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ ... ﴿١٤٨﴾ ﴾.. ١٧٩-١٨١

﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ ... ﴿١٤٩﴾ ﴾.......... ١٨١-١٨٢

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي ...﴿١٥٠﴾ ﴾ ١٨٢-١٨٤

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾.. ١٨٤-١٨٥

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ ...﴿١٥٢﴾ ﴾ ١٨٥-١٨٦

﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ ...﴿١٥٣﴾ ﴾ ١٨٦-١٨٧

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا ... ﴿١٥٤﴾ ﴾....... ١٨٧-١٨٨

﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ ...﴿١٥٥﴾ ﴾ ١٨٨-١٩١

﴿ ۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا ...﴿١٥٦﴾ ﴾.... ١٩١-١٩٣

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا ... ﴿١٥٧﴾ ﴾.. ١٩٣-١٩٨

﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ ... ﴿١٥٨﴾ ﴾..... ١٩٨- ٢٠٠

﴿ وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ١٥٩ ﴾ ٢٠٠-٢٠١

﴿ وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ ...١٦٠ ﴾.... ٢٠١-٢٠٤

﴿ وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا ... ١٦١ ﴾ ٢٠٤-٢٠٥

﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ ... ١٦٢ ﴾..... ٢٠٥-٢٠٦

﴿ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ ... ١٦٣ ﴾........ ٢٠٦-٢٠٧

﴿ وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ ... ١٦٤ ﴾..... ٢٠٨-٢٠٩

﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ ...١٦٥ ﴾ ٢٠٩-٢١٠

﴿ فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ١٦٦ ﴾ ٢١٠-٢١١

﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ ...١٦٧ ﴾........ ٢١١-٢١٢

﴿ وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗاۖ مِّنۡهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنۡهُمۡ دُونَ ... ١٦٨ ﴾... ٢١٢-٢١٣

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ ...١٦٩ ﴾ ٢١٣-٢١٥

﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ ... ١٧٠ ﴾ ٢١٥-٢١٦

﴿ ۞ وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ ...١٧١ ﴾......... ٢١٦-٢١٨

﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ ... ١٧٢ ﴾ ٢١٨-٢١٩

﴿ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ ... ١٧٣ ﴾......... ٢١٩-٢٢٠

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ١٧٤ ﴾ ٢٢٠

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ... ﴿١٧٥﴾ ﴾ ٢٢٠-٢٢١

﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ ... ﴿١٧٦﴾ ﴾... ٢٢١-٢٢٣

﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾..... ٢٢٣-٢٢٤

﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾.. ٢٢٤

﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا ... ﴿١٧٩﴾ ﴾.. ٢٢٥-٢٢٦

﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ ...﴿١٨٠﴾ ﴾.... ٢٢٦-٢٢٧

﴿ وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿١٨١﴾ ﴾ ٢٢٧-٢٢٨

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ ﴾.... ٢٢٨-٢٢٩

﴿ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ ﴾.......... ٢٢٩

﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ ﴾...... ٢٣٠

﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ ... ﴿١٨٥﴾ ﴾...... ٢٣٠-٢٣١

﴿ مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾.... ٢٣١-٢٣٢

﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا ...﴿١٨٧﴾ ﴾...... ٢٣٢-٢٣٤

﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ ... ﴿١٨٨﴾ ﴾.... ٢٣٥-٢٣٦

﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا ...﴿١٨٩﴾ ﴾.... ٢٣٦-٢٣٧

﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ...﴿١٩٠﴾ ﴾ ٢٣٨

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾......... ٢٣٨-٢٣٩

﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾ ٢٣٩

﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ ... ﴿١٩٣﴾ ﴾... ٢٣٩-٢٤٠

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ ... ﴿١٩٤﴾ ﴾...... ٢٤٠-٢٤١

﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ ...﴿١٩٥﴾ ﴾..... ٢٤١-٢٤٢

﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾...... ٢٤٢-٢٤٣

﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ ﴾.. ٢٤٣

﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا ۖ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ ... ﴿١٩٨﴾ ﴾.... ٢٤٤

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ ٢٤٤-٢٤٥

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾.. ٢٤٥-٢٤٦

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم ... ﴿٢٠١﴾ ﴾... ٢٤٦

﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾............ ٢٤٦-٢٤٧

﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ... ﴿٢٠٣﴾ ﴾.. ٢٤٧-٢٤٨

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾.... ٢٤٩

﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ...﴿٢٠٥﴾ ﴾..... ٢٤٩-٢٥٠

﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ ... ﴿٢٠٦﴾ ﴾... ٢٥١

تفسير سورة الأنفال ٢٥٢-٣٣٤

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ... ﴿١﴾ ﴾ ٢٥٢-٢٥٣

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا ...﴿٢﴾ ﴾........ ٢٥٤-٢٥٥

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ ٢٥٥-٢٥٦

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ ....﴿٤﴾ ﴾ ٢٥٦

﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ...﴿٥﴾ ﴾ ٢٥٧

﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ...﴿٦﴾ ﴾ ٢٥٧-٢٥٨

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ ...﴿٧﴾ ﴾ ٢٥٨-٢٦٠

﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ ٢٦٠-٢٦١

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ ...﴿٩﴾ ﴾ ٢٦١-٢٦٢

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ...﴿١٠﴾ ﴾ ٢٦٢-٢٦٣

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ...﴿١١﴾ ﴾ ٢٦٣-٢٦٥

﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ...﴿١٢﴾ ﴾ ٢٦٥-٢٦٦

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ...﴿١٣﴾ ﴾ ٢٦٦-٢٦٧

﴿ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾ ٢٦٧

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا ...﴿١٥﴾ ﴾ ٢٦٨

﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ ...﴿١٦﴾ ﴾..... ٢٦٨-٢٦٩

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ...﴿١٧﴾ ﴾ ٢٦٩-٢٧٠

﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ ٢٧٠

﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ ...﴿١٩﴾ ﴾...... ٢٧١-٢٧٢

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ ...﴿٢٠﴾ ﴾ ٢٧٢-٢٧٣

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ ٢٧٣-٢٧٤

﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ ٢٧٤

﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ ...﴿٢٣﴾ ﴾ ٢٧٥

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ...﴿٢٤﴾ ﴾ ٢٧٦-٢٧٧

﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ ...﴿٢٥﴾ ﴾.......... ٢٧٧

﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن ...﴿٢٦﴾ ﴾...... ٢٧٨-٢٧٩

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ ...﴿٢٧﴾ ﴾ ٢٧٩-٢٨٠

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ ...﴿٢٨﴾ ﴾ ٢٨٠

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ ...﴿٢٩﴾ ﴾ ٢٨١-٢٨٢

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ ...﴿٣٠﴾ ﴾ ٢٨٢-٢٨٣

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا ...﴿٣١﴾ ﴾......... ٢٨٣-٢٨٤

﴿ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ ...(٣٢) ﴾ ٢٨٦-٢٨٥

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ...(٣٣) ﴾.. ٢٨٧-٢٨٦

﴿ وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمۡ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ...(٣٤) ﴾ ٢٨٨-٢٨٧

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ ...(٣٥) ﴾ ٢٨٩-٢٨٨

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ...(٣٦) ﴾..... ٢٩٠-٢٨٩

﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ ...(٣٧) ﴾ ٢٩١

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ ...(٣٨) ﴾.............. ٢٩٢

﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ ...(٣٩) ﴾ ٢٩٣-٢٩٢

﴿ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ (٤٠) ﴾... ٢٩٤-٢٩٣

﴿ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ ...(٤١) ﴾ ٢٩٦-٢٩٤

﴿ إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ ...(٤٢) ﴾ ٢٩٩-٢٩٦

﴿ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ ...(٤٣) ﴾ ٣٠٠-٢٩٩

﴿ وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ ...(٤٤) ﴾ ٣٠٢-٣٠٠

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ...(٤٥) ﴾.. ٣٠٣-٣٠٢

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ ...(٤٦) ﴾........ ٣٠٤-٣٠٣

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ...(٤٧) ﴾...... ٣٠٥-٣٠٤

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ...﴿٤٨﴾ ﴾ ٣٠٥-٣٠٦

﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ ...﴿٤٩﴾ ﴾..... ٣٠٦-٣٠٧

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ ...﴿٥٠﴾ ﴾..... ٣٠٧-٣٠٨

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾ ٣٠٨

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ...﴿٥٢﴾ ﴾ ٣٠٨-٣٠٩

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ ... ﴿٥٣﴾ ﴾ ٣٠٩-٣١٠

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ...﴿٥٤﴾ ﴾ ٣١٠-٣١١

﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ ٣١١-٣١٢

﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ ...﴿٥٦﴾ ﴾ ٣١٢-٣١٣

﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ ...﴿٥٧﴾ ﴾ ٣١٣-٣١٤

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ ...﴿٥٨﴾ ﴾ ٣١٤-٣١٥

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ ٣١٥

﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ...﴿٦٠﴾ ﴾ ٣١٦-٣١٨

﴿ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ ...﴿٦١﴾ ﴾ ٣١٨-٣١٩

﴿ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ ...﴿٦٢﴾ ﴾ ٣١٩-٣٢٠

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ ...﴿٦٣﴾ ﴾ ٣٢٠-٣٢٢

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤ ﴾ ٣٢٢

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ ...٦٥ ﴾... ٣٢٢-٣٢٤

﴿ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن ...٦٦ ﴾ ٣٢٤-٣٢٥

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ....٦٧ ﴾.... ٣٢٥-٣٢٧

﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨ ﴾ ٣٢٧

﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ ....٦٩ ﴾ ٣٢٧-٣٢٨

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ...٧٠ ﴾ ٣٢٨-٣٢٩

﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ .....٧١ ﴾ ٣٢٩-٣٣٠

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي ...٧٢ ﴾ ٣٣٠-٣٣١

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ .... ٧٣ ﴾ ... ٣٣١-٣٣٢

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ .....٧٤ ﴾......... ٣٣٢-٣٣٣

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ ... ٧٥ ﴾ ٣٣٣-٣٣٤